

# تفسير القرآن العظيم

للإمام الحافظ

أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي

ت ٧٧٤ هـ

المقدمة \_ الفاتحة \_ البقرة ١-٦١

تحقيق وتخرىج وتعليق

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن رزق بن طرهوني

١٤١٩ هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد

ففي شهر جمادى الثانية من العام ١٤١٩هـ تم الاتفاق مع دار ابن الجوزي متمثلة في صاحبها الشيخ سعد بن فواز الصميل على سحب مشروع تحقيق تفسير ابن كثير من فضيلة الشيخ أبي إسحق الحويني والعهد به إلي إعادة تحقيقه لأمر أربعة ظهرت لي أولها تأخر الشيخ في إنجاز التحقيق مدة طويلة وثانيها إطلته وإسهابه في تخريج بعض الأحاديث بما يخرج عن المراد لتحقيقها في كتاب للتفسير وثالثها تشدده في الحكم على بعض الروايات وخاصة النسخ التفسيرية التي تعتبر كتباً وتعتمد على ضبط الكتاب كما قررنا في غير هذه المقدمة مما أفقد التفسير بالمأثور جل مروياته وأضاع جهود أئمة الكبار كابن جرير وابن أبي حاتم ورابعها أنه لم يسلك المسلك العلمي في تحقيق النص باعتماد نسخة أصل ونسخة للمقابلة ونحو ذلك من أصول التحقيق .

وقد بدأنا العمل وفق خطة نضعها بين يدي القارئ بعد هذه المقدمة إلا أن الأمر تطلب تفرغي التام لضخامة المشروع وشمولية الخطة فكان لا بد لي من مساعد يعينني في شعوني المنزلية كتوصيل الأبناء للمدارس ونحو ذلك ونظراً لعدم تمكن الدار من توفير ذلك لي مباشرة أو بتقرير راتب لمن أوفره أنا اعتذرت عن إتمام المشروع وانبرى له فضيلة الشيخ الدكتور حكمت بشير ياسين إلا أنه بطبيعة الحال لم يقوم بالعمل وفق الخطة لصعوبة ذلك جداً إلا بإمكانات معينة واكتفى بخطة أخرى موجزة وحرصاً منا على المجهود الذي بذلناه في أوليات هذا العمل وما حواه من فوائد جمّة يحرص عليها طالب العلم وحاجتنا للأجر من الكريم الوهاب لاسيما وقد اقترب الرحيل ارتأينا ضرورة إخراج ماتم إنجازته على الرغم من كونه لم يأخذ صورته النهائية .

وقد قسمنا عملنا إلى كتابين الأول سميناه الحافظ ابن كثير ودراسة لكتابه التفسير يحوي ترجمة الإمام ومباحث عدة تتعلق بكتابه ونقده وأطلقنا عليه اسماً خاصاً وهو (مشاعل التنوير لطالب تفسير ابن كثير) والثاني التفسير نفسه ويحوي تحقيق المقدمة والفاصلة وقدر من سورة البقرة ينتهي عند قوله تعالى (فومها) مع ملاحظة انقطاع التخريج ودراسة الأسانيد عند قوله (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أسأل الله تعالى أن ينفع به وألا يجرمنا الأجر وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب

محمد بن رزق بن طرهوني

في ١٥ جمادى الثانية ١٤٣٩هـ

## خطاب الخطة

\*\*\*\*\*

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

إلى الأخ الفاضل الشيخ سعد بن فواز الصميل المدير العام لدار ابن الجوزي حفظه الله  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فهذه الخطة المقترحة لتحقيق تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله وهي كالتالي :

مقدمة : تشتمل على :

أولاً : ترجمة الحافظ ابن كثير مختصرة .

ثانياً : تعريف بالتفسير ومنزلته وطبعاته ونسخه الخطية ومختصراته وتوثيق نسبة الكتاب لمؤلفه .

ثم تحقيق النص وخدمته ويتضمن :

أولاً : المقابلة بين النسخ الخطية بعد جمع ماتمكن جمعه منها حيث إن نسخ التفسير موزعة حالياً بين  
أكثر من عشرين مكتبة في العالم .

ثانياً : انتقاء أرقى النسخ الممكن الحصول عليها لتكون الأم ثم انتقاء النسخ المساعدة حسب قواعد  
أرباب التحقيق إذ العبرة بالكيف وليس بالكم ، وضبط النص لي مطابق نص المؤلف .

ثالثاً : توثيق النص بالرجوع للمصادر الأصلية حسب الإمكان .

رابعاً : عزو الآيات القرآنية المذكورة أثناء التفسير .

خامساً : تخريج الأحاديث المرفوعة تخريجاً مختصراً مع الإحالة على مواضع التخريج المطولة .

سادساً : الحكم بناء على التخريج وأقوال السابقين على الأحاديث بالصحة أو الضعف .

سابعاً : عزو الآثار المسندة والحكم على السند المذكور .

ثامناً : التعليق على بعض مايشكل من الآيات وبيان القول الفصل فيها .

تاسعاً : تحقيق القول في روايات السيرة المذكورة أثناء التفسير وإن لم تسند .

عاشراً : عزو الشعر .

حادي عشر : عزو الأمثال .

ثاني عشر : بيان الغريب .

ثالث عشر : ضبط ما يحتاج إلى ضبطه من الأسماء والكنى والألقاب والبلدان ونحو ذلك، مع ضبط  
مايشكل من كلمات في الروايات وغيرها .

رابع عشر : عزو أقوال المفسرين إلى مصادرها .

هذا مع محاولة إخراج النص بصورة منسقة جميلة تسهل على القارئ الاستفادة من الكتاب على أكمل وجه ممكن ، مع التزام الرسم العثماني للآيات المفسرة والمذكورة أثناء التفسير (مع مراعاة أن هذه مهمة الصف)

مراحل العمل :

- ١ - البحث عن النسخ الراقية والانتقاء بالتعاون بين الطرفين .
- ٢ - جمع جميع النسخ المطبوعة من التفسير .
- ٣ - في أثناء البحث عن النسخ المخطوطة يقوم المحقق بالتخريج والحكم وبيان الغريب والعزو ريثما تتوافر النسخ .
- ٤ - دراسة النسخ وانتقاء النسخة الأم .
- ٥ - تحقيق النص بالمقابلة بين النسخ المنتخبة .
- ٦ - التعليق على المشكل .
- ٧ - إعداد الفهارس المطلوبة وتكلف به الدار إلا فهرس المصادر (والفوائد المنتورة) وهي :

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

(فهرس الفوائد المنتورة)

فهرس الأعلام

فهرس مصادر الحافظ ابن كثير

فهرس الشعر

فهرس الأمثال

فهرس البلدان

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

---

ملحوظة : تم الاتفاق على الخطة بمشاوره فضيلة الأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين . ومابين القوسين معدل .

أمثلة من زيادات هذا التحقيق على الطبقات السابقة :

عند فضل البقرة حديث سهل بن سعد .

وفي فضل السبع الطول حديث تأمير صاحب البقرة وهو مكرر .

وعند فصل في نهاية فضل السبع الطول .

وفي الحروف المقطعة حوالي نصف صفحة .

وفي ذلك الكتاب .

وفي نهاية هدى للمتقين حوالي ربع صفحة .

وقبل الغيب حوالي ٣ أسطر .

وفي بداية قصة ذبح البقرة . ثلاثة أسطر .

وهذا مثال للزيادات :

[ وقال فخر الدين الرازي : الأكثرون من أهل الأخبار على أن البيت كان موجودا قبل

إبراهيم على ما روينا فيه من الأحاديث واحتجوا بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ

الْبَيْتِ وَإِسماعيل ﴾ فدل على وجود القواعد قبل ذلك . وفيما قاله نظر ؛ فإنه لم يرد شيء

من الأحاديث المرفوعة تدل على ما ذكره . وفي الاستدلال بما ذكره من الآية نظر ، إذ لا

يلزم وجود القواعد قبل ذلك . والله أعلم . ] ( )

(١) ما بين المعكوفين زيادة من النسخة أ وهي ملحقة فيها على الحاشية ومكتوب عليها : حاشية . وهي موجودة

كذلك في النسخة مك ١/١ مدرجة في الصلب وهذا الموضع من الزيادات على النسخة المطبوعة .

## رموز التحقيق

\*\*\*\*\*

### أولا : النسخ الكاملة

(١) نسخة أيا صوفيا بتركيا :

رمزها : الأصل .

(٢) نسخة الحميدية بتركيا :

رمزها : ح .

### ثانيا : النسخ الناقصة

نسخ مكتبة تشستريتي :

(١) تشستريتي : رقم ٣٤٣٠

رمزها : أ

(٢) تشتريني : رقم ٤٠٥٢

رمزها : ب .

(٣) نسخة مكتبة تشستريتي ومنها صورة بمكتبة الأوقاف ببغداد :

رمزها : العتيقة ١/٣

(٤) نسخ مكتبة الحرم المكي :

الحرم المكي : رقم ٩١

رمزها : مك ١/١ ، مك ١/٢/أ

الحرم المكي : رقم ٩١

رمزها : مك ١/٢/ب

(٥) نسخة مكتبة جاز الله بتركيا :

رمزها : جا

(٦) نسخ مكتبة المحمودية بالمدينة النبوية :

رقم ٢٨٢ : رمزها : مح ١

رقم ١٩٢ : رمزها : مح ١/٢

رقم ١٩٧ : رمزها : مح ٢/٢

رقم ٢٨٠ : رمزها : مح ٣

رقم ٢٨١ : رمزها : مح ١/٤

رقم ٢٨٤ : رمزها : مح ٢/٤

رقم ٢٨٣ : رمزها : مح ٥

رقم ٢٨٥ : رمزها : مح ٦

رقم ١٩٥ : رمزها : مح ٧

رقم ١٩٤ : رمزها : مح ٨

ثالثا : النسخة العتيقة

وهي النسخة التي اعتمدها في المقابلة مع الأصل وهي مجموعة من عدة نسخ ولقدها

سميناها العتيقة

العتيقة ١ : وهي كالأصل من مكتبة آيا صوفيا بتركيا

العتيقة ٢ : من الحمودية وهي المرموز لها : مح ٥

العتيقة ٣ : وهي من : تشستريتي ١/٣ الجزء الرابع ، من المكية ٢/٣ الجزء التاسع والعاشر

العتيقة ٤ : من الحرم المكي

العتيقة ٥ : جار الله

العتيقة ١/٦ : طوب ٥ طوبقو سراي

العتيقة ٢/٦ : الحرم المكي

---

ملحوظة مهمة : كان ينبغي إرفاق صور للمخطوطات ولكن للأسف أنا بعيد عن مكتبي والمخطوطات بما فاعتذر  
للقرءاء والله المستعان .

## مقدمة الحافظ ابن كثير

\*\*\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم (وهو المعين)<sup>(١)</sup>

قال الشيخ الإمام العالم الأوحى ، البارع الحافظ المتقن ، عماد الدين ، أبو الفداء<sup>(٢)</sup> ، إسماعيل بن

الخطيب أبي حفص عمر بن كثير الشافعي \_ (رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين)<sup>(٣)</sup> \_ :

<sup>(٤)</sup> الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد ، فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم

الدين ﴾ [الفاتحة : ٢-٤] وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما

لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا . ماكنين فيه أبدا

. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن

يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف : ١-٥] وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات

والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ [الأنعام : ١] واختتمه بالحمد فقال \_ بعد

ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار \_ : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم

وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [الزمر : ٧٥] ولهذا قال تعالى : ﴿ وهو الله لا إله إلا هو

له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾ [الفصr : ٧٠] كما قال : ﴿ الحمد لله الذي له ما

في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾ [سبا : ١] .

فله الحمد في الأولى والآخرة أي : في جميع ما خلق وما هو خالق ، هو المحمود في ذلك كله كما يقول

المصلي : اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد . ولهذا

يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده ، كما يلهمون النفس أي يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم لما يرون من

عظيم نعمه عليهم وكمال قدرته وعظيم<sup>(٥)</sup> سلطانه وتوالي مننه وإحسانه كما قال تعالى : ﴿ إن الذين

(١) ما بين القوسين ليس في العتيقة . وفي أ : رب يسر وأعن بفضلك يا كريم . وفي مك ١/١ : رب يسر ولا تعسر . وواضح أن هذا من تصرف الناسخ حسب النسخة والله أعلم .

(٢) في العتيقة : أبو الوفاء . وفي أ : أبو الفضل . والأوصاف التي وصف بها الحافظ تختلف من نسخة وأخرى وهو من الناسخ كما سبق أيضا ومما وصف به وليس في النسختين : العلامة المجتهد القدوة علامة العلماء وارث الأنبياء بركة الإسلام حجة الأعلام محيي السنة ... إلى غير ذلك .

(٣) في النسخة العتيقة ولكونها كتبت في حياة الحافظ ابن كثير : حفظه الله بعينه وأمدته بعونه ... ثم يياض به أثر كتابة غير واضحة يتسع لأربع أو خمس كلمات . وكذا في النسخة أ : نفع الله به وأدخله الجنة بمنه وكرمه آمين . وهذا كله من الناسخ كما سبق بيانه .

(٤) هنا بداية كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله .

(٥) على هامش العتيقة : دوام . ورمز لها خ . وهي كذلك في النسخة أ .

آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴿ [يونس : ٩ ، ١٠] .

والحمد لله الذي أرسل رسوله ﴿ مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء : ١٦٥] ، وختمهم بالنبي الأمي العربي المكّي الهادي لأوضح السبل ، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن ، من لدن بعثته إلى قيام الساعة كما قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وقال تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام : ١٩]

فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم ، وأسود وأحمر<sup>(١)</sup> ، وإنس وجان ، فهو نذير له ولهذا قال تعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب<sup>(٢)</sup> فالنار موعده ﴾ [هود : ١٧] . فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى وكما قال : ﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ﴾ [القلم ٤٤ ، ٤٥] .

وقال رسول الله ﷺ : "بعثت إلى الأحمر والأسود"<sup>(٣)</sup> . قال مجاهد : الإنس والجن<sup>(٤)</sup> . فهو صلوات الله وسلامه عليه ، رسول الله إلى جميع الثقيلين الإنس والجن ، مبلغا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢] . وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم<sup>(٥)</sup> إلى تفهمه فقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [النساء : ٨٢] . وقال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ [ص : ٢٩] وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد : ٢٤] .

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله ، وتفسير ذلك ، وطلبه من مظانه ، وتعلم ذلك وتعليمه ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ليبيننه<sup>(٦)</sup> للناس ولا يكتُمونه<sup>(٧)</sup>

(١) قيل : الأسود العرب ، والأحمر العجم . وقيل : الأسود الجن ، والأحمر الإنس . (انظر فتح الباري ١/٤٣٩ ، النهاية في غريب الحديث ١/٣٤٧) وانظر ما يأتي .

(٢) ملحق على العتيقة : أي من جميعها .

(٣) أخرجه مسلم (٣/٥ المصرية) من حديث جابر مطولا ولفظه : "وبعثت إلى كل أحمر وأسود" وأخرجه الحاكم ٢/٤٢٤ من طريق مجاهد عن عبيد بن عمير عن أبي ذر مطولا ولفظه : "أرسلت إلى الأحمر والأسود" . قال مجاهد : الإنس والجن ..... الخ وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرجوا ألفاظا من الحديث متفرقة . وسكت الذهبي .

(٤) أخرجه الحاكم ٢/٤٢٤ كما تقدم وإسناده صحيح .

(٥) ملحق على العتيقة : دعاهم .

(٦) هكذا في النسختين بياء الغيبة وهي قراءة سبعية قرأها أبو عمرو وابن كثير \_ وهو غير المفسر قطعاً \_ وشعبة عن عاصم وأما البقية فقرءوا بناء الخطاب ( انظر الشاطبية ص ٤٧ ، النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٦ ) .

(٧) نظر ما تقدم .

فبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴿ [آل عمران ١٨٧] . وقال تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران ٧٧] .

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا ، بإعراضهم عن كتاب الله إليهم ، وإقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله .

فعلينا . أيها المسلمون . أن تنتهي عما ذمهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا<sup>(١)</sup> وتعليمه ، وتفهمه وتفهمه . قال الله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ [الحديد ١٧، ١٦] . ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها ، كذلك يلين القلوب بالإيمان (والهدى)<sup>(٢)</sup> بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي ، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك إنه جواد كريم .

<sup>(٣)</sup> [فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر ، (وما اختُصر في مكان فإنه قد بُسط في مكان آخر) <sup>(٤)</sup> ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن<sup>(٥)</sup> . قال الله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ [النساء ١٠٥] وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل ٤٤] وقال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [النحل ٦٤] ولهذا قال رسول الله ﷺ : " ألا

(١) في الأصل : علينا . والمثبت من العتيقة ، أ ، وغيرها .

(٢) زيادة من العتيقة ، أ ، وغيرها .

(٣) بداية النسخة ب ، ومن بداية هذا الكلام وحتى المعكوف الآخر بنصه إلا كلمات يسيرة ؛ في مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٩٣-١٠٥ . ولعل المصنف لم يصرح بنقله عنه لما سبق ذكره في المقدمة من محنة مر بها شيخ الإسلام وامتنحن ابن كثير بسبب حبه له فله لم يرد التصريح به هكذا في بداية كتابه وإن كان قد صرح بالنقل عنه في أماكن أخرى كما سيأتي .

(٤) زيادة من العتيقة ، أ ، وغيرها وهي ملحقة على هامش ب بخط المصنف . وهي في مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣ بنحوها .

(٥) نص كلام الشافعي في الرسالة ص ٩١ : ولسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان : أحدهما : نص كتاب ، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله . والآخر : جملة ، بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة... وكلاهما اتبع فيه كتاب الله... الخ . وقال قبل ذلك (ص ٨٨) : وما سن رسول الله فيما ليس لله فيه حكم ، فبحكم الله سنه.. الخ .

إني أوتيت القرآن ومثله معه " <sup>(١)</sup> يعني : السنة .

والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي ، كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن . وقد استدلل الإمام الشافعي <sup>(٢)</sup> رحمه الله وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك .

فالغرض <sup>(٣)</sup> أنك تطلب تفسير القرآن منه <sup>(٤)</sup> ، فإن لم تجده فمن السنة ، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجده ؟ قال : أجتهد برأيي قال : فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله " . وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد كما هو مقرر في موضعه <sup>(٥)</sup> .

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدري بذلك ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبرائهم ، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .  
<sup>(٦)</sup> وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : ثنا أبو كريب ، ثنا جابر بن نوح ، ثنا الأعمش ، عن أبي الضحى <sup>(٧)</sup> ، عن مسروق قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - <sup>(٨)</sup> : والذي لا إله غيره ما نزلت آية في <sup>(٩)</sup> كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم <sup>(١٠)</sup> نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله

(١) أخرجه أحمد ٤/١٣٠ بلفظه وأبو داود ٤/٢٠٠ بنحوه مطولا عن المقدم بن معديكرب ، وأخرجه ابن ماجه ١/٦١ والترمذي ٥/٣٨ وغيرهما من طريق آخر عنه بدون الشاهد ، وقال الترمذي : حسن غريب وقال الألباني : سنده صحيح (انظر تحريج المشكاة ١٦٣) ، وقال أحمد شاکر : حديث صحيح (التعليق على الرسالة ص ٩١) .

(٢) انظر الرسالة ٩٢-٩٣ .

(٣) في العتيقة : والغرض .

(٤) ملحق على العتيقة : القرآن .١.هـ أي : من القرآن نفسه .

(٥) أخرجه أحمد ٥/٢٣٠ وأبو داود ٤/١٨ والترمذي ١٣٢٨ وغيرهم وقال الترمذي : لا نعرفه من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل . وقال ابن حزم : حديث ساقط وقال أيضا : ظاهر الكذب والوضع . ونقل عن البخاري قوله : لا يصح (الإحكام ص ١٢٦٦، ١٢٦٥) وقال الألباني : منكر . وله حوله كلام مطول غاية في التحرير ذكر فيه عشرة من أئمة الحديث صرحوا بتضعيفه ( انظر : الضعيفة ٨٨١) وقال الشيخ مقبل \_ بعد أن ذكر من قبله ومن حكم بوضعه \_ : والحق أنه لا يثبت سندنا ومثنا .١.هـ (التعليق على تفسير ابن كثير ٩/١) وليس من القرآن شيء إلا وهو مفتقر لبيان السنة ، فليس المراد من الحديث \_ لو صح \_ أو من كلام ابن كثير أو ابن تيمية \_ الترتيب ، وإنما المراد الجمع بين الكتاب والسنة في تفسير القرآن وبيانه لأن كلاهما وحي .

(٦) على هامش العتيقة : ثم . ورمز لها : ط .

(٧) في المصدر "عن مسلم" وهو اسم أبي الضحى الكوفي .

(٨) قوله : يعني ابن مسعود ليس في المصدر .

(٩) في النسختين ، أ ، ب "من" والمثبت من المصدر .

مني تناله المطايا لأيتته<sup>(١)</sup> .

وقال الأعمش - أيضا - : عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا<sup>(٣)</sup> بما فيها من العمل ؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعا<sup>(٤)</sup> .

ومنهم الخبر البحر عبد الله بن عباس<sup>(٥)</sup> ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن وبركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن جرير : ثنا محمد بن بشار، ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم قال : قال عبد الله \_ يعني ابن مسعود \_ : نعم ترجمان القرآن ابن عباس<sup>(٧)</sup> .

ثم رواه عن يحيى بن داود ، عن إسحاق الأزرق ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس<sup>(٨)</sup> .

ثم رواه عن بُندار<sup>(٩)</sup> ، عن جعفر بن عون ، عن الأعمش به كذلك<sup>(١٠)</sup> .

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة<sup>(١١)</sup> . وقد مات ابن مسعود ﷺ

(١) في النسختين ، أ ، ب " فيمن" والمثبت من المصدر .

(٢) التفسير ٨٠/١ وأخرجه البخاري بنحوه ٤٠/٩ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٨٠/١ وإسناده صحيح . وأخرجه الحاكم ٥٥٧/١ ، والبيهقي في الشعب ٥١٠/٤ من طريق آخر بنحوه . وصححه الحاكم وسكت الذهبي .

(٤) في الأصل (يعلموا) والمثبت من العتيقة وغيرها والمصدر .

(٥) هذا الأثر غير موجود في مقدمة ابن تيمية ، وقد أخرجه ابن جرير ٨٠/١ وإسناده صحيح .

(٦) على هامش العتيقة : قال ابن عباس إنه ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءا فلما خرج قال : من وضع هذا ؟ فأخبر . فقال : اللهم فقهه في الدين .

(٧) قال ابن حجر : وهذه اللفظة اشتهرت على الألسنة ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) حتى نسبها بعضهم للصحاحين ولم يصب ، والحديث عند أحمد بهذا اللفظ ... وعند الطبراني وأوله في هذا الصحيح دون قوله : " وعلمه التأويل " ( انظر الفتح ٨٠/٧ ) وقد أخرجه أحمد ٢٦٦/١ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، والحاكم ٥٣٤/٣ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وسكت الذهبي . وقال الشيخ مقبل : على شرط مسلم (التفسير ١٠/١) .

(٨) التفسير ٩٠/١ وإسناده صحيح كما سيأتي .

(٩) في المصدر ٩٠/١ : " نعم ترجمان القرآن" .

(١٠) بُندار \_ بضم الباء \_ لقب محمد بن بشار وهي كلمة أعجمية معناها : من في يده ديوان الخراج . وإنما قيل له ذلك لأنه جمع حديث بلده ( انظر حاشية التهذيب ٧٠/٩) .

(١١) التفسير ٩٠/١ .

(١٢) وصحح إسناده أيضا ابن حجر وعزاه للبسوي وابن سعد (انظر الفتح ٨٠/٧) ، وقد أخرجه الحاكم ٥٣٧/٣ مطولا ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وسكت الذهبي .



ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستهناد لا للاعتضاد<sup>(١)</sup> فإنها على ثلاثة أقسام :  
أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق ؛ فذاك صحيح .  
والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : مما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ، ولا نكذبه ونجوز  
حكايته لما تقدم<sup>(٢)</sup> . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا تختلف علماء أهل الكتاب  
في مثل هذا كثيرا ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك . كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب  
الكهف ، ولون كلبهم ، وعدتهم ، وعصا موسى من أي شجر<sup>(٣)</sup> كانت ، وأسماء الطيور التي أحيها الله  
لإبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى ، إلى  
غير ذلك ، مما أجمه الله في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ،  
ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة  
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا  
تمار فيهم إلا مرءا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا ﴾ [الكهف ٢٢] . فقد اشتملت هذه الآية الكريمة  
على الأدب في هذا المقام ، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر<sup>(٤)</sup> عنهم بثلاثة أقوال ؛  
ضعف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما . ثم  
أرشد إلى<sup>(٥)</sup> أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا : ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ﴾ فإنه  
ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلع الله عليه فلهذا قال : ﴿ فلا تمار فيهم إلا مرءا ظاهرا ﴾  
أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم  
الغيب . فهذا أحسن ما يكون في<sup>(٦)</sup> حكاية الخلاف ، أن نستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن ننبه  
على الصحيح منها ، ونبطل<sup>(٧)</sup> الباطل ، ونذكر فائدة الخلاف وثمرته ، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا  
فائدة تحته ، فنشتغل به عن الأهم .

(١) الاستشهاد : طلب الشهادة ، والاعتضاد : التقيؤ والاستعانة (انظر اللسان ٤/٢٩٨٣، ٢٣٤٨) كأنه أراد : ليكون ذلك شاهدا  
عليهم على صدق الرسول ﷺ ، لا ليقوى بذلك صحة الخبر لدينا .

(٢) ملحق على العتيقة : من الحديث .

(٣) في مقدمة ابن تيمية : الشجر .

(٤) ملحق على العتيقة ، وعلى هامش ب : حكى . ورمز لها فيهما خ . وهي في أ : حكى عنهم ثلاثة ... إلخ

(٥) في الأصل : على . والمثبت من العتيقة ومقدمة ابن تيمية .

(٦) في الأصل : من والمثبت من العتيقة ومقدمة ابن تيمية .

(٧) في الأصل : وتبطل . والمثبت من العتيقة ، ب وغيرها . أما في مقدمة ابن تيمية فقد جاء : " تستوعب ، ينبه ، يبطل ، تذكر"  
بالبناء لما لم يسم فاعله ، وهكذا هي في النسخة أ .

فأما من حكى خلافا في مسألة<sup>(١)</sup> ، ولم يستوعب أقوال الناس فيها ، فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه . أو يحكي الخلاف ، ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال ، فهو ناقص أيضا . فإن صحح غير الصحيح عامدا ؛ فقد تعمد الكذب ، أو جاهلا ؛ فقد أخطأ . وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالا متعددة لفظا ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى ؛ فقد ضيع الزمان ، وتكثر بما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور<sup>(٢)</sup> . والله الموفق للصواب .

(قال سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد : كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن قال به ، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ خير قال به ، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فإن لم يكن اجتهد رأيه)<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

### فصل

إذا لم تجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر ، فإنه كان آية في التفسير كما قال محمد بن إسحاق : ثنا<sup>(٥)</sup> أبان بن صالح عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن جرير : ثنا أبو كريب ، ثنا طلق بن غنام ، عن عثمان المكي ، عن ابن أبي مليكة قال : رأيت مجاهدا (يسأل ابن عباس)<sup>(٧)</sup> عن تفسير القرآن ومعه ألواحه قال : فيقول له ابن عباس : اكتب حتى سأله عن التفسير كله<sup>(٨)</sup> .

ولهذا كان سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به<sup>(٩)</sup> .

(١) في الأصل : في مثله . والمثبت من العتيقة والمقدمة .

(٢) ورد في الحديث : "المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور" . أخرجه البخاري ٢٦٠/٩ (الفتح) ومسلم ١١٠/١٤ (المصرية) ومعناه : المتكثر بما ليس عنده \_ بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده \_ مذموم مرتين ؛ مرة لفقدان ما يتشعب به ، وأخرى لإظهار الباطل . لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ ، وعلى غيره بما لم يعط .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة ، ومن هامش النسخة أ حيث كتب قبلها : حاشية من خط للمؤلف . وهي كذلك على هامش ب بخط الحافظ رحمه الله . وهذا النص ليس في مقدمة شيخ الإسلام . والأثر أخرجه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور عن سفيان به . ومن طريقهما ابن حزم في الإحكام ١٠٠٥ وصحح إسناده أحمد شاكر وهو كما قال .

(٤) هنا على هامش ب : بلغ والحمد لله مع المقابلة على ... ثم طمس ولعله : المصنف مع أصله .

(٥) كذا في النسختين ، وفي مقدمة ابن تيمية : حدثنا أبان . وفي الطبري : عن أبان .

(٦) أخرجه ابن جرير ٩٠/١ ، والحاكم ٢٧٩/٢ وفيه : سمع أبان ، فالإسناد حسن (وانظر الصحيح المثلوث ١٢٢/١-١٣) ووقع بعده في مقدمة ابن تيمية أثرا آخران .

(٧) في الأصل : سأل . والمثبت من المصدر والعتيقة وهامش ب ومقدمة ابن تيمية .

(٨) التفسير ٩٠/١ وإسناده صحيح (وانظر الصحيح المثلوث ١٢/١).

(٩) أخرجه ابن جرير ٩١/١ وإسناده صحيح .

وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين، وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية، فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافا، فيحكيها أقوالا، وليس كذلك؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح. أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة. فإن اختلفوا فلا يكون (قول)<sup>(١)</sup> بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن<sup>(٢)</sup>، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة<sup>(٣)</sup> في ذلك.<sup>(٤)</sup>

<sup>(٤)</sup> [فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير رحمه الله حيث قال: ثنا محمد بن بشار حدثني ابن سعيد ثنا سفيان، ثنا عبد الأعلى — هو ابن عامر الثعلبي —، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(٥)</sup>.

وهكذا أخرجه الترمذي، والنسائي من طرق، عن سفيان الثوري به. ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وهكذا رواه ابن جرير أيضا عن يحيى بن طلحة اليربوعي، عن شريك، عن عبد الأعلى به مرفوعا<sup>(٦)</sup>.

ولكن رواه عن محمد بن حميد، عن الحكم بن بشير عن عمرو<sup>(٧)</sup> بن قيس الملائي عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن ابن عباس فوقفه<sup>(٨)</sup>. وعن محمد بن حميد، (عن جرير)<sup>(٩)</sup>، عن ليث، عن بكر، عن

(١) زيادة من العتيقة وغيرها ومقدمة ابن تيمية.

(٢) أي: تفسير القرآن بالقرآن. وليس المراد اللغة العربية فإنه سيذكرها فيما يلي بعد السنة.

(٣) الأولى تقديم أقوال الصحابة على اللغة في هذه العبارة كما يقتضيه تفصيل كلام الحافظين ابن تيمية وابن كثير السابق.

(٤) إلى هنا انتهى النقل نصا من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠٥.

(٥) من هنا إلى المعكوف الآخر منقول من مقدمة في أصول التفسير بشيء من التصرف (انظر ص ١٠٥-١١٥).

(٦) التفسير ٧٧/١-٧٨ بأسانيد مدارها على عبد الأعلى.

(٧) سنن الترمذي ٢٩٥٢، النسائي الكبرى ٨٠٨٤، أبو داود ٣٦٥٢، تفسير ابن جرير ٧٧/١، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه أحمد شاکر. وفي إسناده عبد الأعلى وقد تكلموا فيه. وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٥٧٤٩) وهو محتمل للتحسين بشاهده الآتي عن جندب، وقد احتج به ابن حزم (انظر الإحكام ١٠١٥).

(٨) في الأصل: عمر. والمثبت من العتيقة والمصدر وانظر ترجمته في التقريب ٥١٠٠.

(٩) التفسير ٧٧/١ وفيه محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف. وقد أخرجه ابن أبي شيبة من غير طريقه موقوفا أيضا ٥١٢/١٠.

(١٠) زيادة من العتيقة، أ، ب، والمصدر.

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس من قوله .<sup>(١)</sup> فالله أعلم .

وقال ابن جرير : ثنا العباس بن عبد العظيم العنبري ، ثنا حبان<sup>(٢)</sup> بن هلال ، ثنا سهيل أخو حزم ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن جندب أن رسول الله ﷺ قال : " من قال بالقرآن برأيه فقد أخطأ " .<sup>(٣)</sup> وقد روى هذا الحديث أبو داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطعي . وقال الترمذي : غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل<sup>(٤)</sup> .

وفي لفظ لهم : " من قال في كتاب الله برأيه ، فأصاب فقد أخطأ " . أي : لأنه قد تكلف ما لا علم له به ، وسلك غير ما أمر به ، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ ، لأنه لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر ، لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ ، والله أعلم . وهكذا سمي الله القذفة كاذبين فقال : ﴿ فياذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ [النور ١٣] فالقاذف كاذب ، ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر ؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ، ولو كان أخبر بما يعلم<sup>(٥)</sup> (لأنه)<sup>(٦)</sup> تكلف ما لا علم له به . والله أعلم .

ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به ، كما روى شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبي معمر<sup>(٧)</sup> قال : قال أبو بكر الصديق ﷺ : أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، إذا قلت في كتاب الله بما لم أعلم<sup>(٨)</sup> .<sup>(٩)</sup>

(١) التفسير ٧٨/١ وإسناده ضعيف أيضا .

(٢) في الأصل : حسان . والمثبت من العتيقة ، أ ، ب والمصدر . وهو حبان \_ بحاء مهملة مفتوحة بعدها موحدة \_ بن هلال ، وانظر ترجمته في التقريب ١٠٦٩ .

(٣) التفسير ٧٩/١ .

(٤) سنن الترمذي ٢٩٥٣ ، النسائي الكبرى ٨٠٨٦ ، أبو داود ٣٦٥٢ ، وقال الألباني : ضعيف (ضعيف الجامع ٥٧٤٨)

(٥) في العتيقة : لا يعلم . وملحق عليها : وقوعه وهو واقع . ا.هـ والصواب عدم وجود " لا " كما في بقية النسخ وهو الموافق للسياق .

(٦) زيادة من العتيقة ، أ ، ب ، ومقدمة ابن تيمية .

(٧) في الأصل : معبد . والمثبت من العتيقة ، أ ، ب والمصدر ومقدمة ابن تيمية . وهو عبد الله بن سخريرة الأزدي صاحب ابن مسعود ثقة أرسل عن أبي بكر الصديق (انظر التهذيب ٢٣٠/٥ ، سؤالات الدارقطني ص ٣٤)

(٨) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وابن حزم في الإحكام ١٠١٨ من طريق شعبة به . وأخرجه ابن جرير من طريق آخر عن أبي معمر به . وفيه انقطاع ، لكن يشهد له ما أخرجه عبد بن حميد ومن طريقه ابن حزم من طريق ابن أبي مليكة عن أبي بكر بنحوه . وقد احتج به ابن حزم . وانظر أيضا ما يأتي .

(٩) هنا على هامش ب : بلغ والحمد لله تعالى .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : ثنا محمد<sup>(١)</sup> بن يزيد ، عن العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله : ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ [عيس ٣١] فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم .<sup>(٢)</sup> منقطع .

وقال أبو عبيد أيضا : ثنا يزيد ، عن حميد ، عن أنس ، أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا هو التكلف يا عمر<sup>(٣)</sup> .

وقال عبد بن حميد : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي ظهر قميصه أربع رقاع فقرأ : ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ فقال : ما الأب ؟ ثم قال : إن هذا هو التكلف ، فما عليك أن لا تدريه<sup>(٤)</sup> .

وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب ، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل لقوله : ﴿ فأنبتنا فيها حبا وعنبا ﴾ الآية [عيس ٢٧ ، ٢٨] .

وقال ابن جرير : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا ابن عُلَية<sup>(٥)</sup> ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية ، لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبي أن يقول فيها<sup>(٦)</sup> . إسناده صحيح .

وقال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة قال : سألت رجل ابن عباس ، عن يوم كان مقداره ألف سنة ، فقال له ابن عباس : فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال الرجل : إنما سألتك لتحدثني . فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه<sup>(٧)</sup> ، الله أعلم بهما . فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم<sup>(٨)</sup> .

(١) في النسختين محمود ، ب وغيرها ، والمثبت من أ ، والمصدر ومقدمة ابن تيمية ، وهو الصواب وهو محمد بن يزيد الكلاعي الواسطي وهو من شيوخ أبي عبيد كما في تهذيب الكمال ١١٠٩ (انظر ترجمته في التقريب ٦٤٠٣)

(٢) فضائل القرآن ص ٢٢٧ ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥١٣/١٠ . وهو منقطع كما قال الحافظ ابن كثير إلا أنه يشهد له ما قبله .

(٣) فضائل القرآن ص ٢٢٧ ورواه ابن أبي شيبة ٥١٢/١٠ ، والحاكم ٥١٤/٢ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وسكت الذهبي . وهو في الصحيح بغير هذا اللفظ ، وانظر ما يأتي .

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٩٣ مختصرا بنحوه .

(٥) بضم العين المهملة وفتح اللام : هو إسماعيل بن إبراهيم الآتي في السند التالي ، وعلية اسم أمه وقيل : جدته .

(٦) التفسير ٨٦/١ وإسناده صحيح كما ذكر الحافظ وانظر ما بعده .

(٧) يعني قوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج : ٤٤] ، وقوله : ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ [السجدة : ٥] .

(٨) فضائل القرآن ص ٢٢٨ ، وأخرجه ابن جرير ٧٢/٢٩ وإسناده صحيح . وصححه الشيخ مقبل ١٤/١ ، وسيأتي تصحيح هذا الأثر وما بعده جملة واحدة في كلام الحافظ .

ويبدو أن ابن عباس كره سؤال الرجل لعله فيه ، وإلا فقد فسر هذين اليومين (وانظر فتح الباري ٤٥١/٨ - ٤٥٣) .

وقال أيضا ابن جرير : حدثني يعقوب \_ يعني ابن إبراهيم \_ ثنا ابن عليّة ، عن مهدي بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله ، فسأله عن آية من القرآن ، فقال له : أحرج<sup>(١)</sup> عليك إن كنت مسلما لها<sup>(٢)</sup> قمت عني \_ أو قال : أن تجالسني<sup>(٣)</sup> .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول في القرآن شيئا<sup>(٤)</sup> .

وقال الليث : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم<sup>(٥)</sup> من القرآن<sup>(٦)</sup> . وقال شعبة : عن عمرو بن مرة قال : سألت رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء \_ يعني عكرمة<sup>(٧)</sup> .

وقال ابن شوذب : حدثني يزيد بن أبي يزيد قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن ، سكت كأن لم يسمع<sup>(٨)</sup> .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبدة الضبي ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا عبيد الله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليعظمون القول في التفسير . منهم سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع<sup>(٩)</sup> .

وقال أبو عبيد : ثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن هشام ، عن عروة قال : ما سمعت أبي تأول آية من كتاب الله قط<sup>(١٠)</sup> .

وقال أيوب ، وابن عون ، وهشام الدستوائي ، عن محمد بن سيرين : سألت عبيدة (يعني<sup>(١١)</sup>) السَّلْمَانِي عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن ، فأتق الله ، وعليك

(١) ملحق على العتيقة : أضيّق ١.٥. والمراد : أجعلك في حرج أي ضيق وإثم .

(٢) في الأصل : إلا ما . والمثبت من العتيقة وغيرها والمصدر ومقدمة ابن تيمية . وملحق على العتيقة : أي إلا .

(٣) التفسير ٨٦/١ وإسناده صحيح إلى الوليد بن مسلم إلا أنه لم يحضر القصة ، ولم يصرح بسماعها من طلق ، فظاهرها الانقطاع لا سيما والوليد مدلس كما هو مشهور . ولو صحت الرواية حملت على أن السائل سأل عن المتشابه الذي لا يتبعه إلا من في قلبه زيغ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٨٥/١ وأبو عبيد ٢٢٨ وإسناده صحيح ، وصححه الشيخ مقبل ١٤/١ .

(٥) في الأصل : "العلوم" والمثبت من العتيقة وغيرها والمصدر ومقدمة ابن تيمية .

(٦) أخرجه ابن جرير ٨٦/١ وإسناده صحيح ، وانظر ما قبله .

(٧) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ ، وأبو عبيد ٢٢٨ ، وابن أبي شيبة ٥١١/١٠ وإسناده صحيح . وعكرمة كما هو معلوم تلميذ ابن عباس ، وقد ورث علمه ، ويبدو أن سعيدا كان يتورع عن الإكثار من التفسير ، ولا يحدث إلا بما سمع فيه . كما في الأثر الآتي .

(٨) أخرجه ابن جرير ٨٦/١ وإسناده صحيح . وابن شوذب اسمه عبد الله .

(٩) التفسير ٨٥/١ ، وقال الشيخ مقبل : سنده صحيح (١٥/١) وهو كما قال . وعبيد الله \_ مصغرا \_ ابن عمر هو ابن حفص الغمري .

(١٠) الفضائل ٢٢٩ وإسناده حسن للكلام في عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد .

(١١) زيادة من العتيقة ، أ ، ب .

بالسداد<sup>(١)</sup> .

وقال أبو عبيد : ثنا معاذ عن ابن عون عن عبد الله<sup>(٢)</sup> بن مسلم بن يسار ، عن أبيه قال : إذا حدثت عن الله (حديثاً)<sup>(٣)</sup> فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده<sup>(٤)</sup> .

حدثنا<sup>(٥)</sup> هُشَيْم عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه<sup>(٦)</sup> .

وقال شعبة : عن عبد الله بن<sup>(٧)</sup> أبي السفر قال : قال الشعبي : والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ، ولكنها الرواية عن الله عز وجل<sup>(٨)</sup> .

وقال<sup>(٩)</sup> أبو عبيد ثنا هُشَيْم أنا عمر<sup>(١٠)</sup> بن أبي زائدة ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله<sup>(١١)</sup> .

فهذه الآثار الصحيحة<sup>(١٢)</sup> وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير ، بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا ، فلا حرج عليه ، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير . ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد . فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ؛ فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ، لقوله تعالى : ﴿ لِيبيننه للناس ولا يكتمونه ﴾<sup>(١٣)</sup> [آل عمران ١٨٧] ، ولما جاء في الحديث المروي

(١) أخرجه ابن جرير ٨٦/١ وأبو عبيد ٢٢٨ وابن أبي شيبة ٥١١/١٠ وإسناده صحيح وصححه مقبل ١٥/١ . وعبيدة : بوزن قبيلة ، والسلماني : بسكون اللام ، وقيل : بفتحها .

(٢) في الأصل والعتيقة ، ب ، ومقدمة ابن تيمية (عبيد الله) بالتصغير والمثبت من أ ، والمصدر . وهو عبد الله بن مسلم بن يسار البصري روى عنه ابن عون وغيره من الثقات ذكره البخاري وابن أبي حاتم ووثقه ابن حبان ( التاريخ ١٩١/٥ ، الجرح والتعديل ١٦٥/٥ ، الثقات ١٣/٧ ، ٦٠/٥ )

(٣) زيادة من أ ، والمصدر .

(٤) فضائل القرآن ص ٢٢٩ وإسناده حسن .

(٥) القائل حدثنا هو أبو عبيد .

(٦) فضائل القرآن ص ٢٢٩ وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٢٢/٤ وإسناده صحيح . وصححه مقبل ١٥/١ .

(٧) في الأصل : عن ، والمثبت من العتيقة وغيرها والمصدر ومقدمة ابن تيمية .

(٨) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وإسناده صحيح ، وقال مقبل : رجاله ثقات ١٥/١ .

(٩) في الأصل "حدثنا" والمثبت من العتيقة ، أ ، ب .

(١٠) في الأصل (عمرو) والمثبت من العتيقة ، أ ، ب ، والمصدر ومقدمة ابن تيمية ، وهو عمر بن أبي زائدة الهمداني من رجال البخاري ومسلم كما في التقريب (٤٨٩٧) وهو أخو زكريا بن أبي زائدة وقد وقع الشيخ مقبل في وهم بسبب التصحيف فليضبط مما هنا .

(١١) الفضائل ص ٢٢٩ . وإسناده صحيح . وقد صححه الحافظ كما سيأتي .

(١٢) هذا تصحيح من ابن كثير لكل ما تقدم من آثار كما أشرنا من قبل .

(١٣) تقدم ضبط هذه الآية وذكر من قرأ بها هكذا .

من طرق : " من سئل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار " (١).

فأما الحديث الذي رواه أبو جعفر ابن جرير : ثنا عباس بن عبد العظيم ، ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، ثنا جعفر بن محمد الزبيرى ، حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : ما كان النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد ، علمهن إياه جبريل عليه السلام .  
ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي (٢) ، عن معن بن عيسى ، عن جعفر بن خالد ، عن هشام به (٣) . فإنه حديث منكر غريب . وجعفر هذا : هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيرى . قال البخاري : لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي : منكر الحديث (٤) .

وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله : أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى ، مما وقفه عليها جبريل . وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث ، فإن من القرآن ما استأثر الله بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهله . كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير :

ثنا محمد بن بشار ، ثنا مؤمل ، ثنا سفيان ، عن أبي الزناد قال : قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله (٥) .

قال ابن جرير : وقد روي نحوه في حديث في إسناده نظر :

(١) من هذه الطرق ما أخرجه أحمد ٢٦٣/٢ ، ٣٠٥ ، ٣٥٣ ، ٤٩٥ ، والترمذي ٢٦٤٩ ، وأبو داود ٣٦٥٨ ، وابن ماجه ٢٦١ ، والحاكم ١٠١/١ عن أبي هريرة . وهو حديث صحيح حسنه الترمذي وصححه الحاكم على شرط الشيخين وسكت الذهبي . وأخرجه أيضا الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال : إسناده صحيح لا غبار عليه . وسكت الذهبي . وقد صححه أحمد شاكر والألباني (انظر مرويات ابن ماجه ص ٤٠ ، ص ١٠٨ ، مرويات أحمد ١١١/١) .

(٢) في الأصل "الطرشوشي" ، وفي أ : الطرسوسي ، والمثبت من العتيقة ، ب ، والمصدر ، نسبة إلى طرسوس \_ بفتح تين \_ مدينة بتغور الشام (انظر معجم البلدان ٢٨/٤) .

(٣) التفسير ٨٤/١ ، وأخرجه أبو يعلى ٢٣/٨ وفيه : عن فلان بن محمد بن خالد ، والبزار (كشف الأستار ٢١٨٥ ، مختصر الزوائد ٧٤/٢) وفيه : عن حفص ، بدلا من جعفر . وهو تصحيف من الراوي ، وقال الهيثمي : فيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما وبقية رجاله رجال الصحيح (الجمع ٣٠٣/٦) يعني بالراوي : جعفر بن خالد . والحديث ضعيف كما يفيد كلام ابن كثير .

(٤) جعفر المذكور ذكره البخاري في التاريخ ١٨٩/٢ وسكت عنه ، وكذا ابن أبي حاتم ٤٨٧/٢ ، وذكره ابن حبان في الثقات ١٢٣/٦ ، وانظر النقول في تضعيفه (اللسان ١٢٤/٢ ، الضعفاء للذهبي ص ١٣٤ ، الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ١٧٢/١) .

(٥) التفسير ٧٥/١ ورجاله ثقات ، إلا أنه منقطع فإن أبا الزناد لم يدرك ابن عباس ، وربما كانت الوسطة بينهما الأعرج على الجادة ، فيحتمل التحسين لا سيما مع جزم ابن كثير بنسبته لابن عباس كما تقدم . ويؤيده ما يأتي .

وقد وقع في بعض النسخ غير المعتمدة زيادة الأعرج بينهما وقد نبهت على ذلك في المقدمة .

(٦) إلى هنا انتهى النقل من مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية بتصرف من المؤلف .

حدثني يونس بن عبد الأعلى الصديقي ، أنا ابن وهب ، سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي ، عن أبي صالح (مولى)<sup>(١)</sup> أم هانئ ، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال : " أنزل القرآن على أربعة<sup>(٢)</sup> أحرف ، حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به ، [وتفسير تفسره العرب]<sup>(٣)</sup> ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله (عز وجل)<sup>(٤)</sup> ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب<sup>(٥)</sup> . والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي ، فإنه متروك الحديث<sup>(٦)</sup> لكن قد يكون إنما وهم في رفعه ، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم .<sup>(٧)</sup>

(١) الذي في النسختين ، ب : عن ، والمثبت من أ ، والمصدر . والجادة ما أثبتناه فإن الكلبي يروي عن أبي صالح عن ابن عباس مباشرة بدون واسطة أم هانئ .

(٢) كذا في المصدر ، أ ، وهو موافق للسياق . والذي في الأصل والعتيقة وغيرها : (سبعة) وقد شرح على هامش العتيقة : اختلفوا في المراد بالسبعة الأحرف وأصح الأقوال وأقربها إلى معنى الحديث قول من قال : هي كيفية النطق بكلماته من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة ومد وهمز وتلين فإن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيفسر الله عليهم ليقرأ كل بما يوافق لغته . قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام . ١. هـ .

وما في النسختين لا يمتنع إلا أن العبرة بما في المصدر والله أعلم .

(٣) سقط من الأصل والمثبت من العتيقة ، أ ، ب ، والمصدر .

(٤) ما بين القوسين ليس في المصدر .

(٥) التفسير ١/٧٦ .

(٦) قال الحافظ ابن حجر عنه : النسابة المفسر ، متهم بالكذب ورمي بالرفض (التقريب ٥٩٠١) وفي إسناده الحديث أيضا أبو صالح باذام \_ أو باذان \_ مولى أم هانئ قال الحافظ : ضعيف (التقريب ٦٣٤) .

(٧) هنا في أ : كتاب فضائل القرآن \_ وبعد أن نقل الحافظ أثرا عن ابن عباس قال : ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهدا بدأ به ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها ليكون ذلك باعنا على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه والله المستعان . وقد فصلت الكلام عن كتاب الفضائل في المقدمة فليراجع هناك . وعلى هامش ب : بلغ مقابلة على أصل المصنف .

## سورة الفاتحة

<sup>(1)</sup>وهي مكية (قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية) وقيل : مدنية ( قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري ) ويقال : نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والأول أشبهه (لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا

( ) مكان نزول السور قال أبو بكر بن الأنباري ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا حجاج بن منهال ثنا همام عن قتادة قال نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و يا أيها النبي لم تحرم إلى رأس العشر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة عدد الآيات والكلمات والحروف فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال فمنهم من لم يزد على ذلك ومنهم من قال ومائتي آية وأربع آيات وقيل وعشرة آية وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية وقيل ومائتان وست وثلاثون حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصيناه من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا وقال سلام أبو محمد الحماني إن الحجاج جمع القراءة والحفاظ والكتاب فقال اخبروني عن القرآن كله كم حرف هو قال فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعمائة ألف وسبعمائة وأربعون حرفا قال فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف وليلطف وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى مائة من الشعراء والثالث إلى آخره وسبعة الأول إلى الدال من قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد والسبع الثاني إلى التاء في قوله تعالى في سورة الأعراف أولئك حبطت والثالث إلى الألف الثانية من قوله تعالى في الرعد أكلها والرابع إلى الألف في الحج من قوله جعلنا منسكا والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب وما كان لمؤمن ولا مؤمنة والسادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح الظانين بالله ظن السوء والسابع إلى آخر القرآن قال سلام أبو محمد علمنا ذلك في أربعة أشهر قالوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن فالأول إلى آخر الأنعام والثاني إلى وليلطف من سورة الكهف والثالث إلى آخر الزمر والرابع إلى آخر القرآن وقد حكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه البيان خلافا في هذا كله والله اعلم التحزيب والتجزئة وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل حتى تحتم معنى السورة فصل واختلف في معنى السورة مما هي مشتقة فقيل من الإبانة والارتفاع قال النابغة ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دوها يتذبذب فكان القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البنيان وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه مأخوذ من أسرار الإناء وهو البقية وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وقيل لتمامها وكما لها لأن العرب يسمون الناقاة التامة سورة قلت ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لأنها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنزله ودوره وجمع السورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سور وسوارات وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصالها أي هي بائنة عن أختها ومنفردة قال الله تعالى إن آية ملكه وقال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لسته أعوام وذا العام سابع وقيل لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بأيامهم أي بجماعاتهم قال الشاعر خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بأياتنا نزجي اللقاح المطافلا وقيل سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمنزلها قال سيبويه وأصلها أئية مثل أكمة وشجرة تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة وقال الكسائي أصلها آئية على وزن أمنة فقلبت ألفا ثم حذفت لالتباسها وقال الفراء أصلها أئية فقلبت ألفا كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آي وآيات وآيات وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما و لا ونحو ذلك وقد تكون أكثر وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل ليستخلفنهم و أنلزمكموها و فأسقيناكموه وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والفجر والضحي والعصر وكذلك الم و طه و يس و حم في قول الكوفيين و حم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول هذه فواتح السور وقال أبو عمرو الداني لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى مداهمتان بسورة الرحمن لغة القرآن فصل قال القرطبي أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية وأجمعوا أن فيه أعلاما من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية

من المثنائي ) والله (تعالى) أعلم . (وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا نقله القرطبي عنه )

وهي سبع آيات بلا خلاف (وقال عمرو بن عبيد ثمان وقال حسين الجعفي ستة وهذا القولان شاذان) وإنما اختلفوا في البسمة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو المشهور عن جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف ، أو بعض آية ، أو لا تعد من أولها بالكلية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء ، على ثلاثة أقوال سيأتي تقريرها<sup>(١)</sup> في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قالوا : وكلما تحا خمس وعشرون كلمة وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفا .

قال البخاري في أول كتاب التفسير (قبل) : وسميت أم الكتاب (لأنه) أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وقيل : إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته .

قال ابن جرير : والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع؛ أما . فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ : أم الرأس ، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها : أما . واستشهد بقول ذي الرمة :

على رأسه أم لنا نفتدي بها      جماع أمور لا نعاصي له<sup>(٢)</sup> أمرا

يعني : الرمح . قال : وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها ، وجمعها ما سواها . وقيل : لأن الأرض دحيت منها<sup>(٣)</sup> . ويقال لها أيضا : الفاتحة لأنها تفتح بها القراءة ، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام . وضح تسميتها بالسبع المثنائي قالوا : لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة ، وإن كان للمثنائي معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله (تعالى) .

فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات ١ سورة الفاتحة الآيات مقدمة تفسير سورة الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم يقال لها الفاتحة أي فاتحة الكتاب خطأ وبها تفتح القراءة في الصلوات ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكره أنس والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرها أيضا أن يقول لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثنائي والقرآن العظيم ويقال لها الحمد ويقال لها الصلاة لقوله ﷺ عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي الحديث فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعا فاتحة الكتاب شفاء من كل سم ويقال لها الرقية لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله ﷺ وما يدريك أنها رقية وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سماها أساس القرآن قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينة بالواقية وسماها يحيى بن أبي كثير الكافية لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسله أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها ويقال لها سورة الصلاة و الكنز ذكرها الرخنشري في كشافه . (زيادة في ط )

(١) في الأصل تفسيرها والمثبت من العتيقة .

(٢) ليس نعصي لها وفي الأصل : لها والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل من تحتها والمثبت من العتيقة .

قال الإمام أحمد : ثنا يزيد بن هارون (قال)<sup>(١)</sup> : أنا ابن أبي ذئب ، وهاشم بن (القاسم)<sup>(٢)</sup> عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال (لأم)<sup>(٣)</sup> القرآن : هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم<sup>(٤)</sup> .

ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به<sup>(٥)</sup> .

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أنا ابن وهب (قال)<sup>(٦)</sup> ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني<sup>(٧)</sup> .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره : ثنا أحمد بن محمد بن زياد ، ثنا محمد بن غالب بن حرب ، ثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي ، ثنا المعافى بن عمران ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن نوح بن أبي بلال ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " الحمد لله رب العالمين سبع آيات ، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي أم الكتاب وفتحة الكتاب " <sup>(٨)</sup> .

وقد رواه الدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله . وقال : كلهم ثقات<sup>(٩)</sup> .

(١) زيادة من المصدر .

(٢) في الأصل : وهشام بن هشام . وفي العتيقة : هاشم بن هاشم والمثبت من المصدر وهو هاشم بن القاسم أبو النضر البغدادي شيخ الإمام أحمد (انظر ترجمته في التهذيب ١١/١٨) .

(٣) في المصدر : في أم .

(٤) المسند ١/٤٤٨ ، وأخرجه البخاري ٨/٣٨١ ، وانظر الموسوعة ١/٣٣ .

(٥) لفظه : الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني المسند ١/٤٤٨ .

(٦) في المصدر : قال حدثنا .

(٧) زيادة من المصدر .

(٨) التفسير ١/٤٧ وأخرجه أيضا في ١٤/٥٨،٥٩ وانظر ما قبله .

(٩) عزاه أيضا لابن مردويه ، السيوطي في الدر ١/٣ .

٠ (السنن ١/٣١٢ وأخرجه أيضا مرفوعا البيهقي ٢/٣٧٦ ، وقال ابن حجر في التلخيص ١/٢٤٨ : وهذا الإسناد رجاله ثقات (يعني إسناد الدارقطني) ..... وضح غير واحد من الأئمة وقفه على رفعه ..... الخ والصواب وقف الجزء المتعلق بالبسملة حيث روى هذا الحديث الثقات عن المقبري فلم يذكروا فيه هذا الجزء كما بينت رواية الدارقطني والبيهقي أن عبد الحميد بن جعفر أحد رواة وهم في رفعه . وانظر أيضا (مرويات ابن مردويه في التفسير ص ٧٠-٧١) . وقوله : وقال : كلهم ثقات ، إنما قاله الدارقطني بعد حديث أم سلمة التالي لحديث أبي هريرة لا بعد حديث أبي هريرة . وعبد الحميد بن جعفر متكلم فيه .

وروى البيهقي عن علي<sup>(١)</sup> وابن عباس<sup>(٢)</sup> وأبي هريرة<sup>(٣)</sup> أنهم فسروا قوله : ﴿سبعا من المثاني﴾ بالفاتحة وأن البسملة هي الآية السابعة منها . وسيأتي تمام هذا عند البسملة .<sup>(٤)</sup>

#### ذكر ما ورد في فضل الفاتحة

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله في مسنده : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة حدثني خبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن المعلى (رضي الله عنه)<sup>(٥)</sup> قال : كنت أصلي ، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت (وأتيته)<sup>(٦)</sup> ، فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ قال : قلت : يا رسول الله ! إني كنت أصلي . قال : ألم يقل الله (عز وجل)<sup>(٧)</sup> : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما (يحييكم)<sup>(٨)</sup> ﴾ [الأنفال ٢٤] ؟ ثم قال : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن (أو من القرآن)<sup>(٩)</sup> قبل أن تخرج من المسجد . قال : فأخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله ! إنك قلت : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن . قال : نعم ، الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته<sup>(١٠)</sup> .

وهكذا رواه البخاري عن مسدد<sup>(١١)</sup> وعلي بن المديني<sup>(١٢)</sup> كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به

(١) شعب الإيمان ٤٤٣/٢ وإسناده حسن ، وليس فيه ذكر للبسملة ، وقد أخرجه الدارقطني ٣١٣/١ من طريق آخر ، وفيه ذكر البسملة ، وفي إسناده أسباط بن نصر وهو كثير الخطأ ويغرب (التقريب ٣٢١).

(٢) شعب الإيمان ٤٤٣/٢ من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه وهو إسناد واه وليس فيه ذكر للبسملة .

(٣) السنن الكبرى ٣٧٧/٢ وقد تقدم الكلام عليه وإسناده صحيح .

(٤) جاءت زيادة هنا في ط : وقد روى الأعمش عن إبراهيم قال : قيل لابن مسعود لم تكن الفاتحة في مصحفك ؟ فقال : لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة . قال أبو بكر بن أبي داود : يعني حيث يقرأ في الصلاة . قال : واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها وقد قيل إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة وقيل يا أيها المدثر كما في حديث جابر في الصحيح وقيل اقرأ باسم ربك الذي خلق وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه والله المستعان .

(٥) ليست في المصدر .

(٦) في المصدر فأتيته .

(٧) زيادة من المصدر .

(٨) ليست في المصدر .

(٩) زيادة من المصدر .

(١٠) المسند ٢١١/٤ .

(١١) الصحيح (٤٢٠٤) .

(١٢) الصحيح (٤٧٢٠) .

ورواه في موضع آخر من التفسير وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه من طرق ، عن شعبة به<sup>(١)</sup> .  
ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن  
أبي سعيد بن المعلی ، عن أبي بن كعب فذكر نحوه<sup>(٢)</sup> .

وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغي التنبيه عليه فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبد  
الرحمن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبرهم أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب  
وهو يصلي (في المسجد)<sup>(٣)</sup> فلما فرغ من صلاته لحقه (قال)<sup>(٤)</sup> : فوضع (النبي ﷺ) يده على  
(يدي)<sup>(٥)</sup> وهو يريد أن يخرج من باب المسجد (ثم قال)<sup>(٦)</sup> : إني لأرجو أن لا تخرج من (باب)<sup>(٧)</sup>  
المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل (الله)<sup>(٨)</sup> في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها . قال أبي :  
فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك ثم قلت : يا رسول الله السورة التي وعدتني قال : كيف تقرأ إذا  
افتتحت الصلاة ؟ قال : فقرأت (عليه)<sup>(٩)</sup> الحمد لله رب العالمين حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله  
ﷺ : هي هذه السورة ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت<sup>(١٠)</sup> .

فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلی كما اعتقده ابن الأثير في جامع الأصول<sup>(١١)</sup> ومن تبعه فإن ابن  
المعلی صحابي أنصاري ، وهذا تابعي (من)<sup>(١٢)</sup> موالي خزاعة<sup>(١٣)</sup> ، وذاك الحديث متصل صحيح ، وهذا  
ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبي بن كعب ، فإن كان قد سمعه منه فهو على

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٦، ٤٣٧٠) ، سنن أبي داود ١٤٥٨ ، سنن النسائي ٩١٣ ، سنن ابن ماجه ٣٧٨٥ .

(٢) انظر الفتح ١٥٧/٨ وفيه ضعف ووهم والواقدي متهم وذكره أبا من وهمه فيه .

(٣) ليست في المصدر .

(٤) ليست في المصدر .

(٥) في المصدر رسول الله ﷺ .

(٦) في المصدر يده .

(٧) في المصدر فقال .

(٨) ليست في المصدر .

(٩) زيادة من المصدر .

(١٠) ليست في المصدر .

(١١) الموطأ ١٨٩ ، وأخرجه من طريق مالك ابن جرير ٥٨/١٤ ، والحاكم ٥٥٧/١ وغيرهما وإسناده حسن وله طرق أخرى (انظر الموسوعة  
٢٩/١-٣٢) .

(١٢) ٤٦٦/٨ .

(١٣) ساقطة من الأصل والمثبت من العتيقة .

(١٤) انظر ترجمته في التهذيب ١١١/١٢ ، وقال ابن عبد البر : تابعي معدود في أهل المدينة (انظر تنوير الحوالك ٧٩/١) .

شرط مسلم<sup>(١)</sup> ، والله أعلم .

على أنه قد روي عن أبي بن كعب من غير وجه كما قال الإمام أحمد : ثنا عفان (قال)<sup>(٢)</sup> ، ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم (قال) ، ثنا (العلاء)<sup>(٣)</sup> بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ على أبي بن كعب وهو يصلي فقال : يا أبي فالتفت (ثم لم<sup>(٤)</sup> ) يجبه ثم (صلى)<sup>(٥)</sup> أبي فخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ ، فقال : السلام عليك أي رسول الله . قال : وعليك (السلام)<sup>(٦)</sup> ، (قال)<sup>(٧)</sup> ما منعك أي أبي إذ دعوتك أن تجيبي ؟ (فقال)<sup>(٨)</sup> : أي رسول الله ، كنت في الصلاة . قال : ( أو لست )<sup>(٩)</sup> تجد فيما (أوحى إلي)<sup>(١٠)</sup> ﴿ استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [الأنفال ٢٤] ؟ قال : بلى (يا)<sup>(١١)</sup> رسول الله لا أعود . قال : أتحب أن أعلمك سورة لم تنزل<sup>(١٢)</sup> في التوراة ( ولا في الإنجيل ولا في الزبور )<sup>(١٣)</sup> ولا في الفرقان مثلها ؟ قلت : نعم أي رسول الله . (قال)<sup>(١٤)</sup> رسول الله ﷺ : إني لأرجو أن لا (أخرج)<sup>(١٥)</sup> من هذا الباب حتى تعلمها . قال : فأخذ رسول الله ﷺ بيدي يحدثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ<sup>(١٦)</sup> قبل أن يقصني<sup>(١٧)</sup> الحديث ، فلما ( أن )<sup>(١٨)</sup> دنونا من الباب قلت : أي

( ) الأصل أنه سمعه منه إذ لم يوصف بتدليس فإن في سياق الرواية ما يدل على ذلك حيث يقول قال أبي : فجعلت ..... الخ وربما يكون سمعه من أبي هريرة عن أبي كما في الطرق الأخرى .

(١) زيادة من المصدر وكذا ما بعدها .

(٢) في الأصل : المعلى ، والمثبت من العتيقة .

(٣) في المصدر : فلم .

(٤) في النسختين قال والمثبت من المصدر .

(٥) ليست في المصدر .

(٦) زيادة من المصدر .

(٧) في المصدر : قال .

(٨) في المصدر : فلست .

(٩) في المصدر : أوحى الله إلي أن .

(١٠) في المصدر : أي .

(١١) كذا في الأصل والمصدر ، وفي العتيقة : لم ينزل .

(١٢) في المصدر : ولا في الزبور ولا في الإنجيل .

(١٣) في المصدر : فقال .

(١٤) في المصدر : تخرج .

(١٥) جاءت زيادة في العتيقة : الباب وليست في الأصل ولا في المصدر .

(١٦) في المصدر : يقضي وهي محتملة التصحيف .

(١٧) زيادة من المصدر .

رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ قال: ( ما تقرأ )<sup>(١)</sup> في الصلاة؟ قال: فقرأت عليه أم القرآن . قال  
(قال رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>: والذي نفسي بيده ما أنزل (الله)<sup>(٣)</sup> في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ،  
ولا في الفرقان مثلها ، ( إنها السبع المثاني )<sup>(٤)</sup>.

ورواه الترمذي عن قتيبة ، عن الدراوردي ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة فذكره وعنده : إنها من  
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته<sup>(٥)</sup> . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن  
أنس بن مالك<sup>(٦)</sup> .

ورواه عبد الله بن أحمد عن إسماعيل أبي معمر ، عن أبي أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن العلاء  
، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب فذكره مطولا بنحوه أو قريب منه<sup>(٧)</sup> .  
وقد رواه الترمذي والنسائي جميعا عن أبي عمار حسين بن حريث ، عن الفضل بن موسى ، عن عبد  
الحميد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ :  
ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي  
(ولعبدي ماسأل)<sup>(٨)</sup> . هذا لفظ النسائي ، وقال الترمذي : حسن غريب<sup>(٩)</sup> .

وقال الإمام أحمد : ثنا محمد بن عبيد ، ثنا هاشم يعني ابن البريد ، ثنا عبد الله بن محمد (بن)<sup>(١٠)</sup> عقيل  
عن ابن جابر قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد أهرق<sup>(١١)</sup> الماء ، فقلت : السلام عليك يا رسول  
الله . فلم يرد علي ، (قال)<sup>(١٢)</sup> : فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فلم يرد علي ، (قال)<sup>(١٣)</sup> :

(١) في المصدر : فكيف تقرأ .

(٢) زيادة من المصدر

(٣) زيادة من المصدر .

(٤) في المصدر : وإنما للسبع من المثاني .

(٥) السنن ٢٨٧٥ وليس فيه ما هنا ، وإنما فيه : وإنما سبع من المثاني .

(٦) لفظ الترمذي : وفي الباب عن أنس وفيه عن أبي سعيد بن المعلى .

(٧) المسند ١١٤/٥ .

(٨) زيادة من سنن النسائي .

(٩) سنن الترمذي ٣١٢٥ ، سنن النسائي ٩١٤ وهو حديث حسن (انظر الموسوعة ١/٦٦، ٣٠) وليس في السنن قول الترمذي : حسن  
غريب وإنما فيه : حديث عبد العزيز بن محمد ( يعني الدراوردي ) أطول وأتم وهذا أصح من حديث عبد الحميد بن جعفر .

(١٠) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(١١) أهرق الماء أي صبه (انظر اللسان ٣/١٧٨١) والمراد : بال .

(١٢) ليست في المصدر .

(١٣) ليست في المصدر .

(فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد علي) <sup>(١)</sup> فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتى دخل (علي) <sup>(٢)</sup> رحله ، ودخلت أنا المسجد ، فجلست كئيبا حزينا ، فخرج (علي) <sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ (و) <sup>(٤)</sup> قد تطهر فقال : عليك السلام ورحمة الله ، وعليك السلام ورحمة الله ، ثم قال : ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر (بخير) <sup>(٥)</sup> سورة في القرآن ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تحتمها <sup>(٦)</sup> .

هذا إسناد جيد ، وابن عقيل يحتج به الأئمة الكبار <sup>(٧)</sup> .

وعبد الله بن جابر هذا (هو) <sup>(٨)</sup> الصحابي ذكر ابن الجوزي أنه هو العبدي <sup>(٩)</sup> والله أعلم . ويقال : إنه عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي فيما ذكره الحافظ ابن عساكر <sup>(١٠)</sup> .

واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والصور على بعض كما هو المحكي عن كثير من العلماء منهم إسحاق بن راهويه ، وأبو بكر بن العربي <sup>(١١)</sup> وابن الحصار <sup>(١٢)</sup> من المالكية . وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك لأن الجميع كلام الله ولئلا يوهم المفضل نقص <sup>(١٣)</sup> المفضل عليه ، وإن

(١) زيادة من المصدر ، وبثبتها السياق بعدها .

(٢) زيادة من المصدر .

(٣) ليست في المصدر .

(٤) زيادة من المصدر .

(٥) في النسختين (بأخير) والمثبت من المصدر وهو الأبلغ لغة وبه جاء القرآن . (انظر شرح ابن عقيل ١٧٤/٣)

(٦) المسند ١٧٧/٤ ، وأخرجه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في المعرفة وإسناده حسن وجوده أيضا السيوطي في الدر (وانظر الموسوعة ٣٨/١).

(٧) منهم أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية (انظر التهذيب ١٥/٦).

(٨) ليست في العتيقة .

(٩) نسبة لبني عبد القيس وإلى ذلك أيضا ذهب الحسيني (انظر تعجيل المنفعة ص ٢١٦).

(١٠) وهو الذي رجحه ابن حجر أيضا (انظر تعجيل المنفعة ص ٢١ ، الإصابة ٣٢/٦) .

(١١) عزاه لهما السيوطي في الإتيان ١٩٩/٢ وللغزالي أيضا .

(١٢) في الأصل : القصار . والمثبت من العتيقة وهو عبد الرحمن بن أحمد القرطبي ت ٤٢٢ (انظر سير أعلام النبلاء ٤٧٣/١٧) وقد قال

في تلك المسألة : عجي من يذكر الخلاف مع هذه النصوص ( القرطبي ٩٦/١ ) يعني نصوص التفضيل .

(١٣) في الأصل : لأن لا يوهن الفضل أنقص . والمثبت من العتيقة .

كان الجميع فاضلا ؛ نقله القرطبي<sup>(١)</sup> عن الأشعري وأبي بكر الباقلائي وأبي حاتم (ابن حبان)<sup>(٢)</sup> البستي (وأبي حيان) ويحيى بن يحيى ورواية عن (الإمام)<sup>(٣)</sup> مالك أيضا<sup>(٤)</sup> .

حديث آخر : قال البخاري في فضائل القرآن : ثنا محمد بن المثني ، ثنا<sup>(٥)</sup> وهب ، ثنا هشام ، عن محمد عن معبد<sup>(٦)</sup> ، عن أبي سعيد الخدري قال : كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم<sup>(٧)</sup> وإن نفرنا عُيِّب ، فهل منكم راق ؟ فقام معها<sup>(٨)</sup> رجل ما كنا نأبئه<sup>(٩)</sup> برقية فرقاه فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة ، وسقانا لبنا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية ؟ أو كنت ترقي ؟ قال : لا ، ما رقيت إلا بأمر الكتاب . قلنا : لا تحدثوا شيئا حتى نأتي أو نسأل (رسول الله)<sup>(١٠)</sup> . فلما قدمنا المدينة ذكرنا<sup>(١١)</sup> للنبي ﷺ فقال : وما كان يدرية أنها رقية ؟ اقسما واضربوا لي بسهم . وقال أبو معمر : ثنا عبد الوارث ، ثنا هشام ، ثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين ، عن أبي سعيد الخدري بهذا<sup>(١٢)</sup> .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به<sup>(١٣)</sup> . وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد هو الذي رقى ذلك السليم<sup>(١٤)</sup> يعني اللديغ يسمونه بذلك تفاقولا<sup>(١٥)</sup> .

(١) انظر التفسير ١/٩٥-٩٦ .

(٢) ليست في العتيقة .

(٣) ليست في العتيقة .

(٤) نقل ذلك عنهم السيوطي في الإتقان ٢/١٩٩ .

(٥) في الأصل حدثنا والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : بن سعد . والمثبت من العتيقة والمصدر . ومحمد بن معبد هما ابنا سيرين كما سيأتي .

(٧) أي لديغ كما سيأتي .

(٨) في الأصل : منا . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٩) بكسر الباء الموحدة من الأبن بفتح فسكون وهو التهمة أي ما كنا نعلم أنه يرقي فنعيبه بذلك (اللسان ١/١٢) .

(١٠) في المصدر: النبي .

(١١) في المصدر: ذكرناه .

(١٢) الصحيح ٤٧٢١ .

(١٣) الصحيح ٢٢٠١ ، السنن ٣٤١٩ .

(١٤) ليس الأمر كما ذكر الحافظ بل قال النووي : هذا الراقي هو أبو سعيد الخدري الراوي كذا جاء بينا في رواية أخرى في غير مسلم

(١٥) (١٨٧/١٤) ومن ذلك رواية المستدرک ١/٧٤٦ . وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة وسكت الذهبي : وهو كما قال .

(١٥) قيل ذلك كما قالوا للفلاة مفازة وقيل هو من السلم بسين مشددة مفتوحة وسكون اللام وهو لدغ الحية وقيل لأنه مسلم لما به (انظر اللسان ٣/٢٠٧٩) .

حديث آخر : روى مسلم في صحيحه والنسائي في سننه من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم ، عن عمار بن زريق ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل<sup>(١)</sup> (عليه السلام)، إذ سمع نقيضاً<sup>(٢)</sup> فرفعه جبريل (عليه السلام) بصره إلى السماء ، فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط . قال : فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال : " أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته"<sup>(٣)</sup> .

وهذا لفظ النسائي<sup>(٤)</sup> ولمسلم نحوه .

حديث آخر : قال مسلم : (ثنا)<sup>(٥)</sup> إسحاق بن إبراهيم الحنظلي \_ هو ابن راهويه<sup>(٦)</sup> \_ ثنا سفيان بن عيينة عن العلاء \_ يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقني<sup>(٧)</sup> \_ عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهي خداج"<sup>(٨)</sup> \_ ثلاثاً \_ غير تمام . فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام . قال : اقرأ بها في نفسك ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدني ما سأل . فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله (تعالى) : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله (تعالى) : أثنى علي عبدي . فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال : مجدي عبدي \_ وقال مرة : فوض إلي عبدي \_ فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدني ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ آمين قال : هذا لعبدني ، ولعبدني ما سأل<sup>(٩)</sup> .

وهكذا رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه<sup>(١٠)</sup> .

(١) في العتيقة : جبرئيل . وكذا في الموضع التالي وهي لغة وقرأ بها من السبعة \_ أي بفتح الجيم والراء وكسر الهمزة بعدها ياء - حمزة والكسائي (انظر الوائي ص ٢٠٧) والذي في المصدر كما هنا .

(٢) النقيض : الصوت ونقيض السقف تحريك خشبه ( اللسان ٦/٤٥٢٥) .

(٣) الصحيح ٨٠٦ ، السنن ٩١٢ وليس فيهما : أوتيته وإنما : أعطيته .

(٤) مع اختلاف طفيف . وما بين القوسين زيادات من المصدر .

(٥) في الأصل : حدثنا . والمثبت من العتيقة .

(٦) من كلام الحافظ وليست من المصدر .

(٧) من كلام الحافظ وليست من المصدر .

(٨) خداج أي ذات خداج بكسر أوله وهو النقصان خدجت المرأة ولدها إذا ألقته دما فهو خداج ( اللسان ٢/١١٠٨) .

(٩) الصحيح ٣٩٥ وما بين القوسين منه .

(١٠) الكبرى ٨٠١٣ .

وقد رواه<sup>(١)</sup> أيضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة به . وفي هذا السياق : فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل . وكذا رواه ابن إسحاق عن العلاء<sup>(٣)</sup> .

وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبي السائب هكذا<sup>(٤)</sup> . ورواه أيضا من حديث ابن أبي أويس عن العلاء عن أبيه وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة<sup>(٥)</sup> . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وسألت أبا زرعة عنه فقال : كلا الحديثين صحيح ؛ (من قال : عن العلاء عن أبيه ، وعن العلاء عن أبي السائب)<sup>(٦)</sup> . وقد روى هذا الحديث عبد الله بن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب مطولا<sup>(٧)</sup> .

(و)<sup>(٨)</sup> قال ابن جرير : ثنا صالح بن مسمار المروزي ، ثنا زيد بن الحباب ، ثنا عنبسة بن سعيد ، عن مطرف بن طريف ، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة ، عن جابر بن عبد الله (الأنصاري) قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، وله ما سأل ؛ فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال : حمدني عبدي . وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : أثنى علي عبدي . ثم قال : هذا لي وله ما بقي<sup>(٩)</sup> . وهذا غريب من هذا الوجه<sup>(١٠)</sup> .

ثم الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بحكم الفاتحة من وجوه :

(١) مسلم ٣٩٥ ، المجتبى ٩٠٩ ، الكبرى ٩٨١ .

(٢) في الأصل : عروة . والمثبت من العتيقة .

(٣) علقه البيهقي في الكبرى ٢١٩٦ ، وأخرجه البخاري موصولا في جزء القراءة ص ٢٨ .

(٤) الصحيح ٣٩٥ .

(٥) الصحيح ٣٩٥ .

(٦) السنن ٢٩٥٢ ، ٢٩٥١ وقد اختصر الكلام الحافظ ابن كثير وما بين القوسين من لفظه ليست في المصدر .

(٧) المسند ١١٤/٥ .

(٨) زيادة من العتيقة .

(٩) التفسير ٢٠١/١ وصححه أحمد شاکر وهو كما قال ، وليس هناك ما يدل على الانقطاع بين سعد وجابر كما ذكر بعضهم ، وقد أخرجه أيضا الإسماعيلي في معجمه ق ٨٠ ، ومن طريقه السهمي في تاريخ جرجان ١٨٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره مختصرا ، ١٥٥/١ وصححه الخقق ، والبيهقي في القراءة ٤٧ (وانظر الموسوعة ٦٥/١) .

(١٠) يعني لا يعرف عن جابر بن عبد الله إلا من هذا الوجه .

أحدها : أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة ، والمراد : القراءة ، كقوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ [الإسراء ١١] أي : بقراءتك كما جاء مصرحا به في (الحديث<sup>(١)</sup>) الصحيح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> . وهكذا قال في هذا الحديث : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل . ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة ، فدل على عظمة<sup>(٣)</sup> القراءة في الصلاة ، وأنها من أكبر أركانها ، إذ<sup>(٤)</sup> أطلقت العبادة ، وأريد به جزء واحد منها وهو القراءة ، كما أطلق لفظ القراءة ، والمراد به الصلاة في قوله : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ [الإسراء ٧٨] والمراد : صلاة الفجر كما جاء مصرحا به في الصحيحين (من)<sup>(٥)</sup> أنه تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار<sup>(٦)</sup> . فدل ذلك كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة ، وهو اتفاق من العلماء ، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني ، وذلك أنه (هل)<sup>(٧)</sup> يتعين<sup>(٨)</sup> للقراءة في الصلاة فاتحة الكتاب ، أم تجزئ هي وغيرها ؟ على قولين مشهورين ؛ فعند أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنها لا تتعين ، بل مهما قرأ به من القرآن أجزاء في الصلاة . واحتجوا بعموم قوله تعالى ﴿ فاقرءوا ما تيسر من القرآن ﴾ [الزمل ٢٠] وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء في صلاته أن رسول الله ﷺ قال له : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن<sup>(٩)</sup> . قالوا : فأمره بقراءة ما تيسر ، ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها ، فدل على ما قلنا . والقول الثاني : أنه يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ، ولا تجزئ الصلاة بدونها . وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء . واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور ، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه : " من صلى صلاة لم يقرأ بها بأم القرآن فهي خداج"<sup>(١٠)</sup> . والخداج هو الناقص ، كما فسر في الحديث "غير تمام"<sup>(١١)</sup> .

(١) ليست في العتيقة .

(٢) البخاري ٤٤٤٥ ، مسلم ٤٤٦ من كلام ابن عباس .

(٣) في الأصل : عظم . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : إذا . والمثبت من العتيقة .

(٥) ليست في العتيقة .

(٦) البخاري ٦٢١ ، ٤٤٤٠ ، مسلم ٦٤٩ من حديث أبي هريرة مرفوعا وفيه : وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ . (لفظ البخاري ٤٤٤٠).

(٧) ساقطة من الأصل والمثبت من العتيقة .

(٨) في العتيقة : تتعين .

(٩) البخاري ٧٢٤ ، مسلم ٣٩٧ .

(١٠) تقدم تخريجه .

(١١) هذا اللفظ ورد في حديث أبي هريرة عند أحمد ٢٥٠/٢ وأصحاب السنن وغيرهم وانظر الموسوعة (٥١/١).

واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" (١) .

وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن" (٢) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة هنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى ما أخذهم (في ذلك) رحمهم الله .

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة . وقال آخرون : إنما تجب قراءتها (٣) في معظم الركعات . وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها (٤) في ركعة واحدة من الصلوات أخذاً بمطلق الحديث : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" (٥) . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي : لا يتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى : ﴿ فاقروا ما تيسر من القرآن ﴾ [ المزمل : ٢٠ ] كما تقدم ، والله أعلم .

وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السعدي (٦) عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً : " لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد ( لله ) (٧) وسورة في فريضة أو غيرها" (٨) .

وفي صحة هذا نظر (٩) ، ( وموضح تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير والله أعلم ) (١٠) والوجه الثالث : هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء : أحدها : أنه تجب عليه قراءتها ، كما تجب على إمامه ، لعموم الأحاديث المتقدمة .

(١) في الأصل : لا . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٢) البخاري ٧٢٣ ، مسلم ٣٩٤ .

(٣) ابن خزيمة ٤٩٠ ، وعنه ابن حبان ١٧٨٩ ، ولفظه " لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب " قال ابن حبان : لم يقل في خير العلاء هذا : " لا تجزئ إلا شعبة ولا عنه إلا وهب بن جرير .

(٤) في الأصل : من أنها . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : من أنها . والمثبت من العتيقة .

(٦) تقدم تخريجه .

(٧) في العتيقة : العبدى .

(٨) زيادة من المصدر .

(٩) السنن ٨٣٩ ، ورواه الترمذي أيضا ٢٣٨ مطولا ، وقال : حديث حسن . أ.هـ وقال البوصيري : هذا إسناد ضعيف ، أبو سفيان السعدي واسمه طريف بن شهاب وقيل ابن سعد قال عبد البر : أجمعوا على ضعفه ( الزوائد ٢٩١/١ ) وقد روى هذا الحديث قتادة عن أبي نضرة بلفظ " لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد . وهذا اللفظ هو المحفوظ ( وانظر الموسوعة ١/٥٤ ) .

(١٠) انظر ما تقدم .

(١) ساقطة من العتيقة وما قبلها من قوله : ثم إن مذهب الشافعي ... الخ ملحق بالهامش .

والثاني : لا تجب على المأموم قراءة بالكلية ، لا الفاتحة ولا غيرها ، لا في الصلاة الجهرية ولا السرية ، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : " من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة " (١) .

ولكن في إسناده ضعف (٢) ، ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه (٣) . وقد روي هذا الحديث من طرق (٤) ، ولا يصح شيء منها عن النبي ﷺ (٥) ، والله أعلم .

والقول الثالث : أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا تجب في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : " إنما جعل الإمام ليؤتم به ؛ فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا ... " (٦) وذكر بقية الحديث .

وهكذا رواه بقية أهل السنن (٧) أبو داود والترمذي (٨) والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : " وإذا قرأ فأنصتوا " . وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا (٩) .

(١) المسند ١٤٦٨٤ ، ويلاحظ أن إسناده هكذا حدثنا أسود بن عامر أنا حسن بن صالح عن أبي الزبير عن جابر وليس فيه واسطة بين الحسن وأبي الزبير وقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٨٠٢ ، قال : حدثنا مالك بن إسماعيل عن حسن بن صالح بمثل ذلك . وقد رواه غيرهما عن الحسن فذكرنا بينهما جابرا الجعفي وربما ذكرنا معه ليث بن أبي سليم . وانظر ما يأتي .

(٢) رجاله كلهم ثقات إلا أن أبا الزبير راويه عن جابر لم يصح بالمساع وهو مدلس . وقد ضعف هذا الحديث جماعة وصححه بخرون وأظن أن التوجه الفقهي كان له أثر في كلام بعضهم حول هذا الحديث ، ولا يستبعد تحسينه وقد حسنه الشيخ الألباني بعد مبحث نفيس فيه (انظر الإرواء ٤٩٩) وقال الحافظ ابن حجر : مشهور من حديث جابر ( التلخيص الحبير ١/٤٢٠) .

(٣) الموطأ ٨٠/١ ولفظه : " من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء إمام " وأخرجه البيهقي من طريقه وقال : هذا هو الصحيح عن جابر من قوله غير مرفوع وقد رفعه يحيى بن سلام وغيره من الضعف وعن مالك ( السنن ٢/١٦٠) وليس هناك معارضة بين الرواية المرفوعة والموقوف مع ملاحظة إختلافهما المبين في اللفظ .

(٤) يعني من حديث غير جابر كما يدل عليه كلام الآتي . وقد روي عن ابن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء وعلي كما في الإرواء . إلا أنه ثابت من رواية عبد الله بن شداد مرسلا وقد ولد على عهد النبي ﷺ .

(٥) قال ابن حجر : له طرق عن جماعة من الصحابة كلها معلولة ( التلخيص ١/٤٢٠) .

(٦) الصحيح ٤٠٤ ، وقد تكلم بعض الحفاظ في زيادة وإذا قرأ فأنصتوا في هذا الحديث والصواب ثبوتها فهي زيادة ثقة وليست شذوذا والفرق بينهما دقيق وقد صححها مسلم وجزم ابن كثير بثبوتها كما هنا والله أعلم . وانظر ( العلل للدارقطني ، السنن الكبرى للبيهقي ١٥٥/٢ ، إرواء الغليل ٢/٣٨-٣٩) .

(٧) سنن أبي داود ٦٠٤ ، النسائي ٩٢١ ، ابن ماجه ٨٤٦ وإسناده حسن وقد طعن بعض الحفاظ في زيادة ﴿ وإذا قرأ فأنصتوا ﴾ أيضا كما في الحديث السابق ووجه اللوم فيها على أبي خالد الأحمر ولكن قد تابعه محمد بن سعد الأنصاري وهو ثقة وغيره أيضا فهي زيادته ثابتة كذلك وانظر (سنن الدارقطني ١/٣٢٨-٣٣٠ ، السنن الكبرى للبيهقي ١٥٦/٢ ، إرواء الغليل ٢/١٢٢، ١٢١) .

(٨) لم يخرج الترمذي كما ذكر ابن كثير رحمه الله .

(٩) ذكر ذلك عقب حديث أبي موسى ولفظه : هو عندي صحيح فقال له ( أي : أبوبكر بن أخت أبي النضر ) : لم لم تضعها هنا ؟ قال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا إنما وضعت هنا ما اجمعوا عليه .

فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول<sup>(١)</sup> ، وهو قول قديم للشافعي رحمه الله ، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل .

والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا ؛ بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور<sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، ثنا غسان بن عبيد ، عن أبي عمران الجوني، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت"<sup>(٣)</sup> .

### الكلام على تفسير الاستعاذة<sup>(٤)</sup>

[ قال الله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم ﴾ [الأعراف ١٩٩،٢٠٠] وقال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ [المؤمنون ٩٦-٩٨] وقال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [فصلت ٣٤-٣٦] فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده (عنه) طبعه الطيب الأصل إلى المودة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يتبغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ [الأعراف ٢٧] وقال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر ٦] وقال : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ [الكهف ٥٠] وقد أقسم للوالد آدم إنه له لمن الناصحين وكذب ، فكيف معاملته لنا وقد قال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا

(١) في ذلك نظر بل إنما دلا فقط على الإنصات عند قراءة الإمام ماسوى الفاتحة أو القراءة في وقت سكوته جمعا بين النصوص (انظر المحلى ٣/٣٠٨-٣١٠) وقد دل على ذلك صراحة حديث عبادة بن الصامت بلفظ : صلى بنا النبي ﷺ صلاة الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف قال : إني لأراكم تقرءون وراء إمامكم قال : قلنا : أجل والله يارسول الله هذا ! قال : فلا تفعلوا إلا بأمر الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بما . هذا لفظ ابن خزيمة في صحيحه ٣٦/١ وقد أخرجه غيره أيضا وإسناده صحيح ( موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ٤٠/١-٤٣).

(٢) كان هذا اعتذار من الحافظ رحمه الله عن الإطناب فيما ليس من صلب التفسير .

(٣) انظر كشف الأستار رقم ٣١٠٩ وقال البزار عقبه : لا نعلمه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن أنس ، ولم نسمعه إلا من إبراهيم .هـ وقد ضعفه السيوطي في الدر ٥/١ وقال الألباني : ضعيف ( ضعيف الجامع ٢٤١/١).

(٤) في الأصل : الكلام على تفسيرها - الاستعاذة . والمثبت من العتيقة .

عبادك منهم المخلصين ﴿ [ص ٨٢، ٨٣ و] <sup>(١)</sup> قال الله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [النحل ٩٨، ٩٩ ]

قالت طائفة من القراء وغيرهم : نتعوذ<sup>(٢)</sup> بعد القراءة <sup>(٣)</sup>، واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الإعجاب بعد فراغ<sup>(٤)</sup> العبادة وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما ذكره<sup>(٥)</sup> ابن قلوفا عنه ، وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي المغربي في كتابه الكامل<sup>(٦)</sup> ، وروي عن أبي هريرة أيضا وهو غريب<sup>(٧)</sup> .

( ونقله فخر الدين محمد بن عمر الدينوري<sup>(٨)</sup> في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال : وهو قول إبراهيم النخعي ، وداود<sup>(٩)</sup> الظاهري<sup>(١٠)</sup> ، وحكى القرطبي عن أبي بكر بن العـربـي<sup>(١١)</sup> عن مالك أن

( ) مابن المعكوفين ساقط من النسخة العتيقة والمثبت من الأصل ، وسوف يأتي معناه مكررا بعد قليل .  
(٢) في العتيقة : يتعوذ .

(٣) قال ابن الجزري : هو قبل القراءة إجماعا ولا يصح قول بخلافه عن أحد ممن يعتبر قوله وإنما آفة العلم التقليد ( النشر ٢٥٤/١ ) أما رواية ابن قلوفا عن حمزة فهي منقطعة في الكامل لا يصح إسنادها وكل من ذكر هذه الرواية عن حمزة من أبي عمرو الداني وأبي العلاء الهمداني وأبي طاهر بن سوار .

(٤) في العتيقة : الفراغ .

(٥) في العتيقة : نقله ، وابن قلوفا المذكور هو عبد الرحمن الكوفي ( انظر غاية النهاية ٣٧٦/١ ) .

(٦) يعني " الكامل في القراءات " وقال ابن الجزري : أما رواية ابن قلوفا عن حمزة فهي منقطعة في الكامل لا يصح إسنادها وكل من ذكر هذه الرواية عن حمزة من الأئمة كالحافظين أبي عمرو الداني وأبي العلاء الهمداني وأبي طاهر بن سوار وأبي محمد سبط الخياط وغيرهم لم يذكر ذلك عنه ولم يعرجوا عليه وأما أبو حاتم فإن الذين ذكروا روايته واختياره كابن سوار وابن مهران وأبي معشر الطبري والإمام أبي محمد البغوي وغيرهم لم يذكروا عنه شيئا ولا حكوه (النشر ٢٥٥/١) .

(٧) قال ابن الجزري : وأما أبو هريرة فالذي نقل عند رواه الشافعي في مسنده أخبرنا إبراهيم بن محمد عن ربيعة عن عثمان عن صالح بن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رفعاً صوته ( ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ) في المكتوبة وإذا فرغ من أم القرآن وهذا إسناد لا يحتج به لأنه إبراهيم بن محمد هو الأسلمي وقد أصع أهل والنقل الحديث على ضعفه ولم يوثقه سوى الشافعي ، قال أبو داود : كان قدريا رافضيا فأبونا كل بلاء فيه ، وصالح بن أبي صالح الكوفي ضعيف وإن وعلى تقدير صحته لا يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة بل يدل على أنه كان يستعيذ إذا فرغ من أم القرآن أي للسورة الأخرى وذلك واضح . ( النشر ٢٥٥/١ ، وانظر مسند الشافعي ٣٥/١ ) .

(٨) في ط : الرازي ، والرازي : نسبة إلى الري بفتح الراء وهي قصبه الجبل وتنسب إليه وليست منه ، ودينور : بكسر الدال من أعمال الجبل ( انظر معجم ما استعجم ٦٩٠/٢ ، معجم البلدان ٥٤٥/٢ ) فلعله نزل دينور فنسب إليها .

(٩) في ط : داود بن علي الأصبهاني .

(١٠) انظر التفسير الكبير ٥٩/١ وقال ابن الجزري : وأما ابن سيرين والنخعي فلا يصح عن واحد منهما عند أهل النقل ..... وأما داود وأصحابه فهذه كتبهم موجودة لا تعد كثرة لم يذكر فيها أحد شيئا من ذلك ونص ابن حزم أمام أهل الظاهر على التعوذ قبل القراءة ولم يذكر غير ذلك . ( النشر ٢٥٥/١ ) وقد وقفت على خلط كثير في نسبة الآثار لدى الرازي رحمه الله في عدة مواضع من كتابه فلا يوثق بنقله .

(١١) في ط : عن المجموعة .

القارئ يتعوذ بعد الفاتحة واستغربه ابن العربي<sup>(١)</sup> .

وحكي قول ثالث وهو الاستعاذة أولاً وأخيراً جمعاً بين الدليلين نقله في التتمة<sup>(٢)</sup>...<sup>(٣)</sup> (٤)

والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الوسواس<sup>(٥)</sup> فيها . ومعنى الآية عندهم ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [النحل ٩٨] أي إذا أردت<sup>(٦)</sup> القراءة كقوله ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم ﴾ [المائدة ٦] الآية أي إذا أردتم القيام والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ثنا محمد بن الحسن بن أتش<sup>(٧)</sup> ، ثنا جعفر ( - يعني - )<sup>(٨)</sup> بن سليمان ، عن علي بن علي ( الرفاعي )<sup>(٩)</sup> اليشكري ، عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال : سبحانك اللهم وبحمدك (و)<sup>(١٠)</sup> تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . ويقول : لا إله إلا الله . ثلاثاً . ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ( ثم يقول : الله أكبر ثلاثاً ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ) ونفته<sup>(١١)</sup> . وقد رواه أهل السنن الأربعة<sup>(١٢)</sup> من رواية جعفر بن سليمان ، عن علي بن علي وهو الرفاعي .

(١) انظر تفسير القرطبي ٧٧/١ ، أحكام القرآن ١١٧٦/٣ ونص كلام ابن العربي ، ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ قال ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة وهذا قول لم يرد به أثر ولا يعضده نظر ..... ولا يشبه أصل مالك ولا فهم ؛ فالله أعلم بسر هذه الرواية .

(٢) أي في تتمة كلام - يعني الرازي - حيث قال : وأقول : هاهنا قول ثالث وهو أن يقرأ الاستعاذة قبل القراءة بمقتضى الخبر وبعدها بمقتضى القرآن ، جمعاً بين الدليلين بقدر الإمكان . ( التفسير ٦٠/١ ) وهو جمع غير وجيه لأن الخبر مفسر للقرآن لا وجه غيره .

(٣) بياض في العتيقة وجاء في ط : فخر الدين بدلا من : في التتمة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) في الأصل : أن الاستعاذة لدفع الوسواس فيها إنما تكون قبل التلاوة . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : قرأت . والمثبت من العتيقة .

(٧) أتش : بفتح الهمزة المثناة بعدها معجمة ، وقد تصحف في المسند " أنس " وانظر ترجمته بالتقريب ٥٨١١ .

(٨) زيادة من المصدر .

(٩) ليست في المصدر .

(١٠) ليست في المصدر .

(١١) المسند ١١٤٩١ ، وما بين القوسين منه (٥٠/٣) .

(١٢) (أبوداود ٧٧٥ ، الترمذي ٢٤٢ ، النسائي ٨٩٩ مختصراً ، وإسناده حسن وقد صححه غير واحد وحسنه الألباني ) انظر الإرواء

(١٣) (٥٢/١) وكم هو ملاحظ لم يخرج سوى أصحاب السنن الثلاثة لا الأربعة كما ذكر الحافظ .

وقال الترمذي : هو أشهر حديث في هذا الباب<sup>(١)</sup> . وقد فسر الهمز بالموتة وهي الخنق<sup>(٢)</sup> والنفخ بالكبر والنفث بالشعر .

كما رواه أبو داود ، وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة ، عن عاصم العنزي ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال : الله أكبر كبيرا ثلاثا ، ( الحمد لله كثيرا ثلاثا)<sup>(٣)</sup> سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا ، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان (الرجيم)<sup>(٤)</sup> من همزه ونفخه ونفته .

قال عمرو : همزه الموتة ، ونفخه الكبر ، ونفته الشعر<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن ماجه : ثنا علي بن المنذر ، ثنا ابن فضيل ، ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفته . قال : همزه الموتة ، ونفته الشعر ، ونفخه الكبر<sup>(٦)</sup> .

وقال الإمام أحمد : ثنا إسحاق بن يوسف ، ثنا شريك ، عن يعلى بن عطاء ، عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثا ، ثم قال : لا إله إلا الله ثلاث مرات ، وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات ثم قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفته<sup>(٧)</sup> .

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده : ثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي ، ثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب قال : تلاحي<sup>(٨)</sup> رجلا ن عند النبي ﷺ فتمزغ<sup>(٩)</sup> أنف أحدهما غضبا ، فقال رسول الله ﷺ : "إني لأعلم شيئا لو قاله ذهب عنه ما يجد ؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"<sup>(١٠)</sup> !

(١) السنن ١٠/٢ .

(٢) الموتة - بضم الميم - الذي يصرع من الجنون أو غيره ثم يفيق (انظر لسان العرب ٤٢٩٦) .

(٣) زيادة من العتيقة وهي في المصدر .

(٤) زيادة من المصدر .

(٥) أبو داود ٧٦٤ ، وابن ماجه ٨٠٧ وإسناده حسن لغيره يشهد له ما قبله وصححه ابن حبان وانظر الإرواء ٥٤/٢-٥٥ .

(٦) السنن ٨٠٨ ، وأخرجه غيره وله شواهد وقد صححه ابن خزيمة والحاكم وكذا الألباني ( انظر الإرواء ٥٣/٢-٥٩ ، صحيح ابن ماجه ١٣٦/١) .

(٧) المسند ٢٥٣/٥ وأخرجه أيضا من طريق حماد بن سلمة عن يعلى أنه سمع شيخا من أهل دمشق به والإسناد فيه هذا المبهم إلا أن الشاهد فيه صحيح كما تقدم .

(٨) تلاحي الرجلان : أي تشامتا وتنازعا ( انظر اللسان ٤٠١٥/٥) .

(٩) في العتيقة : فتمزغ . والمثبت من العتيقة وفي المختارة : فتصدع

(١٠) لم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع وهو في المختارة للضياء ١٢٣٦ من طريق أبي يعلى بإسناده ومتمنه ، وقال الضياء : إسناده صحيح .

وكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة عن يوسف بن عيسى المرزوي ، عن الفضل بن موسى ، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد به<sup>(١)</sup> . وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل ، عن أبي سعيد ، عن زائدة . وأبو داود ، عن يوسف بن موسى عن جرير<sup>(٢)</sup> بن عبد الحميد ، والترمذي والنسائي في اليوم واللييلة عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة بن قدامة ، ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : استب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما غضبا شديدا حتى خيل إلي أن (أنفه)<sup>(٣)</sup> يتمزغ<sup>(٤)</sup> أنفه من شدة غضبه ، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب . فقال : ما هي يا رسول الله ؟ قال : يقول<sup>(٥)</sup> : اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم . قال : فجعل معاذ يأمره فأبى ، وتحك<sup>(٦)</sup> وجعل يزداد غضبا . وهذا لفظ أبي داود<sup>(٧)</sup> . وقال الترمذي : مرسل<sup>(٨)</sup> . يعني أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل ؛ فإنه مات قبل سنة عشرين . قلت : وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل ، فإن هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم . قال البخاري : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عدي بن ثابت ( قال : قال<sup>(٩)</sup> سليمان بن صرد : استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه . فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده ؛ لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ ؟ . قال : إني لست بمجنون<sup>(١٠)</sup> .

(١) السنن الكبرى ١٠٢٢٣ .

(٢) في الأصل : حريب . والمثبت من العتيقة .

(٣) في النسختين أحدهما والمثبت من المصدر .

(٤) في الأصل : يتمرغ والمثبت من العتيقة والمصدر . وجاء في هامش العتيقة قوله : فلان يتمزغ من الغيظ . أي يتقطع وفي الحديث أنه غضب غضبا شديدا حتى يخيل أن أنفه يتمزغ قال أبو عبيد : ليس يتمزغ بشيء ولكن أحسبه يترقع وهو أن تراه كأنه يرعد من الغضب . ولم ينكر أبو عبيد أن يكون التمزغ بمعنى التقطع وإنما استبعد المعنى .

(٥) في الأصل : تقول . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : ويحك . والمثبت من العتيقة والمصدر وعلى العتيقة ، تعليق : أي لج . والحك : التماذي في اللجاجة عند المساومة والغضب ( انظر اللسان ٤١٤٧/٦ ) .

(٧) المسند ٢٤٠/٥ ، أبو داود ٤٧٨٠ ، الترمذي ٣٤٥٢ ، النسائي في الكبرى ١٠٢٢١، ١٠٢٢٢ وإسناده حسن لغيره وقد صححه الألباني ( انظر صحيح الجامع ٣٢٨/٢ ) .

(٨) لفظ الترمذي : هذا حديث مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل مات معاذ في خلافة عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام ابن ست سنين . . . . . وقد روى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر بن الخطاب ورآه ( السنن ٥٠٤/٥ ) .

(٩) في المصدر : حدثنا

(١٠) صحيح البخاري ٥٧٦٤ .

وقد رواه أيضا - مع مسلم وأبي داود والنسائي - من طرق متعددة عن الأعمش به<sup>(١)</sup>.  
(وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال والله أعلم.)<sup>(٢)</sup>

وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير : ثنا أبو كريب ، ثنا عثمان بن سعيد ، ثنا بشر بن عمار ، ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس قال : أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال : يا محمد ( استعذ قال : )<sup>(٣)</sup> أستعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ قال عبد الله : وهي أول سورة أنزلها ( الله ) على محمد ﷺ بلسان جبريل<sup>(٤)</sup> ( فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه )<sup>(٥)</sup>.

وهذا الأثر غريب ، وإنما ذكرناه ليعرف ، فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا<sup>(٦)</sup> والله أعلم<sup>(٧)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٣١٠٨ ، ٥٧٠١ صحيح مسلم ٢٦١٠ أبو داود ٤٧٨١ ، النسائي الكبرى ١٠٢٢٤ ، ١٠٢٢٥ .

(٢) ما بين القوسين ليس في العتيقة .

(٣) في المصدر : قل .

(٤) في العتيقة : جبرئيل . وهي لغة وقرئ بها في السبعة .

(٥) التفسير ١٣٧ وما بين القوسين منه .

(٦) نقل هذا الكلام عن الحافظ ابن كثير الإمام ابن الجزري وأقره على ضعفه وانقطاعه وعدم قيام الحجة به وذكر أن أبا عمرو الداني أخرجه أيضا من طريق أبي روق به بلفظ : قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ( النشر ٢٤٧/١ ) والضعف المذكور من جهة بشر بن عمار الخثعمي . قال الحافظ : ضعيف ( التقريب ٦٩٧ ) وأما الانقطاع فبين الضحاك وابن عباس .

(٧) ( مسألة : وجهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها ، وحكى الرازي عن عطاء ابن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال وقال ابن سيرين إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية فاستعذ وهو أمر ظاهره الوجوب وموازبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكي عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه مسألة وقال الشافعي في الإملاء يجهر بالتعوذ وإن أسر فلا يضر وقال في الأم بالتخير لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجع عدم الإستحباب والله أعلم فإذا قال المستعذ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم قاله الثوري والأوزاعي وحكي عن بعضهم أنه يقول أستعذ بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور والأحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالإتباع من هذا والله أعلم مسألة ثم الإستعاذة في الصلاة إنما هي للتلاوة وهو قول أبي حنيفة ومحمد وقال أبو يوسف بل للصلاة فعلى هذا يتعوذ المأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوذ فيالعبد بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة ومن لطائف الإستعاذة أنها تطهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فمن قتل العدو الظاهر البشري كان شهيدا ومن قتل العدو الباطني كان طريدا ومن غلبه

( فصل : والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر والعبادة تكون لدفع الشر واللباذ لطلب جلب الخير كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أوّمله      ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره      ولا يهيضون عظما أنت جابره<sup>(١)</sup>

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : أي أستجير بجناب الله من الشيطان أن يضربني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه . فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله . ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى ، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لمن رابعة : قوله تعالى في الأعراف : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف ١٩٩] فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر . ثم قال : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم ﴾ [الأعراف ٢٠٠] وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ [الأعراف ٢٠٠] وقال تعالى في سورة حم السجدة : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [فصلت ٣٤-٣٦]<sup>(٢)</sup> .

والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن : إذا بعد ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير ، وقيل : مشتق من شاط ؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول : كلاهما صحيح في المعنى ، ولكن الأول أصح ، وعليه يدل كلام العرب . قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه الصلاة والسلام :

العدو الظاهري كان مأجورا ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو موزورا ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان ( ما بين القوسين زيادة في ط .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وهذين البيتين مدح بمهما المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين أحد الملوك وقد ذكرهما الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٥٨/١١) وقال : وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول : إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع ، ولفظ البيت الأول في البداية وغيرها من الكتب " فما أحاذره " وانظر (شفاء العليل ٢٤٠/١ ، مدارج السالكين ١/٤٣٠، ١٨٧).

(٢) ماتقدم من قوله : ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس " إلى هنا يعتبر تكرارا لما ذكره الحافظ في بداية كلامه والاستعاذة .

أما شاطن عصاه عكاه<sup>(١)</sup> ثم يلتقى في السجن والأغلال

فقال : أما شاطن ولم يقل أما شائط .

وقال النابغة الذبياني \_ وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن ...<sup>(٢)</sup> بن مرة ابن سعد بن ذبيان \_ :

نأت بسعاد عنك نوى شطون<sup>(٣)</sup> فبان<sup>(٤)</sup> والفؤاد بها رهين

يقول : بعدت بها طريق بعيدة . ( وقال سيبويه : العرب تقول : تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا : تشيط )<sup>(٥)</sup> فالشيطان : مشتق من البعد على الصحيح . ولهذا يسمون كل ما<sup>(٦)</sup> تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطاناً . قال الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام ١١٢] وفي مسند أحمد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر ، تعوذ بالله من<sup>(٧)</sup> شياطين الإنس والجن . فقلت : أو<sup>(٨)</sup> للإنس شياطين ؟ قال : نعم<sup>(٩)</sup> .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : " يقطع الصلاة المرأة والكلب الأسود " . فقلت : يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر من الأصفر ؟ فقال : " الكلب الأسود شيطان " <sup>(١٠)</sup> .

(١) جاء على هامش العتيقة قوله : عكوت ذنب الدابة عكوا : إذا عقدته . وعكك المرأة شعرها : إذا لم ترسله . اهـ وعكاه : شده في الحديد ( انظر اللسان ٤/٣٠٦٣ ) .

(٢) بياض بالأصل والعتيقة وغير موجود في ط وكذا كلمة ابن السابقة له . وهو ابن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد والمعروف أنه زياد بن معاوية ليس فيه " عمرو " ( انظر طبقات الشعراء ص ٤١ ، جمهرة أنساب العرب ٢٤١ ) .

(٣) في الأصل : شطين . والمثبت من العتيقة . وعليها تعليق : بعيد . وجاء في الهامش : النوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد .

(٤) في الأصل : بانت . والمثبت من العتيقة . وتفسير ابن جرير .

(٥) ما بين القوسين ، زيادة من العتيقة .

(٦) في العتيقة : من .

(٧) في المسند : استعد بالله من شر .

(٨) في الأصل : و . والمثبت من العتيقة . وفي المسند : " وهل للإنس من شياطين ؟ " .

(٩) المسند ٥/١٧٨ ضمن حديث طويل وقد أخرجه الحاكم ٢/٢٨٢ وغيره وصححه وسكت الذهبي وإسناده فيه مقال من عدة جهات إلا أن له طرقا وشواهد تكفي في تحسين الجزء المذكور من الحديث وقد قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام ١١٢] .

(١٠) (الصحيح ٥١٠ وليس هذا لفظه بل معناه .

وقال ابن وهب : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب بردونا ، فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه ، فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه . وقال : ما حملتموني إلا على شيطان ! ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي<sup>(١)</sup> . إسناده صحيح .

والرحيم : فعيل بمعنى مفعول أي أنه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال (الله)<sup>(٢)</sup> تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ [الملك ٥] . وقال تعالى : ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ [الصفات ٦-١٠] وقال تعالى : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ [الحجر ١٦-١٨] إلى غير ذلك من الآيات .

(وقيل : رحيم بمعنى راجم لأنه يرمج الناس بالوساوس والريثاء...)<sup>(٣)</sup>

#### بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، أو من أول كل سورة كتبت في أولها ، أو أنها بعض آية من أول كل سورة ، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها ، أو أنها (إنما)<sup>(٤)</sup> كتبت للفصل لا أنها آية ؟ على أقوال للعلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط في غير هذا الموضع .

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٥)</sup> .

وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه أيضا<sup>(٦)</sup> وروي مرسلا عن سعيد بن جبير<sup>(٧)</sup> .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٣٦ وإسناده صحيح كما ذكر الحافظ .

(٢) ليست في العتيقة .

(٣) ما بين القوسين من العتيقة ومكان النقط بياض وجاء في ط : والأول أشهر وأصح .

والريثاء جمع ريثة وهي : الحاجات التي تجسهم عن الخير كما في مختار الصحاح ص ٢٢٩ .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) السنن ٧٨٨ وإسناده صحيح كما ذكر الحافظ . وقد أخرجه الضياء في المختارة بألفاظ مختلفة ٣٣٦-٣٣٩ . وقال الهيثمي : رواه البزار بإسنادين رجال احدهما رجال الصحيح (المجمع ١٠٩/٢ ، ٣١٠/٦) وانظر (الصحيح المثبور ٧٣/١) .

(٦) المستدرک ٢٣١/١ وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : ثابت .

(٧) رواه مرسلا أبو داود في المراسيل ٢٦ وقال : المرسل أصح وكذا رواه الحميدي ٥٢٨ وعبد الرزاق ٢٦١٧ وغيرها وقد تقدم تصحيح الأئمة للرواية الموصولة والوصل زيادة ثقة مقبولة .

وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قرأ البسمة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية. لكنه من رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عنها<sup>(١)</sup>. وروى له الدارقطني متابعة<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة مرفوعاً<sup>(٣)</sup> وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما<sup>(٤)</sup>.

ومن حكي عنه أنّها آية من كل سورة إلا براءة<sup>(٥)</sup>: ابن عباس<sup>(٦)</sup> وابن عمر<sup>(٧)</sup> وابن الزبير<sup>(٨)</sup> وأبو هريرة<sup>(٩)</sup> وعلي<sup>(١٠)</sup>، ومن التابعين عطاء<sup>(١١)</sup> وطاوس<sup>(١٢)</sup> وسعيد بن جبير<sup>(١٣)</sup> ومكحول والزهرى<sup>(١٤)</sup>، وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه وإسحاق بن راهويه<sup>(١٥)</sup> وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله .

(١) الصحيح ٤٩٣ بأطول منه وليس هذا لفظه وإنما معناه وأخرجه الدارقطني ٣٠٧/١، وأخرجه أيضاً الحاكم ٢٣٣/١، وقال: إنما خرجته شاهداً ١.١.هـ وعمر بن هارون البلخي قال فيه الحافظ: متروك وكان حافظاً (التقريب ٤٩٧٩) فالحديث ضعيف لا يصح. (٢) في العتيقة: متابعا .

(٣) السنن ٣١٢/١ وقد تقدم تخريجه وبيان أن وقفه أصح قبل فضل الفاتحة .

(٤) الذي في السنن شواهد على الجهر بما لا على عدّها آية وانظر ٣٠٢/١-٣٠٥ والرواية عن علي وابن عباس في ذلك لا تصح .

(٥) لم أف على أي رواية بهذا النص أنّها آية من كل سورة إلا براءة سوى أثر عطاء الآتي ففيه بيان ذلك، وإنما الذي وقفت عليه في عدّها آية فقط بدون تفصيل، وقد الف في البسمة أئمة منهم ابن خزيمة له كتاب البسمة (انظر الدر ٧/١)، والدارقطني له كتاب الجهر بما (انظر السنن ٣١١/١).

(٦) أخرج عبد الرزاق ٢٦٠٩ عنه ما يفيد ذلك وإسناده فيه عبد العزيز بن جريج لين ولكن يشهد له مارواه الضياء في المختارة ٣١٨/١ وله شواهد كثيرة وانظر ما يأتي عن ابن عمر وانظر ( الدر ٧/١) .

(٧) أخرج الثعلبي عن علي بن زيد بن جدعان أن العبادة كانوا يستفتحون القراءة بسم الله الرحمن الرحيم يجهرن بما عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير. (النظر الدر ٧/١) وإسناده ضعيف لضعف ابن جدعان مع انقطاعه أيضاً وأخرج عبد الرزاق ٢٦٠٨ بسند صحيح ٢٦٢٠ عن ابن عباس وابن عمر كأننا يستفتحان بسم الله الرحمن الرحيم . وانظر ما أخرجه البيهقي في الشعب ٢٣٣٦، ٢٣٣٥ وأخرج الواحدي في أسباب النزول ص ١١ عن ابن عمر قال: نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة . وفي إسناده عبد الله بن نافع مولى ابن عمر وهو ضعيف ( انظر التقريب ٣٦٦١).

(٨) انظر ماتقدم عن ابن عمر فيما رواه الثعلبي بإسناد ضعيف، وأخرج البيهقي في الشعب ٢٣٣٤ عن الأزرق بن قيس قال: صليت وراء ابن الزبير فكان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإذا قال ولا الضالين قال: بسم الله الرحمن الرحيم . وإسناده صحيح .

(٩) تقدم عن أبي هريرة أنّها آية من الفاتحة وليس فيه النص مع كونها آية من كل سورة .

(١٠) أخرج الثعلبي بإسناده عن علي قراءتها مع السورة وكان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص ( انظر مفاتيح الغيب ١٩٦/١، الدر المثلوث ٧/١) .

(١١) أخرج عبد الرزاق ٢٦١٥، ٢٦٢٩ عنه ما يفيد ذلك وإسناده صحيح .

(١٢) أخرج عبد الرزاق ٢٦١٣ بإسناد صحيح عنه أنه كان إذا قرأ لهم بسم الله الرحمن الرحيم قبل أم القرآن لم يقرأها بعدها .

(١٣) أخرج عبد الرزاق ٢٦٠٩ عنه ما يفيد ذلك وإسناده فيه لين .

(١٤) أخرج عبد الرزاق ٢٦١٢ عنه ما يفيد ذلك وإسناده صحيح .

(١٥) انظر ما أخرجه البيهقي في الشعب ٤٤١/٢، ٤٤٠ عن ابن المبارك وأحمد وابن راهويه .

وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما : ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعي في قول في بعض طرق مذهبه : هي آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان .

وقال داود : هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها . وهذه<sup>(١)</sup> رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن والكرخي<sup>(٢)</sup> وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله . هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا . فأما ما يتعلق بالجهر<sup>(٣)</sup> بها فمفزع على هذا ؛ فمن رأى أنها ليست منها فلا يجهر بها وكذا من قال : إنها آية من<sup>(٤)</sup> أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلّفوا فذهب الشافعي إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة ، وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين خلفا وسلفا ، فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس<sup>(٥)</sup> ومعاوية<sup>(٦)</sup> وحكاه ابن عبد البر والبيهقي عن عمر وعلي ، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر ، وعمر وعثمان وعلي<sup>(٧)</sup> ، وهو غريب ومن التابعين عن سعيد بن جبير<sup>(٨)</sup> ، وعكرمة ، وأبي قلابة ، والزهري<sup>(٩)</sup> ، وعلي بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب ، وعطاء<sup>(١٠)</sup> ، وطاوس<sup>(١١)</sup> ، ومجاهد<sup>(١٢)</sup> ، وسالم ، ومحمد بن

(١) في العتيقة : وهذا .

(٢) الذي في تفسير الرازي عن يعلى قال : سألت محمد بن الحسن عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال : ما بين الدفتين قرآن قال : قلت : فلم تسره ؟ قال : فلم يجبي . وقال الكرخي : لا أعرف هذه المسألة بعينها لمتقدمي أصحابنا إلا أن امرهم بإخفائها يدل على أنها ليست من السورة (١/ ١٩٤) .

فهما محمد بن الحسن والكرخي لا " أبي الحسن الكرخي " وقوله : وهما من أكابر ..... الخ يؤكد ذلك ويلاحظ أيضا اختلاف المضمون بين النقلين والله أعلم .

(٣) في العتيقة : فأما الجهر .

(٤) في العتيقة : في .

(٥) تقدم منهم ما يدل على ذلك بأسانيد صحيحة .

(٦) أخرج ذلك عبد الرزاق ٢٦١٨ ( وفيه سقط وتصحيح ) ومن طريقه وغيره الدارقطني ٣١١/١ ( وتصحف فيه حفص ب جعفر ) وكذا أخرجه الشافعي في الأم ( ) والحاكم ٢٣٣/١ من طريق وقال الدارقطني : كلهم ثقات . أ.هـ وأبو بكر المذكور ينظر لترجمته حيث جعله بعضهم اثنين ( الثقات لابن حبان ١٢٠٥٠/٥ ، الجرح والتعديل ٣٦/٥ ، ٣٣٨/٩ ، التاريخ الكبير ٧٦/٥ ) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وسكت الذهبي وله طريق آخر عند الدارقطني ٣١١/١ .

(٧) أما أبو بكر وعمر فقد أخرج الدارقطني ٣٠٥/١ عن ابن عمر ما يفيد ذلك وفي إسناده كذاب ( انظر التعليق المغني ٣٠٥/١ ) وهو مخالف لما ثبت في حديث أنس في الصحيحين وقد ذكر الرازي رواية لأبي قلابة عن أنس بعكس ذلك وأما علي فقد تقدم إخراج الثعلبي عند ما يفيد ذلك كما في حديث أنس في الصحيح .

(٨) تقدم .

(٩) تقدم .

(١٠) تقدم .

(١١) تقدم .

(١٢) أخرج عبد الرزاق ٢٦١٩ عنه قال : نسي الناس بسم الله الرحمن الرحيم وهكذا التكبير وإسناده حسن .

كعب القرظي ، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وأبي وائل ، وابن سيرين ، ومحمد بن المنكدر ، وعلي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد ، ونافع مولى ابن عمر ، وزيد بن أسلم ، وعمر بن عبد العزيز ، والأزرق بن قيس ، وحبيب بن أبي ثابت ، وأبي الشعثاء ، ومكحول ، وعبد الله بن معقل بن مقرن - زاد البيهقي : وعبد الله بن صفوان<sup>(١)</sup> ، ومحمد ابن الحنفية<sup>(٢)</sup> . زاد ابن عبد البر : وعمرو بن دينار<sup>(٣)</sup> والحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر أبعاضها . وأيضا فقد روى النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ : إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> . وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم<sup>(٥)</sup> .

وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يفتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذي : وليس إسناده بذلك<sup>(٦)</sup> .  
وقد رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يجهر بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : صحيح<sup>(٧)</sup> .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال : كانت قراءته مدا . ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم<sup>(٨)</sup> .

(١) هذه النقول لم أقف على أسانيدها ولعلها في كتاب الدارقطني المشار إليه آنفا في الجهر بها أو في كتاب ابن خزيمة في البسملة . وقد قال الدارقطني : وكذلك ذكرنا في ذلك الموضوع ( يعني كتاب الجهر ) أحاديث من جهر بها من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم والخالفين بعدهم رحمهم الله ( انظر السنن ٣١١/١ ) .

(٢) أخرج الدارقطني ٣٦٠/١ عند ما يتبين ذلك وفيه روايان ضعيفان ( انظر التعليق المغني ٣٦٠/١ ) .

(٣) أخرج البيهقي في الشعب ٢٣٣٠ عند ما يفيد أن البسملة من القرآن . وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك ( انظر التقريب ٢٧٢ ) .

(٤) السنن ٩٠٥ ، صحيح ابن خزيمة ٤٩٩ ، صحيح ابن حبان ، المستدرک ٢٣٢/١ وقد أخرجه أيضا الدارقطني ٣٠٥/١ ، والبيهقي إسناده صحيح وله شواهد وقال في الخلافيات : رواه كلهم ثقات مجمع على عدالتهم محتج بهم في الصحيح ( انظر التعليق المغني ٣٠٦/١ ) وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم مختصرا (٣٩٢) .  
(٥) انظر ما سبق .

(٦) سنن الترمذي ٢٤٥ وليس في مطبوعة سنن أبي داود وقد عزاه إليه في تحفة الأشراف ٢٦٥/٥ ، وفي إسناده مجهول ، وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء ٨٠/١ ، ابن عدي في الكامل ٣٠٥/١ ، وقال العقيلي : غير محفوظ وكذا قال ابن عدي .

(٧) المستدرک ٢٠٨/١ وقد تعقبه الذهبي بقوله : ابن حسان - يعني عبد الله بن عمرو بن حسان المذكور في إسناده - كذبه غير واحد ومثل هذا لا يخفى على المصنف ١.هـ فالحديث ضعيف جدا .

(٨) الصحيح ٥٠٤٦ .

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة أنها قالت :  
كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم  
الدين<sup>(١)</sup> . وقال الدارقطني : إسناده صحيح<sup>(٢)</sup> .

وروى الشافعي رحمه الله والحاكم في مستدركه عن أنس أن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة ، فأنكر  
عليه من حضره من المهاجرين ذلك ، فلما صلى المرة الثانية بسمل<sup>(٣)</sup> .

وفي هذه الأحاديث والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها . فأما  
المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر .

وذهب آخرون إلى أنه لا يجهر بالبسملة في الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة<sup>(٤)</sup> ، وعبد الله بن  
مغفل<sup>(٥)</sup> ، وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل .

وعند الإمام مالك أنه لا يقرأ البسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرا واحتجوا بما في صحيح مسلم عن عائشة  
رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين<sup>(٦)</sup> . وبما  
في الصحيحين عن أنس بن مالك قال : صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا  
يستفتحون بالحمد لله رب العالمين<sup>(٧)</sup> .

ولمسلم : لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا (في) آخرها<sup>(٨)</sup> . ونحوه في السنن عن عبد  
الله بن مغفل<sup>(٩)</sup> .

(١) المسند ٣٠٢/٦ ، السنن ١٤٦٦ ، صحيح ابن خزيمة ، المستدرك وقد أخرجه الدارقطني أيضا ٣١٣/١ ، وقال : إسناده صحيح  
وكلهم ثقات وقال الحاكم :

(٢) انظر ما سبق .

(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه .

(٤) أما أبو بكر وعمر وعثمان فتأثرت عنهم كما سيأتي وأما علي فلم أفق على ثبوته عند بل روي عنه عكسه كما سبق ونقل الرازي أن  
عليًا كان يجهر بالتسمية وأن ذلك ثبت بالتواتر ( انظر مفاتيح الغيب ٢٠٥/١ ) وهيئات .

وقال الترمذي عقب حديث عبد الله بن مغفل الآتي تخريجه : والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو بكر وعمر  
وعثمان وعلي وغيرهم ( السنن ) وروى الطبراني عن أبي وائل قال : كان علي وعبد الله لا يجهران بسم الله الرحمن الرحيم ولا بالتعويد ولا  
بالتامين وقال الهيثمي : فيه أبو سعد البقال وهو ثقة مدلس ( المجمع ١٠٨/٢ ) وأبو سعيد اسم سعيد ابن المرزبان ضعيف مدلس ( انظر  
التقريب ٢٣٨٩ ) .

(٥) يأتي تخريج ذلك وقد سمع ولده يجهر بالبسملة فقال : أي بني إياك والحديث كما في بعض طرق الحديث الآتي تخريجه .

(٦) الصحيح ٤٩٨ .

(٧) البخاري ٧٤٣ ، مسلم ٣٩٩ .

(٨) زيادة من العتيقة .

(٩) مسلم ٣٩٩ .

(١٠) الترمذي ٢٤٤ ، النسائي ٩٠٨ ، الكبرى ٩٨٠ ، ابن ماجه ١٨٥ وإسناده حسن .

فهذه مأخذ الأئمة رحمهم الله في (هذه المسألة)<sup>(١)</sup> وهي قريبة لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر والله الحمد والمنة .

فصل في فضلها :

قال الإمام العالم<sup>(٢)</sup> الحبر العابد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره : ثنا أبي ، ثنا جعفر بن مسافر ، ثنا زيد بن المبارك الصنعاني ، ثنا سَلَام بن وهب الجندي ، ثنا أبي ، عن طاوس ، عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال : " هو اسم من أسماء الله ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب " <sup>(٣)</sup> .

وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن أحمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به <sup>(٤)</sup> . وقد روى الحافظ ابن مردويه من طريقين عن إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن مسعر ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله . قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري ! قال له عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سنائه ، والميم مملكته ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة <sup>(٥)</sup> .

وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء<sup>(٦)</sup> الملقب بزريق ، عن إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل ابن يحيى ، عن ابن أبي مليكة عن حدثه عن ابن مسعود ، ومسعر ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ ، فذكره <sup>(٧)</sup> . وهذا غريب جدا <sup>(٨)</sup> . وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات <sup>(٩)</sup> . والله أعلم .

(١) في الأصل : في البسملة . والمثبت من العتيقة .

(٢) في العتيقة : العلم .

(٣) التفسير ١٢/١ وحكم المحقق بوضعه .

(٤) مرويات ابن مردويه ص ٦٦ واخرجه الحاكم ٥٥٢/١ وعنه البيهقي في الشعب ٢٣٢٧ وغيرها وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في الميزان (١٨٢/٢) منكر بل كذب ا.هـ وهو كما قال وأخرجه أيضا العقيلي في الضعفاء ١٦٢/٢ في ترجمة سلام وقال : لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به .

(٥) مرويات ابن مردويه ص ٦٧ وانظر الدر المنثور ٢٣/١ .

(٦) في الأصل : المعلى . والمثبت من العتيقة .

(٧) التفسير رقم ١٤٥، ١٤٥، ١٤٥، وقال أحمد شاكر : موضوع لا أصل له ، وقال : إسنادان ضعيفان .

(٨) أخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية ٢٥١/٧ وابن عدي في الكامل ٣٠٣/١ وابن الجوزي في الموضوعات ١٨٦ وقال ابن عدي : باطل الإسناد وقال ابن الجوزي : ما يصنع مثل هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام أو جاهل في غاية الجهل وقلة المبالاة بالدين . وضعف إسناده السيوطي وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٩٧ وقال : حديث موضوع كما قال ابن الجوزي وفي إسناده إسماعيل بن يحيى كذاب .

(٩) هذا الاحتمال لا داعي له فالإسناد واه بمره والمتن ركيك جدا .

وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبيله<sup>(١)</sup> .

وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد ، عن سليمان بن بريدة<sup>(٢)</sup> ، وفي رواية : عن عبد الكريم أبي أمية عن ابن بريدة ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : " أنزلت علي آية لم تنزل<sup>(٣)</sup> علي نبي غير سليمان بن داود وغيري ، وهي : بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٤)</sup> .

وروى بإسناده عن عبد الكبير<sup>(٥)</sup> بن المعافى بن عمران ، عن أبيه ، عن عمر بن ذر ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق ، وسكنت الرياح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه<sup>(٦)</sup> .

(وقال وكيع : عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر<sup>(٧)</sup> ؛ فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيجعل الله له من كل حرف منها جنة ، من كل واحد<sup>(٨)</sup> . ذكره ابن عطية<sup>(٩)</sup> والقرطبي<sup>(١٠)</sup> ووجهه ابن عطية ونظره بحديث : " فقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يتدرونها ؛ لقول الرجل : ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه<sup>(١١)</sup> . من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفا<sup>(١٢)</sup> ، وغير ذلك .<sup>(١٣)</sup> وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة عن

(١) في الأصل : قبله . بالموحدة والمثبت من العتيقة . والمراد قوله . وقد أخرجه من طريق جويبر به مختصرا ابن أبي حاتم ١١/١ ، وفي إسناده جويبر بن سعيد الأزدي قال الحافظ : ضعيف جدا (التقريب ٩٨٧).

(٢) في العتيقة : برده .

(٣) في الأصل : ينزل . وفي العتيقة بدون نقط . والمثبت من ط .

(٤) مرويات ابن مردويه ص ٦٨ ولم أقف على من عزاه لابن مردويه غير ابن كثير وقد ذكره في سورة النمل من رواية ابن أبي حاتم بإسناده ضعيف (التفسير ٣/٣٦٣) وأخرجه الدارقطني ١/٣١٠ ، والبيهقي ١٠/٦٢) وغيرها وقال البيهقي : إسناده ضعيف وفي إسناده عبد الكريم بن أبي المخارق قال الحافظ : ضعيف (التقريب ٤١٥٦) وانظر أيضا مجمع الزوائد (١٠٩/٢)

(٥) في الأصل : الكريم . والمثبت من العتيقة .

(٦) مرويات ابن مردويه ص ٦٨ ونسبه إليه السيوطي في الدر ١/٩ وعزاه أيضا للثعلبي وما ذكر من إسناده رجاله ثقات إلا أن تفرد به ابن مردويه والثعلبي - وأظنه من كريقه - به يوحى بعدم حفظه ولعل في بقية الإسناد من لا يوثق به . وهو موقوف في حكم المرفوع .

(٧) أي زبانية جهنم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ المدثر :

(٨) عزاه السيوطي لوكيع والثعلبي (انظر الدر ٩/١). وإسناده صحيح وعننة الأعمش يتساهل فيها .

(٩) المحرر الوجيز ١/٥٤ .

(١٠) الجامع ١/٨٠ .

(١١) أخرجه البخاري ٧٦٦ من حديث رفاعة بن رافع .

(١٢) وقال ابن عطية : وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم (١/٥٤).

(١٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

عاصم قال : سمعت أبا تيممة يحدث عن رديف النبي ﷺ قال : عشر بالنبي ﷺ (حمارة)<sup>(١)</sup>، فقلت : تعس الشيطان<sup>(٢)</sup> فقال النبي ﷺ : " لا تقل تعس الشيطان ؛ فإنك إذا قلت : تعس الشيطان ، تعاضم وقال : بقوتي صرعته . وإذا قلت : بسم الله ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب "<sup>(٣)</sup>. هكذا وقع في رواية الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> وقد رواه النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي تيممة \_ وهو الهُجيمي<sup>(٥)</sup> \_ عن أبي المليح بن أسامة بن عمير<sup>(٦)</sup> عن أبيه قال : كنت رديف النبي ﷺ ... فذكره ، وقال : لا تقل هكذا فإنه يتعاضم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل : بسم الله فإنه يصغر حتى يكون كالذباب<sup>(٧)</sup>.

فهذا من تأثير بركة بسم الله ، ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول ؛ فتستحب في أول الخطبة لما جاء: كل (أمر)<sup>(٨)</sup> لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أجزم<sup>(٩)</sup> . ( وتستحب البسمة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك )<sup>(١٠)</sup> وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد ، والسنن من رواية أبي هريرة ، وسعيد بن زيد ، وأبي سعيد مرفوعا : " لا (وضوء)<sup>(١١)</sup> لمن لم يذكر اسم الله عليه "<sup>(١٢)</sup> .

(١) زيادة من المصدر .

(٢) تعس : بكسر العين وفتحها أي كب لوجهه أو هلك ويبدو أنه كان من عادتهم إذا عثر أحدهم دعا بذلك على من يكره كما في حديث الإفك ؛ كما في حديث الإفك تعس مسطح وانظر فتح الباري (٤٦٦/٨) .

(٣) المسند ٥٩/٥ وفيه زيادة في إسناده : قال شعبة : قال عاصم عن أبي تيممة من رجل عن رديف النبي ﷺ .

(٤) رواه أحمد أيضا بإجماع الصحابي ٥٩/٥ من طريق عاصم عن أبي تيممة عنه بدون واسطة ، ٧١،٣٦٥/٥ بالشك في الواسطة .

(٥) في الأصل : الجهم والمثبت من العتيقة .

(٦) ثقة مختلف في اسمه ( انظر التقريب ٨٣٩٠ ) .

(٧) الكبرى ١٠٣٨٨ ، ١٠٣٨٩ مرويات ابن مردويه ص ٦٦ والحديث أخرجه أيضا أبوداود ٤٩٨٢ عن أبي المليح عن أبيه والحاكم ٢٩٢/٤ بالوجهين وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي . وقد ذكره ابن كثير مرة أخرى في ٥٧٦/٤ ط . المعرفة وقال : تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي هـ . وانظر أيضا ( البداية والنهاية ٦٠/١ ) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح (المجمع ١٠/١٣٢) وصححه الألباني ( صحيح الجامع ١٦٩/٦ ) .

(٨) في الأصل والعتيقة : خطبة . وعلى العتيقة تعليق : أمر . كما أثبتناه وعليها علامة صح . وهي كذلك في ط .

(٩) أجزم : أي أقطع . وهذا اللفظ لم أقف عليه وذكر النووي نحوه في الاحتجاج على وجوب البسمة في الوضوء (انظر التلخيص الجبير ٧٦/١) وإنما أخرج الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٦٩/٢ والسبكي في طبقات الشافعية ١٢/١ وعبد القادر الرهاوي في الأربعين (انظر الدر ١٠/١) من حديث أبي هريرة مرفوعا : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم أقطع . وحسنه السيوطي وفي إسناده أحمد بن محمد بن عمران وهو ضعيف (انظر تاريخ بغداد ٧٧/٥ ولسان الميزان ١/) والحديث قال الألباني : ضعيف جدا هـ . وقد جاء بلفظ : لا يبدأ بحمد الله وحسنه جماعة من الأئمة ( وانظر الإرواء ١٠٢ ، أحمد ٣١/١ ) .

(١٠) زيادة من العتيقة .

(١١) سقطت من الأصل وهي في العتيقة .

(١٢) حديث أبي هريرة في المسند ٤١٨/٢ ، أبي داود ١٠١ ، ابن ماجه ٣٩٩ وغيرهم وفيه ضعف وانقطاع وحديث سعيد بن زيد في المسند ٧٠/٤ ، الترمذي ٢٥ ، ابن ماجه ٣٩٨ وغيرهم وفي إسناده جهالة واختلاف وقال البخاري : هو أحسن شيء في هذا الباب ، وحديث أبي سعيد في المسند ٤١/٣ ، ابن ماجه ٣٩٧ وغيرهما وفي إسناده ضعف وله طرق أخرى عن غيرهم من الصحابة وقد ضعف جميع طرقه جماعة من أهب العلم وصححها بعضهم والصواب أنه حديث حسن بمجموع طرقه كما سيأتي ذكره عن المصنف . وقد ذكره

وهو حديث حسن ومن العلماء من أوجبها عند الذكر<sup>(١)</sup> ههنا ، ومنهم من قال بوجوبها مطلقا . وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة ، وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه . ( وقد ذكر فخر الدين الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا أتيت أهلك فسم الله ، فإنه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات<sup>(٢)</sup> . وهذا لا أصل له ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها)<sup>(٣)</sup> وهكذا تستحب عند الأكل لما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لربيبة عمر بن أبي سلمة : قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك<sup>(٤)</sup> . ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه . وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا "<sup>(٥)</sup> .

ومن هاهنا ينكشف لك أن القولين عند النجاة في تقدير المتعلق بالباء في قولك : بسم الله ؛ هل هو اسم أو فعل ؟ متقاربان ، وكل قد ورد به القرآن .

أما من قدره باسم تقديره : بسم الله ابتدائي ، فلقله تعالى : ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ [مود ٤١] ، ومن قدره بالفعل (أمرأ أو خبرا نحو : ابدأ بسم الله ، أو ابتدأت بسم الله)<sup>(٦)</sup> ، فلقله : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ وكلاهما صحيح ؛ فإن الفعل لا بد له من مصدر ، فلك أن تقدر الفعل ومصدره ، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قياما أو قعودا أو أكلا أو شربا أو قراءة أو وضوءا أو صلاة ؛ فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله ، تبركا وتيمنا واستعانة على الإتمام والتقبل والله أعلم .

ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث بشر بن عمار عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : إن أول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال : يا محمد قل : أستعبد ( بالله السميع)<sup>(٧)</sup>

ابن كثير مرة أخرى في ٢/٢٤ وقال من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة وانظر للاستفاضة ( إرواء الغليل ١/١٢٢ ، البدر المنير ٣/٢٢٥-٢٥٧ ، التحقيق في أحاديث الخلاف ١/١٣٧-١٤٠ ، نصب الراية ١/٣-٤ ، التلخيص الحبير ١/٧٢-٧٦ .  
(جاء في هامش العتيقة : ضد النسيان .

(٢) مفاتيح الغيب ١/١٧١ ضمن حديث طويل في فضل البسملة وفيه : وإذا غشيت أهلك فقل : بسم الله فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فإن حصل من تلك الواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد أنفاس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد . وآثار الوضع لائحة عليه .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) الصحيح ٢٠٢٢ وفاته عزوه للبخاري فقد أخرجه برقم ٥٠٦٢ ، ٥٠٦١ ، ٥٠٦٣ .

(٥) البخاري ٣٠٩٨ ، ١٤١ ، ٦٠٢٥ ، ٦٩٦١ ، مسلم ١٤٣٤ وليس هذا اللفظ عندهما بل نحوه .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٧) في المصدر : بالسميع وكذا في (.....).

العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قال : قل : بسم الله الرحمن الرحيم . قال : قال له جبريل : (قل)<sup>(١)</sup>  
باسم الله يا محمد يقول : اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله<sup>(٢)</sup> . لفظ ابن جرير .  
وأما مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره<sup>(٣)</sup> ؛ ففيها للناس ثلاثة أقوال :

(أحدها : أن الاسم هو المسمى ، وهو قول أبي عبيدة ، وسيبويه واختاره الباقلاني وابن فورك ، وقال  
فخر الدين الرازي \_ وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري في مقدمات تفسيره \_ : " قالت  
الحشوية والكرامية والأشعرية : الاسم نفس المسمى وغير التسمية . وقالت المعتزلة : الاسم غير المسمى  
ونفس التسمية . والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية (...)"<sup>(٤)</sup> ، ثم نقول : إن كان  
المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات مقطعة وحروف مؤلفة ( وبالمسمى تلك الذوات في أنفسها  
وتلك الحقائق باعياها )<sup>(٥)</sup> ؛ فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى . وإن كان المراد بالاسم ذات  
المسمى ( وبالمسمى أيضا تلك الذات )<sup>(٦)</sup> ؛ فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات ، وهو عبث .  
فثبت أن الخوض<sup>(٧)</sup> في هذا البحث على جميع<sup>(٨)</sup> التقديرات يجري مجرى العبث<sup>(٩)</sup> .

ثم شرع<sup>(١٠)</sup> يستدل على مغايرة الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجودا ، والمسمى مفقودا كلفظة  
"المعدوم" ، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالمترادفة<sup>(١١)</sup> ، وقد يكون الاسم واحدا ، والمسميات  
متعددة ، كالمشترك ، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى . وأيضا فالاسم لفظ ، وهو عرض ،  
والمسمى قد يكون ذاتا ممكنة أو واجبة بذاتها ، وأيضا فلفظ النار والثلج ، لو كان هو المسمى ، لوجد  
الالفاظ بذلك حر النار ، أو برد الثلج ونحو ذلك ، ولا يقوله عاقل . وأيضا فقد قال الله تعالى : ﴿ والله  
الأسماء الحسنی فادعوه بها ﴾ وقال النبي ﷺ : " إن لله تسعة وتسعين اسما<sup>(١٢)</sup> . فهذه أسماء كثيرة

(١) زيادة من المصدر : بالسميع وكذا في (...).

(٢) ابن جرير ١٣٧ ، ١٣٩ ، ابن أبي حاتم ١١١/١ ، ١٢ ، ١٣ ، وقد تقدم بيان ضعفه وانقطاع وقال أحمد شاكر : كفى ببشر بن عمارة  
ضعفا في الإسناد إلى نكارة السياق الذي رواه وغرابته .

(٣) هذه مسألة من مسائل ما يسمى بعلم الكلام وهو علم محدث أدى بأصحابه إلى زلات كثيرة وليت الحافظ لم يذكر هذه المسألة هنا  
أصلاً .

(٤) كلام بالمصدر اختصره الحافظ .

(٥) زيادة من المصدر .

(٦) كلام بالمصدر اختصره الحافظ .

(٧) في العتيقة : المختص . وعليها تعليق : الخوض . وهي كذلك في ط .

(٨) في العتيقة : جمع والمثبت من ط .

(٩) مفاتيح الغيب ١٠٩/١ مع تصرف من الحافظ في بعض الألفاظ .

(١٠) يعني : الرازي .

(١١) في العتيقة : كالمترادفة والمثبت من ط .

(١٢) يأتي تخرجه بعد انتهاء كلام الرازي بقليل .

والمسمى واحد وهو الله تعالى . وأيضا فقلوه : ﴿ والله الأسماء ﴾ أضافها إليه . كما قال : ﴿ فسيح باسم ربك العظيم ﴾ [الواقعة ٧٤،٩٦] ونحو ذلك ، والإضافة تقتضي المغايرة ، وقوله : ﴿ فادعوه بها ﴾ أي : فادعوا<sup>(١)</sup> الله بأسمائه . وذلك دليل على أنها غيره . واحتج من قال : الاسم هو المسمى ، بقوله : ﴿ تبارك اسم ربك ﴾ [الرحمن ٧٨] والمتبارك هو الله . والجواب : أن الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسة . وأيضا فإذا قال الرجل : زينب طالق \_ يعني امرأته \_ طلقت ، ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق . والجواب : أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق<sup>(٢)</sup> . قال الرازي : وأما التسمية فإنها جعل الاسم معنا لهذه الذات . فهي غير الاسم أيضا<sup>(٣)</sup> والله أعلم<sup>(٤)</sup> .

الله : علم على الرب تبارك وتعالى . يقال : إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات . كما قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الحشر ٢٢،٢٤] فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له ، كما قال تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء ١١٠] ، وفي الصحيحين : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة"<sup>(٥)</sup> . وجاء تعدادها في رواية الترمذي ، (وابن ماجه<sup>(٦)</sup>) ، وفي الروايتين اختلاف وزيادة ونقصان . وقد ذكر فخر الدين في تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم ، ألف في الكتاب والسنة الصحيحة ، وألف في التوراة ، وألف في الإنجيل ، وألف في الزبور ، وألف في اللوح المحفوظ<sup>(٧)</sup> .

(١) في العتيقة : فالدعو . وعليها تعليق : فادعوا . وهي كذلك في ط .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٠٩/١-١١٠ . وقد تصرف في لفظه الحافظ بالاختصار .

(٣) انظر مفاتيح الغيب ١١٠/١ في المسألة الرابعة بنحو ذلك لا بلفظه .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة ويوجد مكانه بالأصل فراغ خمسة أسطر .

(٥) البخاري ٢٥٨٥ ، ٦٩٥٧ ، مسلم ٢٦٧٧ .

(٦) الترمذي ٣٥٠٢ ، ابن ماجه ٣٨٦١ وهذا التعداد مدرج من بعض الرواة ولا يصح وفي الروايتين ضعف واختلاف وثمت رواية ثالثة عند الحاكم وأبي الشيخ وابن مردويه وغيرهم فيها تفصيل أيضا للأسماء وقد ضعفها جميعا الألباني (انظر ضعيف الجامع ١٩٤٣، ١٩٤١، ١٩٤٤) وضعفها قبله ابن حزم والداودي وغيرهما . وللإستفاضة انظر ( مرويات ابن ماجه ٤٣٤ ، تحريج المشكاة ٢٢٨٨ ، فتح الباري ٢٢٠-٢١٤/١١) .

(٧) انظر مفاتيح الغيب ١٥٤/١ بنحوه وقد نقله الرازي عن بعض كتب التذكير ولم يستبعده وحاول تقريره وهذا من خرافات كتابه غفر الله لنا وله ، وقال ابن حجر : وهذه دعوى تحتاج إلى دليل ( فتح الباري ٢٢٠/١١) ولو سلم ببعض ماقاله فأين الألف التي في الكتاب والسنة والصحيحة !!

(٨) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ، ولهذا لا يعرف في كلام العرب (له)<sup>(١)</sup> اشتقاق من فعل ويفعل ، فذهب من ذهب من النحاة ، إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له ، ( وقد نقل القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم وروي عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة . قال الخطابي: ألا ترى أنك تقول : يا الله ، ولا تقول : يا الرحمن ، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام )<sup>(٢)</sup> .

وقيل : إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج :

لله دَرُ الغانيات المَدَوِّ<sup>(٣)</sup>      سبحن واسترجعن من تألهي<sup>(٤)</sup>

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو : التألّه ، من ألّه يأله إلهة وتألها . كما روي أن ابن عباس قرأ :

ويذكرك وإلاهتك<sup>(٥)</sup> . قال : عبادتك أي أنه كان يُعبد ولا يُعبد<sup>(٦)</sup> . وكذا قال مجاهد وغيره<sup>(٧)</sup> .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) المدّه : جاء تعليق عليها في العتيقة : المدّه : المدح ، المادة المادح والجمع المدّه . وجاء أيضا : الغانية الجارية التي غنيت بزوجها .

(٤) البيت في تفسير ابن جرير ١٢٣/١ ولسان العرب ٤١٦١/٦ منصوبا لرؤبة .

(٥) يعني في قوله تعالى ﴿ ويذكرك وإلاهتك ﴾ الأعراف :

(٦) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما ويأتي في موضعه إن شاء الله . وهي قراءة شاذة ( وانظر الدر المنثور ١١٧/١ ) .

(٧) جاءت هنا زيادة في ط ليست في الأصل ولا العتيقة : وقد استدلت بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾ الأنعام ٣ كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ الزخرف ٨٤ ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله إله مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه : مثل الناس أصله أناس ، وقيل : أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام للتعظيم . وهذا اختيار سيبويه قال الشاعر :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب      عني ولا أنت ديابي فتخزوني

قال القرطبي : بالخاء المعجمة أي فتسوسني . وقال الكسائي والفراء : أصله الإله فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام في الثانية . كما قال : لكننا هو الله ربي . أي : لكن أنا وقد قرأها كذلك الحسن . قال القرطبي : ثم هو مشتق من وله إذا تحير والوله ذهاب العقل . يقال : رجل واله وامرأة واله ، وولهي ومولوهة إذا أرسل في الصحراء . فالله تعالى يحير أولئك في الفكر في حقائق صفاته ، فعلى هذا يكون ولاه ، فأبدلت الواو همزة ، كما قالوا : في وشاح إشاح ، ووسادة إسادة . وقال الرازي : وقيل إنه مشتق من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه ، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره ، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته ، لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره . قال الله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا ﴾ الرعد ٢٨ قال : وقيل من لاه يلوه إذا احتجب . وقيل : اشتقاقه من أله الفصل أولع بأمه . والمعنى : أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال . قال : وقيل مشتق من أله الرجل يأله إذا فرغ من أمر نزل به فأله أي أجاره ، فالجدير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى : ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه ﴾ المؤمنون ٨٨ وهو المنعم لقوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ النحل ٥٨ وهو المطعم . لقوله تعالى : ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ الأنعام ١٤ وهو الموجد لقوله تعالى : ﴿ قل كل من عند الله ﴾ النساء ٧٨ وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق البتة . قال : وهو قول الخليل وسيبويه ، وأكثر الأصوليين والفقهاء . ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوده . منها : أنه لو كان مشتقا لاشترك في معناه كثيرون . ومنها : أن بقية الأسماء تذكر صفات له . فتقول : الله الرحمن الرحيم الملك القدوس . فدل أنه ليس بمشتق . قال : فأما قوله تعالى : العزيز الحميد الله على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان . ومنها : قوله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مريم ٦٥ وفي الاستدلال : بمذه على كون هذا الاسم جامدا غير مشتق نظر ، والله أعلم .

وأصل ذلك الإله ؛ فحذفت الهمزة<sup>(١)</sup> التي هي فاء الكلمة ، فالتقت اللام التي عينها ، مع اللام الزائدة في أولها للتعريف ، فأدغمت إحداهما في الأخرى ، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة ، وفخمت تعظيما<sup>(٢)</sup> فقبيل : الله .

الرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا . وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال : والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة<sup>(٣)</sup> .

( وقد زعم بعضهم أنه غير مشتق<sup>(٤)</sup> ، إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم ، وقد قال : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب ٤٣] ، وحكى ابن الأنباري في "الدرة"<sup>(٥)</sup> عن المبرد ، أن الرحمن اسم عبراني ليس بعربي . وقال أبو إسحاق الزجاج في "معاني القرآن" : " وقال أحمد بن يحيى : الرحيم عربي ، والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما . قال أبو إسحاق : وهذا القول مرغوب عنه"<sup>(٦)</sup> . وقال القرطبي : والدليل على أنه مشتق<sup>(٧)</sup> ما أخرجه الترمذي ، وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : " ( أنا الله و) أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها (اسما)<sup>(٨)</sup> من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته"<sup>(٩)</sup> .

وحكى الرازي عن بعضهم : أن اسم الله تعالى عبراني ثم ضعفه ، وهو حقيق بالتضعيف . كما قال . وقد حكى الرازي هذا القول ، ثم قال : واعلم أن الخلائق قسمان : واصلون إلى ساحل بحر المعرفة ، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة . فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم . وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال فتأهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية ، فثبت أن الخلائق كلهم والهون في معرفته وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال : لأن الخلق يأهون إليه بفتح اللام وكسرهما لغتان . وقيل : إنه مشتق من الارتفاع فكانت العرب تقول : لكل شيء مرتفع لاهما وكانوا يقولون : إذا طلعت الشمس لاهت . وقيل : إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبد وتأله إذا تنسك . وقرأ ابن عباس : ﴿ وبذرك وإلهتك ﴾

( ) في الأصل : الكلمة . والمثبت من العتيقة .

(٢) التفخيم لأجل مناسبة الفتح السابق وكما هو معلوم ترفق اللام إذا سبقها كسر مثل : قل الله ، أم الله ، لله .

(٣) سبق تخريجه وإبطاله .

(٤) يعني الرحمن وإلا فالرحيم لا خلاف في اشتقاقه .

(٥) في ط : الزاهر . وهي كذلك في تفسير القرطبي والكلام منقول منه كما سيأتي .

(٦) هذا الكلام من قوله وقد زعم منقول من القرطبي بنحوه ٩٠/١ .

(٧) الدليل المذكور يدل على أنه مشتق منه لا مشتق ولا يمنع أن يكون الرحم والرحمة وتصريف ذلك كله مشتق من اسم الله الرحمن .

(٨) زيادة من المصدر .

(٩) ليست في المصدر .

(١٠) (السنن ١٩٠٧ وقال : حديث صحيح وفيه " بتته " بدلا من "قطعته" . وقد أخرجه أيضا أحمد ١٦٨٦، ١٦٥٩، وأبو داود ١٦٩٤ ، والحاكم ١٧٣/٤-١٧٥ وصححه والضياء في المختارة ٩٢/٣-٩٥ وصححه أيضا ، وأخرج الحاكم نحوه ١٧٣/٤ من حديث أبي هريرة وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأخرجه من حديث غيرها وقال : وهذه الأحاديث كلها صحيحة وسكت الذهبي . وصححه أحمد شاكر والألباني (انظر صحيح الجامع ١١٥/٤).

قال : وهذا أظهر<sup>(١)</sup> في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق . قال : وإنكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له . قال القرطبي : ثم قيل : هما بمعنى ، كندمان ونديم . قاله أبو عبيدة<sup>(٢)</sup> . وقيل : ليس بناء فعلا كفعيل ؛ فإن فعلا لا يقع إلا على مبالغة الفعل ، نحو قولك : رجل غضبان . للرجل الممتلئ غضبا . وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول . قال أبو علي الفارسي : الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة ، يختص به الله تعالى ، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب : ٤٣] <sup>(٣)</sup> وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب . وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صالح<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " من لم يسأل الله يغضب عليه " <sup>(٥)</sup> .

وقال بعض الشعراء : <sup>(٦)</sup>

الله يغضب إن تركت سؤاله      وبني آدم حين يسأل يغضب<sup>(٧)</sup>

(١) في المخطوطة : نظر . وعليها تعليق فيه ما أثبتناه . والذي في ط : نص .

(٢) في ط : عبيد .

(٣) هنا زيادة في ط وهي موجودة في القرطبي بنحوها بعد بيت الشعر الآتي وليس في هذا الموضع ، وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا : لعله أرفق كما في الحديث . إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله وإنه يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف .

(٤) هنا زيادة في ط " الخوزي الفارسي " .

(٥) الترمذي ٣٣٧٣ ، ابن ماجه ٣٨٢٧ وأخرجه أيضا أحمد ٤٧٧/٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٩١/١ والحاكم ٤٩١/١ وغيرهم بنحوه وقال الحاكم : صحيح وسكت الذهبي . وقال ابن حجر بعد أن عزاه لمخرجين : كلهم من رواية أبي صالح الخوزي بضم الخاء المعجمة وركون الواو ثم زاي عنه وهذا الخوزي مختلف فيه ضعفه ابن معين وقواه أبو زرعة وظن الحفاظ ابن كثير أنه أبو صالح السمان فجزم بأن أحمد تفرد بتخرجه وليس كما قال فقد جزم شيخه المزني في الأطراف بما قلته ووقع في رواية البزار والحاكم عن أبي صالح الخوزي سمعت أبا هريرة ا.هـ ( فتح الباري ٩٥/١١ ) ولم يظنه ابن كثير أبا صالح السمان كما فهم ابن حجر لأنه صرح في ( ٨٦ ، ٨٧ / ٤ ) بقوله : تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به ..... وإنما أبو صالح هذا فهو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده ، وكذا وقع في رواية : أبو المليح الفارسي عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة ا.هـ بالإضافة إلى وجود نسبه هنا " الخوزي الفارسي " كما في بعض النسخ ، وكذلك بين القرطبي وهو المصدر الذي نقل منه ابن كثير أنه الخوزي فيما حكاه عن الترمذي - وهو ساقط من السنن - قال : سألت أبا زرعة عن أبي صالح هذا فقال : هو الذي يقال له الفارسي وهو خوزي ولا أعرف اسمه ا.هـ لكن يبقى استشكل قول ابن كثير : تفرد به أحمد لأنه يعني عن الصحيحين وأبو صالح ليس من شرطهما ولا الراوي عنه أبو المليح . وأبو صالح هذا قال الحفاظ لين الحديث ( التقريب ٨١٧٢ ) والحديث حسن حيث تشهد له الآية ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ غافر : ٦٠ وقد حسنه الألباني ( انظر صحيح الأدب المفرد ٥١٢ ، الصحيحة ٢٦٥٤ ) .

(٦) في ط يوجد بيت سابق للبيت الآتي وهو غير متفق معه في القافية :

لا تطلبن بيّ آدم حاجة      وسل الذي أبوابه لا تغلق

(٧) البيت في تفسير القرطبي ٩٢/١ غير منسوب .

(٨) ما بين القوسين زيادة من النسخة العتيقة .

وقال<sup>(١)</sup> ابن جرير : ثنا السري بن يحيى التميمي ، ثنا عثمان بن زُفر سمعت العزمي يقول : ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال : ﴿الرحمن﴾ (لجميع)<sup>(٢)</sup> الخلق ، ﴿الرحيم﴾ قال : بالمؤمنين<sup>(٣)</sup> . قالوا : ولهذا قال : ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ [الفرقان ٥٩] . وقال : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه ٥] فذكر الاستواء باسمه الرحمن ، ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال : ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ [الأحزاب ٤٣] فخصهم باسمه الرحيم . قالوا : فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع<sup>(٤)</sup> خلقه ، والرحيم خاصة بالمؤمنين ، لكن جاء في الدعاء المأثور : "رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيمهما"<sup>(٥)</sup> .

(واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء ١١٠] وقال تعالى : ﴿واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أنجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ ولما تجهروا<sup>(٦)</sup> مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلاباب الكذب ، وشهر به ، فلا يقال إلا : مسيلمة الكذاب ، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضرة ، من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب)<sup>(٧)</sup> .

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به ، والتأكيد لا يكون إلا أقوى من المؤكد ، والجواب : أن هذا ليس من باب التأكيد ، وإنما هو من باب النعت (بعد النعت)<sup>(٨)</sup> ، ولا يلزم فيه ما

(١) في الأصل : قال . والمثبت من العتيقة .

(٢) في المصدر : بجميع .

(٣) التفسير ١٢٧/١ والعزمي : بتقديم الراء هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله وفيه ضعف (انظر اللسان ٤٢٩/٣) وقد أخرج ابن أبي حاتم ١٨/١ هذا الأثر من طريق ولده محمد - وهو ضعيف - عنه عن جويبر عن الضحاك مثله وإسناده ضعيف أيضا .  
(٤) في العتيقة : بجميع .

(٥) ورد في هذا الجزء ضمن دعاء طويل أخرجه الحاكم ٦٩٦/١ والبزار ٣١٧٧/٤ ، والطبراني في الدعاء ١٠٤١ وغيرهم من حديث أبي بكر الصديق وقال الحاكم : حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبد الله الأيلي فتعقبه الذهبي بقوله : الحكم ليس بنقطة . وقال الهيثمي : فيه الحكم ..... وهو متروك (مجمع الزوائد ١٨٦/١٠) وقال المنذري : الحكم متروك متهم (الترغيب ٣٨٢/٢) وقال السيوطي : بسند ضعيف (الدر ٩/١) ورواه الأصبهاني من حديث أنس مختصرا (انظر الترغيب ٢٧٤/١) ورواه الطبراني في الصغير (٥٥٨) والضياء في المختارة ١٩٦/٧-١٩٧ بنحوه وقال الهيثمي : رجاله ثقات وقال المنذري : إسناده جيد (الترغيب ٣٨١/٢) والشاهد فيه جاء في حديث لمعاد أخرجه الطبراني وفيه انقطاع (انظر المجمع ١٨٦/١٠) وفيه قصة بالدعاء بذلك في كرامات الأولياء (١٧٥/١) وأثر عن عبد الرحمن بن سابط في الحث على الدعاء به أخرجه ابن أبي شيبة ٧٧/٦ وأخرجه بإسناد صحيح عنه مرسل أن رسول الله ﷺ كان يدعو بمؤلاء الكلمات (المصنف ١٠٩/٦) وبالجملة فالدعاء بهذا اللفظ يعتبر ثابتا عن رسول الله ﷺ : اللهم فارج لهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما رحمني رحمة من عندك وأغنني بما عن رحمة من سواك .

(٦) جهرم : بلدة بفارس (انظر اللسان ٧١٢/١) ولم أقف على شرح معناها وكأنه يراد بما تزندق كأنه اتبع دين فارس وقد ذكرها الحافظ الذهبي في المغني في الضعفاء في ترجمة علي بن عبد الملك الطرسوسي فقال (٤٥١/٢) قال الحاكم : كان معتزليا متهاونا بالرواية تجهرم حتى هجر .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٨) زيادة من العتيقة .

ذكروه . وعلى هذا فيكون تقديم اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره ووصفه أولاً بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وإنما تجهم مسيلمة اليمامة في التسمي به ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلال . وأما الرحيم فإنه وصف تعالى به غيره حيث قال : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة ١٢٨] كما وصف غيره بغير ذلك من أسمائه في قوله : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ [الإنسان ٢] .

والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله ، والرحمن ، والخالق ، والرازق ونحو ذلك ، فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم ، لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص . فإن قيل : فإذا كان الرحمن أشد مبالغة ، فهلا اكتفى به عن الرحيم . فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه : أنه لما تسمى غيره \_ تعالى \_ بالرحمن ؛ جيء بلفظ الرحيم ليقطع التوهم بذلك . فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى . كذا رواه ابن جرير عن عطاء<sup>(١)</sup> ووجهه بذلك ، والله أعلم .

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء ١١٠] ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية \_ لما قال رسول الله ﷺ : لعلي اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم \_ فقالوا : لا نعرف الرحمن ولا الرحيم . رواه البخاري<sup>(٢)</sup> .

وفي بعض الروايات لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ [الفرقان ٦٠] والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود ، وعناد ، وتعنت في كفرهم . وإنه (قد)<sup>(٤)</sup> وجد في أشعار الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن . قال ابن جرير : وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهال<sup>(٥)</sup> .

(١) التفسير ٤٤/١ ولفظه : كان الرحمن فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم . ثم شرحه ابن جرير بنحو مما ذكر ابن كثير . وإسناده : فيه نصر بن عمرو اللخمي لم أقف له على ترجمة .

(٢) الصحيح ٢٧٣١-٢٧٣٢ (الفتح ٣٣١/٥) وليس هذا لفظه بل فيه " فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : اما الرحمن فو الله ما أدري ما هي ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب ..... الخ ( وانظر الفتح ٥٠٣/٧ ) واما في خارج الصحيح فجاء اللفظ هكذا : قال لعلي اكتب ..... فقال سهيل بن عمرو : لا نعرف الرحمن الرحيم . أخرجه ابن حبان ٢١٤/١١ وغيره من حديث أنس وإسناده على شرط الصحيح .

(٣) هذا اللفظ لم أجده إلا في طبقات ابن سعد ١٦٥/١ عن ابن عباس في قصة أخرى وهما إرسال قريش النضر وعقبة لسؤال اليهود عنه ﷺ وفيه " يزعم أنه رسول الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة . وفيه الكلبي وهو متروك .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) في المصدر : الجهلاء ونسبه الماوردي للشنقري ( التفسير ٥٢/١ ) .

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها  
وقال سلامة بن جندل الطهوي :

عجلتم علينا عجلتينا<sup>(١)</sup> عليكم  
وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق<sup>(٢)</sup>

وقال ابن جرير : ثنا أبو كريب ، ثنا عثمان بن سعيد ، ثنا بشر بن عمارة ، ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس قال : الرحمن الفعلان من الرحمة ، وهو من كلام العرب . وقال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [الفاتحة ٣] الرقيق<sup>(٣)</sup> الرقيق (لمن)<sup>(٤)</sup> أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه ، وكذلك أسماءه كلها<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن جرير أيضا : ثنا محمد بن بشار ، ثنا حماد بن مسعدة ، عن عوف ، عن الحسن قال : الرحمن اسم ممنوع<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، ثنا زيد بن الحباب ، حدثني أبو الأشهب ، عن الحسن قال : الرحمن<sup>(٧)</sup> اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه ( تسمى به تبارك وتعالى )<sup>(٨)</sup> .

(وقد جاء في حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفا حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾<sup>(٩)</sup> فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة من الكوفيين ، ومنهم من وصلها بقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وكسر الميم لالتقاء الساكنين (وهم الجمهور)<sup>(١٠)</sup> .

(١) تفسير ابن جرير ١٣١/١ المهجين هنا : يعني الزوج . وقضب : أي قطع . وانظر ( مختار الصحاح ص ٥٣٩ ) .

(٢) في الأصل : عجلتنا . والمثبت من العتيقة .

(٣) التفسير ١٣١/١ والبيت فيه كما هنا وخطأ محمود شاعر نسبة الشاعر إلى بني طهوه وقال : هو السعدي .

(٤) في الأصل : الرقيق . والمثبت من العتيقة .

(٥) في المصدر : بمن .

(٦) التفسير ١٣٠/١ وإسناده ضعيف منقطع تقدم الكلام عليه .

(٧) التفسير ١٥٠ . وإسناده صحيح وانظر ما بعده والدر ٩/١ .

(٨) في الأصل والعتيقة : الرحيم . والمثبت من ط .

(٩) التفسير ١٨/١ وإسناده حسن وما بين القوسين ليس في المصدر ، ولا في الدر المنثور انظر ٩/١ .

(١٠) أخرجه أحمد ٣٠٢/٦ ، أبو داود ٤٠٠١ والدارقطني ٣١٢/١ والحاكم ٢٥٢/٢ ، والبيهقي ٤٤/٢ بذكر البسملة وقال الدارقطني : إسناده صحيح وكلهم ثقات ، وقد أخرجه الترمذي ٢٩٢٧ ، الحاكم ٢٥٢/٢ ولفظ الحاكم : كان يقطع قراءة آية آية الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف ..... وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وسكت الذهبي وأعله الترمذي وقال : غريب . وليس ما ذكره بعلة قاذحة . والله أعلم . وقال ابن الجزري : هو حديث حسن وسنده صحيح ( النشر ٢٢٦/١ ) والقراءة في حديث أم سلمة " ملك " وليست ملك .

(١) زيادة من ط . وهذا الكلام فيه نظر فإن لجميع القراء أوجها للبسملة مع أول السورة منها الوصل ومنها القطع ( وانظر التفصيل هداية القاري ص ٥٦٧ ) والصحيح ما ذكره أبو حيان من كون الخلاف في حكم الميم عند الوصل فبعض الكوفيين يقف على الميم ثم يبدأ بجمزة مقطوعة والجمهور على جر الميم ووصل الألف ( انظر البحر المحيط ١٨/١ ) .

وحكى الكسائي (من الكوفيين)<sup>(١)</sup> عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصله الهمز فيقولون : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ﴾ فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها ، كما قرئ في ﴿ الم الله لا إله إلا هو ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن عطية : ولم ترد هذه القراءة<sup>(٣)</sup> عن أحد فيما علمت<sup>(٤)</sup> .

### ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

(القراء السبعة)<sup>(٥)</sup> على ضم الدال من قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ وهو مبتدأ وخبر .  
وروي عن سفيان بن عيينة ، ورؤية بن العجاج أنهما قالا : الحمد لله<sup>(٦)</sup> بالنصب . وهو على إضمار فعل .

وقرأ ابن أبي عبلة : الحمد لله<sup>(٧)</sup> بضم الدال واللام إتباعا للثاني الأول وله شواهد<sup>(٨)</sup> ، لكنه شاذ .

وعن الحسن وزيد بن علي : الحمد لله<sup>(٩)</sup> بكسر الدال إتباعا للأول الثاني<sup>(١٠)</sup> .

قال أبو جعفر بن جرير : معنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر لله خالصا<sup>(١١)</sup> ، دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما (برأ)<sup>(١٢)</sup> من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم ، التي لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد ، في تصحيح الآلات في طاعته ، وتمكين جوارح الأجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ، ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود ، في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا<sup>(١٣)</sup> .

(١) زيادة من ط .

(٢) انظر لهذه القراءة وهي قراءة الأئمة العشر سوى أبي جعفر المدني لأنه يسكت على الميم : هداية القاري ص ٥٧٦ .

(٣) يعني القراءة بفتح الميم من كلمة الرحيم من البسمة عند وصلها بكلمة الحمد . أما القراءة بفتح الميم من الم عند وصلها بلفظ الجلالة في أول آل عمران فهي باتفاق القراء . كما تقدم وانظر أيضا البحر المحيط ١٨/١ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) في العتيقة : السبع . والمثبت من ط وهو الأصح لغة . والقراءة بضم الدال قراءة العشر ولا يجوز القراءة بغيرها .

(٦) وهي قراءة شاذة حكاها أبو حيان عنهما وعن هارون العتكي (انظر البحر ١٨/١) .

(٧) انظر البحر ١٨/١ وهي شاذة .

(٨) أي من اللغة .

(٩) أي من اللغة ١٨/١ وهي شاذة .

(١٠) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١١) في المصدر : خالصا لله جل ثناؤه .

(١٢) في المصدر : يرى .

(١٣) التفسير ٤٦/١ .

(وقال ابن جرير : الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه ، وفي ضمنه أمر عباده أن يشنوا عليه ؛ فكأنه قال : قولوا الحمد لله<sup>(١)</sup> .

قال : وقد قيل : إن قول القائل : ( الحمد لله<sup>(٢)</sup> ) ثناء عليه بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی<sup>(٣)</sup> . وقوله : الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه . ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب ، يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر<sup>(٤)</sup> .

(وقد نقل السلمي هذا المذهب أهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية . وقال ابن عباس : الحمد لله كلمة كل شاعر . وقد استدلل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل : الحمد لله شكرا<sup>(٥)</sup> .

وهذا الذي ادعاه<sup>(٦)</sup> فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين ، أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا ، أيها أعم ، الحمد أو الشكر ؟ على قولين . والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا ؛ فالحمد أعم من الشكر ، من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول . والشكر أعم من حيث ما يقعان به ؛ لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم . وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ، لا يقال : شكرته لفروسيته ، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه إلي . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم .

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وانظر تفسير ابن جرير ٤٧/١ فقد ذكر نحو ذلك .

(٢) ليست في الأصل والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : بأسمائه وصفاته الحسنی . والمثبت من العتيقة .

(٤) انظر التفسير ٤٦/١ .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . والسلمي هو أبو عبد الرحمن في كتاب حقائق التفسير قال عند القطان النيسابوري : كان غير ثقة وقال الذهبي : في تصانيفه احاديث وحكايات موضوعة . وابن عطاء هو أحمد بن محمد بن سهل الزاهد ( انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٥/١ ) وأثر ابن عباس ذكره القرطبي عند بصيغة التمريض فقال : وروى عن ابن عباس أنه قال ... الخ . أو أنه قصد وروى - أي السلمي - عن ابن عباس والله أعلم . وقال الواحدي : من اعتقد أن ذلك - يعني حقائق التفسير - تفسير فقد كفر . وقال عنها الذهبي : قرمطة وانظر سير أعلام النبلاء / ٢٤٧-٢٥٥ ، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٤٦ ) ولم يستدل القرطبي لابن جرير وإنما ابن جرير هو الذي استدلل لنفسه ونقل ذلك القرطبي ثم نقل عن ابن عطية تعقبه له في هذا الاستدلال .

(٦) جاء تعليق على العتيقة : من أهما سواء .

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري<sup>(١)</sup> : الحمد نقيض الذم . تقول : حمدت الرجل أحمدته حمدا ومحمدة ، فهو حميد ومحمود . والتحميد أبلغ من الحمد ، والحمد أعم من الشكر . وقال في الشكر : هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف . يقال : شكرته ، وشكرت له ، وباللام أفصح . ( وأما المدح : فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي والميت والجماد أيضا ، كما يمدح الطعام والمباني<sup>(٢)</sup> ونحو ذلك ، ويكون قبل الإحسان وبعده ، وعلى الصفات اللازمة والمتعدية أيضا ، فهو أعم<sup>(٣)</sup> .

#### ذكر أقوال السلف في الحمد

قال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا أبو معمر القطيعي ، ثنا حفص ، عن حجاج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : قال عمر : قد علمنا سبحانه الله ، ولا إله إلا الله ، فما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة رضيها الله لنفسه<sup>(٤)</sup> .

ورواه غير أبي معمر عن حفص ، فقال : قال عمر لعلي \_ وأصحابه عنده \_ : لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، قد عرفناها ، فما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة أحبها لنفسه ، ورضيها لنفسه ، وأحب أن يقال<sup>(٥)</sup> .

وقال علي بن زيد بن جدعان : عن يوسف بن مهران قال : قال ابن عباس : الحمد لله كلمة الشكر . وإذا قال العبد : الحمد لله . قال : شكرني عبدي .

رواه<sup>(٦)</sup> ابن أبي حاتم<sup>(٧)</sup> .

وروى أيضا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : الحمد لله هو الشكر لله ، والاستخذاء له<sup>(٨)</sup> ، والإقرار له بنعمه وهدايته وابتدائه ، وغير ذلك<sup>(٩)</sup> .

(١) يعني صاحب الصحاح وانظر لكلامه الآتي مختار الصحاح ص ١٥٣، ٣٤٤ .

(٢) في ط : المال .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) التفسير ١٤/١ وفي إسناده حجاج بن أرطاة - بألف غير مهموزة بعد الطاء - وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس (التقريب ١١١٩) . فالإسناد ضعيف .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١٥/١ بعد الأثر السابق مباشرة فقال : وحدثنا به الأشج فقال ثنا حفص وخالفه فيه فقال فيه ... لا إله إلا الله والحمد لله والله أكبر قد عرفناها فما سبحانه الله ؟ والذي ذكره ابن كثير ليس فيه اختلاف عن الأول ولعله سبق قلم منه . والأثر إسناده ضعيف كسابقه .

(٦) في الأصل : رواه . والمثبت من العتيقة .

(٧) التفسير ١٣/١ وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان ويوسف بن مهران لين الحديث . وعزاه السيوطي لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس ( الدر ١١/١ ) وفي هذا العزو وهم واضح فليس الأثر بهذا اللفظ عند ابن جرير أصلا .

(٨) في الأصل : الاستخذاء . بدون واو والمثبت من العتيقة وعليها تعليق : الخضوع .

(٩) تفسير ابن أبي حاتم ١٤/١ وابن جرير ١٥١ وفي إسناده ضعف وانقطاع تقدم ذكره .

وقال كعب الأحبار : الحمد لله : ثناء الله <sup>(١)</sup> . وقال الضحاک : الحمد رداء الرحمن <sup>(٢)</sup> .  
وقد ورد الحديث بنحو ذلك ؛ قال ابن جرير : حدثني سعيد بن عمرو السكوني ثنا بقیة بن الوليد  
حدثني عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير \_ وكانت له صحبة \_ قال :  
قال النبي ﷺ : إذا قلت ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فقد <sup>(٣)</sup> شكرت الله ، فزادك <sup>(٤)</sup> .  
وقد روى الإمام أحمد بن حنبل : ثنا روح ، ثنا عوف ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع قال : قلت  
: يا رسول ، ألا أنشدك محمد حمدت بها ربي تبارك وتعالى ؟ فقال: أما إن ربك يحب الحمد <sup>(٥)</sup> .  
ورواه النسائي عن علي بن حجر ، عن ابن علي ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن الأسود بن  
سريع به <sup>(٦)</sup> .  
وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير ، عن طلحة بن خراش ، عن  
جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " أفضل الذكر لإله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله " .  
وقال الترمذي : حسن غريب <sup>(٧)</sup> .  
( وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال :  
الحمد لله ، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ .

(١) أخرجه ابن جرير ١٥٣ وابن أبي حاتم ١٤/١ وإسناده حسن وقد صححه أحمد شاكر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٤/١ وإسناده ضعيف فيه يزيد بن عبد الله اللحام ويحيى بن عبد الرحمن ضعيفان ( انظر المغني ١٠٣/١ ،  
٧٤٠/٢ ) .

(٣) في العتيقة : قد .

(٤) التفسير ١٥٢ وأخرجه أيضا الحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي قال السيوطي : بسند ضعيف ( الدر ١١/١ ) وهو كما قال فقد قال  
ابن أبي حاتم في الحكم بن عمير : روى عن النبي ﷺ لا يذكر السماع ولا لقاء أحاديث فكرة من رواية ابن أخيه موسى بن أبي حبيب  
عيسى بن إبراهيم وهو ذاهب الحديث سمعت أبي يقول ذلك ويقول روى هذه الأحاديث عن عيسى بن إبراهيم بقیة بن الوليد ( المخرج  
والتعديل ١٢٥/٣ ) ( وانظر لسان العرب ١١٢٠/٢ ) وهي بخاء وذال معجمتين .  
(٥) المسند ٤٣٥/٣ وانظر ما يأتي .

(٦) السنن الكبرى ٤/٤١٦ ، وأخرجه أيضا ابن جرير ١٥٤ ، والحاكم ٣/٧١٢ ، والضياء في المختارة ٤/٢٥٠-٢٥٢ وغيرهم من طريق  
الحسن به ، وقد قيل : إنه لم يسمع من الأسود بن سريع ( انظر المراسيل لابن أبي حاتم ص ٣٩ ) وقال الضياء : منقطع - وإلا أن الضياء  
روي له حديث آخر وصرح فيه بالسماع من الحسن - وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي . فالحديث حسن وقد  
صححه أحمد شاكر وحسنه الألباني ( صحيح الادب المفرد ٨٥٩ ) وانظر في سماع الحسن من الأسود ( الإصابة ١/٧٤ ) ، السنن الكبرى  
للبیهقي ٩/٧٧ ) وله طرق أخرى عند أحمد ٣/٤٣٥ والحاكم ٣/٧١٢ والضياء في المختارة ٤/٢٥٣ والطحاوي في شرح معاني الآثار  
٤/٢٩٩ بنحوه مطولا وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي وإسناده حسن لغيره .

(٧) الترمذي ٣٣٨٠ والنسائي الكبرى ٦/٢٠٨ وابن ماجه ٣٨٠٠ ، وأخرجه الحاكم ١/٦٨١،٦٧٦ ، وابن حبان في صحيحه ( الموارد  
٢٣٢٦ ) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي وقال الألباني : حسن ( صحيح الجامع ١١١٥ ) ، وانظر الصحيحة  
(١٤٩٧) وفيه : أعطاه " بدلا من " " أعطى " وفي الزوائد : إسناده حسن ( انظر صحيح ابن ماجه ٢/٣١٩ ، المرويات ١٤ ) وله شاهد  
عن جابر مرفوعا وآخر عن الحسن مرسلا ( انظر الدر ١/١٢ ) وانظر ما يأتي .

وقال القرطبي في تفسيره<sup>(١)</sup> : وفي نوادر الأصول<sup>(٢)</sup> عن أنس عن النبي ﷺ قال : " لو أن الدنيا كلها بحذافيرها<sup>(٣)</sup> في يد رجل من أمتي ، ثم قال : الحمد لله ؛ لكان الحمد لله أفضل من ذلك<sup>(٤)</sup> . قال القرطبي وغيره : أي لكان إلهامه الحمد لله ، أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا ؛ لأن ثواب الحمد لا يفنى ، ونعيم الدنيا لا يبقى . قال الله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾ [الكهف ٤٦] .

وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبدا من عباد الله قال : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانتك . فعضلت<sup>(٥)</sup> بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها . فصعدا إلى السماء فقالا : يا ربنا ! إن عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها . قال الله \_ وهو أعلم بما قال عبده \_ : ماذا قال عبدي ؟ قالوا : يا رب ، إنه قد قال لك : يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك . فقال الله لهما : اكتبها كما قال عبدي ، حتى يلقيني فأجزيه بها<sup>(٦)</sup> . وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا : قول العبد : الحمد لله رب العالمين ، أفضل من قوله : لا إله إلا الله؛ لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد .

وقال آخرون : بل لا إله إلا الله أفضل ، لأنها الفصل بين الإيمان والكفر ، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، كما ثبت في الحديث المتفق عليه<sup>(٧)</sup> . وفي الحديث الآخر في السنن<sup>(٨)</sup> : " أفضل

(١) الجامع ١١٤/١ وفيه ما نقله ابن كثير بنحوه إلى قوله : فأجزيه بها آخر حديث ابن عمر .

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي محمد بن علي بن الحسن حافظ زاهد متكلم فيه وكتابه به كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة وانظر ( سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٣ ، لسان الميزان ٣٠٨/٥ ) .

(٣) حذافير الشيء : أعاليه ونواحيه . وأحدها حذفور وحذفار والمراد : الدنيا بأسرها ( انظر لسان العرب ٨١١/٣ ) .

(٤) الحديث عزاه السيوطي في الدر للحكيم الترمذي (١٢/١) وهو في نوادر الأصول بدون إسناد (٢٦٧/٢) ولعل المطبوع مختصر ، أخرج أيضا ابن عساکر في تاريخ دمشق ١٥/٥٤٩ وفيه محمد بن عبد الله بن محمد أبو المفضل الشيباني الحافظ كذاب يضع وقال الألباني في الحديث : موضوع (انظر السلسلة الضعيفة ٨٧٥) وقد روي عن جابر مرفوعا بلفظ لو أن الدنيا كلها بيضة واحدة فأكلها المسلم أو قال مساهما ثم قال ..... الحديث قال الألباني : ضعيف رواه أبو محمد السراج القارئ في منتخب الفوائد (الضعيفة ٨٧٦) والحديث المتقدم عند ابن ماجه حسن وهو بمعناه ويغني عنه .

(٥) عضلت : بتشديد الضاد المعجمة أي اشتدت عليهما وعظمت واستغلق عليهما معناها . قال المنذري .

(٦) السنن ٣٨٠١ مع اختلاف في بعض الألفاظ وفي إسناده صدقة وقدامة كلاهما قال فيه الحافظ مقبول انظر التقريب ٢٩١٠، ٥٥٢٥ وقد أخرج أيضا الطبراني في الكبير ٣٤٣/١٢ والأوسط ٩٢٤٩ والبيهقي في الشعب ٩٤/٤ وغيره وقال البوصيري : هذا إسناد فيه مقال ( مصباح الزجاجاة ٢/٢٦١) وقال المنذري : إسناده متصل ورجاله ثقات إلا أنه لا يحضرنى الآن في صدقة بن بشير جرح ولا عدالة ( الترغيب والترهيب ٢/٢٨٧) وقال الألباني : ضعيف ابن ماجه ص ٣٠٦ .

(٧) لفظه من رواية أبي هريرة عند : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... الخ (٣٨٥) وأخرج مسلم أيضا (٢٠) وهو حديث متواتر (انظر كطف الأزهار المتأثرة ص ٣٤) .

(٨) سنن الترمذي ٣٥٨٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ : خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث . هـ . ونقل المنذري عن الترمذي قوله :

ما قلت أنا والنبيون من قبلي : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"<sup>(١)</sup> . وقد تقدم عن جابر مرفوعا :

أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله . وحسنه الترمذي<sup>(٢)</sup> .

والألف والسلام في ﴿الحمد﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد ، وصنوفه ، لله تعالى . كما جاء في الحديث : "اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله"<sup>(٣)</sup> .

الحديث<sup>(٤)</sup>

والرب هو : المالك المتصرف . ويطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح . وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ، ( ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول : رب الدار ، ورب كذا . وأما الرب فلا تقال إلا لله عز وجل .

وقد قيل : إنه الاسم الأعظم<sup>(٥)</sup> .

والعالمين : جمع عالم ، ( وهو كل موجود سوى الله عز وجل)<sup>(٦)</sup> والعالم : جمع لا واحد له من لفظه .  
والعوالم : أصناف المخلوقات (في السموات)<sup>(٧)</sup> وفي البر والبحر ، وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضا .  
قال بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ الحمد لله الذي له الخلق كله ، السموات والأرضون ، ومن فيهن ، وما بينهن ، مما نعلم ، وما لا نعلم<sup>(٨)</sup> .

---

حسن غريب ( انظر الترغيب ٢/٢٧١ ) وله شاهد متصل من حديث علي عند الطبراني في فضائل عشرة ذي الحجة قال الألباني : إسناده لا بأس به في الشواهد . ( وانظر أيضا ما أخرجه البيهقي عن علي في السنن الكبرى ٥/١١٧ ) وقد أخرج نحوه مالك في الموطأ (١/٤٢٢، ٢١٤) عن طلحة بن عبيد الله بن كريب مرسلا ، وأخرجه عبد الرزاق ٤/٣٧٨ عن مالك به وكذا البيهقي في الكبرى ٤/٢٨٤ ، ٥/١١٧ وهو مرسل صحيح الإسناد وقد وصله ابن عدي والبيهقي من حديث أبي هريرة وقال البيهقي : وصله ضعيف .  
وله شاهد آخر مرسل حسن الإسناد من المطلب . وبهذه الشواهد يثبت الحديث ولذا حسنه الألباني ( انظر صحيح الجامع ١١١٣ ، الص ( انظر الجامع ١/١١٥ .

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) ورد ذلك ضمن حديث طويل أخرجه أحمد ٥/٣٩٦ عن حذيفة بن اليمان . وقال الهيثمي : فيه راو لم يسم بقية رجاله ثقات ( المجمع ١٠/٩٥-٩٦ ) وأخرجه أيضا ابن نصر في كتاب الوتر ( المختصر ١/١٧١ ) وقال عفان بن أحمد رواه - وأنا أقوله كل يوم منذ سمعته . وله شاهد مختصر من حديث سعد أخرجه البيهقي في الشعب ٤٣٩٩ وإسناده لا بأس به في الشواهد وروى نحوه من حديث أبي سعيد وأطول عند البيهقي أيضا ٤٤٠٠ وفيه متهم وله شاهد آخر مقطوع عن الربيع بن خيثم عند ابن أبي شيبة ٦/٧٧، ٧٧/١٤٧ وإسناده حسن .

ومجموع ما تقدم ثبت الدعاء بذلك لا سيما وقد عمل به عفان وهو إمام وكذا الربيع .

(٣) كلمة الحديث ليست في الأصل وهي في العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وفي ط : في السموات والأرض . وكلمة البر والبحر تغني عن الأرض .

(٧) أخرجه ابن جرير ١/٤٨ وابن أبي حاتم رقم ١٤ مع اختلاف في بعض الألفاظ وفي إسناده ضعف وانقطاع تقدم بيانه .

وفي رواية سعيد بن جبیر<sup>(١)</sup> وعكرمة<sup>(٢)</sup>، عن ابن عباس : رب الجن والإنس .

وكذلك قال سعيد بن جبیر<sup>(٣)</sup> ومجاهد<sup>(٤)</sup> وابن جريج<sup>(٥)</sup> وروي عن علي (نحوه)<sup>(٦)</sup>، قاله<sup>(٧)</sup> ابن أبي حاتم بإسناد لا يعتمد عليه<sup>(٨)</sup>.

( واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان ١] وهم الجن والإنس . وقال الفراء وأبو عبيدة : العالم عبارة عما يعقل ، وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ، ولا يقال للبهائم : عالم<sup>(٩)</sup> .

وعن زيد بن سلم وأبي محيصن<sup>(١٠)</sup> : العالم كل ماله روح يعرف<sup>(١١)</sup> .

وقال قتادة : رب العالمين كل صنف عالم<sup>(١٢)</sup> .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ قال : الإنس عالم ، والجن عالم ، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم ، أو أربعة عشر ألف عالم \_ هو يشك<sup>(١٣)</sup> \_ (من<sup>(١٤)</sup> الملائكة على الأرض ، وللأرض أربع زوايا ، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم ، وخمس

(أخرجها ابن جرير ٤٨/١ وابن أبي حاتم ١٨ والحاكم ٢٥٨/٢ وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط ولكن يشهد له رواية عكرمة الآتية ورواية سعيد بن جبير من قوله وقد حسنه أحمد شاکر وقال الحاكم بعد : ليعلم طالب هذا العلم ان تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسعد .١.هـ وقد عزاه السيوطي أيضا للفرغاني وعيد بن حميد (انظر الدر ١٣/١).

(٢) أخرجها ابن جرير ٤٨/١ وفي إسنادهما محمد بن سنان القزاز شيخ ابن جرير وهو ضعيف (انظر التقريب ٥٩٣٦) ويشهد له ما قبله .

(٣) أخرجه ابن جرير ٤٨/١ من طريقين عنه ويؤيدهما ما سبق من روايته ذلك عن ابن عباس فالأثر حسن .

(٤) أخرجه ابن جرير ٤٩/١ وإسناده ضعيف لإبھام الراوي عن مجاهد . وقد عزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد (انظر الدر ١٣/١).

(٥) أخرجه ابن جرير ٤٩/١ وإسناده ضعيف .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) في الأصل : وقال . والمثبت من العتيقة .

(٨) التفسير ١٧/١ ولم أقف على من أسنده .

(٩) انظر الجامع ١٢٠/١ ومعالم التنزيل ٢١/١ .

(١٠) كذا في العتيقة . وفي ط : وأبي عمرو بن العلاء : كل ...

(١١) لفظه عند القرطبي : وقال زيد بن أسلم هم المرتزقون ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذي

روح دب على وجه الأرض (الجامع ١٢٠/١) .

(١٢) في ط : يرتزق . وفي العتيقة تعليق : يتحرك .

(١٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١٤) أخرجه ابن جرير ٤٩/١ وإسناده حسن .

(١٥) الشك لعله من أبي جعفر الرازي .

(١٦) ما بين القوسين زيادة من ط .

مائة عالم ، خلقهم لعبادته . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> .

(وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم \_ وهو أحد<sup>(٢)</sup> خلفاء بني أمية

\_ وهو يعرف بالجعدي<sup>(٣)</sup> \_ ويلقب بالحمار<sup>(٤)</sup> \_ أنه قال : خلق الله سبعة عشر ألف عالم ، أهل

السموات وأهل الأرض عالم واحد ، وسائر ذلك لا يعلمهم إلا الله عز وجل<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا هشام بن خالد ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا الفرات \_ يعني ابن الوليد

\_ عن معتب بن سمي<sup>(٦)</sup> ، عن تبيع \_ يعني الحميري \_ في قوله : ﴿ رب العالمين ﴾ قال : العالمين ألف

أمة ؛ فستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر<sup>(٧)</sup> . (وحكي مثله عن سعيد بن المسيب<sup>(٨)</sup>) .

وقد روي نحو هذا مرفوعا ، كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني في مسنده : ثنا محمد بن

المثني ، ثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد ، حدثني محمد بن عيسى بن كيسان ، ثنا محمد بن المنكدر ،

عن جابر بن عبد الله قال : قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها ، فسأل عنه ، فلم يخبر

بشيء ، فاعتم لذلك ، فأرسل راكبا يضرب إلى كذا<sup>(٩)</sup> ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى العراق يسأل :

هل رأيي من الجراد شيء أم لا ؟ قال : فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين

(١) ابن جرير ٤٩/١ ، ابن أبي حاتم ١٥ واللفظ لابن جرير وإسناده حسن إلى أبي العالية وهو في حكم المرسل حيث لا يقال من قبل الرأي أو ربما كان عن أحد من أهل الكتاب وعلى كل فهو تمييز مقبول وانظر ما يأتي .

(٢) جاء في ط هنا : وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح .

(٣) في ط : " آخر " . وهو آخر خلفاء بني أمية فعلا .

(٤) في ط : " بالجعد " . وذلك نسبة إلى مؤدبة الجعد بن درهم (انظر تاريخ ابن عساكر ١٦/٣٨٥ ، السير ٧٤/٦) .

(٥) لقب بذلك لصبره في الحرب وجلده الشديد وقيل لأن العرب تسمي كل مائة عام حمارا وقد قارب ملك آل أمية مائة عام في عهده (انظر سير أعلام النبلاء ٧٤/٦) .

(٦) لم يذكر ذلك ابن عساكر في ترجمته كما قال الحافظ وإنما ذكره في ترجمة مخلص بن موحد (١٧٨/٥٧) قال حدثني إسحاق بن عبد المؤمن قال كنت عند مروان بن محمد فخطب رجل فقال : الحمد لله رب العالمين فقال له مروان : أتدري ما العالمين قال : لا فقال مروان : إن الله خلق ..... وفي إسناده مخلص هذا لا يعرف فيه جرح ولا تعديل وبقيته رجاله ثقات مترجمون في تاريخ دمشق . ومروان ليس أهلا لأن يحمل عنه العلم ومثل هذا يحتاج إلى دليل .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وقد جاءت في ط قبل أثر قتادة مباشرة .

(٨) هكذا اسمه هنا وفي أصل التفسير وبين محققه أنه مصحف من مغيث وقد ضبطه ابن حجر يضم أوله وكسر ثانيه وتحتانية ومثلثة ابن سمي بمهملة مصغر (التقريب ٦٨٢٧) .

(٩) التفسير ١٦ وأخرجه أيضا أبو الشيخ (انظر الدر ١٣/١ وفيه تصحيف) وإسناده فيه فرات بن الوليد لم أقف له على ترجمة والوليد بن مسلم كثير التدليس والتسوية فلعله دلس اسم الفرات والله أعلم . فالإسناد ضعيف . وتبيع - بضم التاء الفوقية - الحميري ابن امرأة كعب الاحبار عالم بالكتب القديمة ولعل هذا منه إن صح عنه .

(١٠) يأتي ذكره مرة أخرى .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في ط : إلى اليمن . وهي كذلك في مجمع الزوائد وغيره ما يأتي يدل عليه .

يديه ، فلما رآها كبير (ثلاثاً) ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلق الله ألف أمة ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر ، فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد ؛ فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه<sup>(١)</sup> .

محمد بن عيسى هذا<sup>(٢)</sup> \_ وهو الهلالي \_ ضعيف .

( وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال : لله ألف عالم ؛ ستمائة في البحر ، وأربعمائة في البر<sup>(٣)</sup> . وقال وهب بن منبه : لله ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا عالم منها<sup>(٤)</sup> ، وقال مقاتل : العوالم ثمانون ألفاً<sup>(٥)</sup> . وقال كعب الأحبار : لا يعلم عدد العوالم إلا الله عز وجل<sup>(٦)</sup> . نقله كله البغوي<sup>(٧)</sup> . وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن لله أربعين ألف عالم ؛ الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد منها<sup>(٨)</sup> . وقال الزجاج : العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة . قال القرطبي : هذا هو الصحيح ، أنه شامل لكل مخلوق لقوله : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾<sup>(٩)</sup> والعالم مشتق من العلامة ، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته ، كما قال ابن المعتز<sup>(١٠)</sup> :

(من المجمع نقلاً عن أبي يعلى .

(١) قال الهيثمي : رواه أبو يعلى في الكبير وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف (المجمع ٣٢٢/٧) وانظر (البداية والنهاية ٣٠/١) والحديث أخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة ١٧٨٣/٥ وابن حبان في المجروحين ٢٥٦/٢-٢٥٧ وابن عدي في الكامل ١٩٩٠/٥ ، ٢٢٤٩/٦ وابن الجوزي في الموضوعات ١٣،١٤/٣ وغيرهم وقد جزم بوضعه ابن حبان وابن الجوزي وضعفه غيرها وعلته عبيد بن واقد ومحمد بن عيسى وانظر أيضاً (الدر المنثور ١٣/١)، اللآلئ المصنوعة ٣٦/١ ، تنزيه الشريعة ١٩٠/١).

(٢) في الأصل : هكذا . والمثبت من العتيقة .

(٣) معالم التنزيل ٢١/١ ولم أقف له على إسناد .

(٤) نقله أيضاً القرطبي ١٢٠/١ وقد أخرجه أبو الشيخ (انظر الدر ١٣/١) وأبو نعيم في الحلية ٧٠/٤ وله تنمة وفي إسناده أبو سنان عيسى بن سنان قال الحافظ : لين الحديث (التقريب ٥٢٩٥).

(٥) مقاتل بن حيان ولفظه : لله ثمانون ألف عالم : أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البر . ولم يسنده (معالم التنزيل ٢١/١) ونقله أيضاً القرطبي (٢٠/١).

(٦) نقل ذلك البغوي بلفظ : ولا يحصي عدد العالمين احد إلا لله قال : " وما يعلم جنود ربك إلا هو " (معالم التنزيل ٢١/١).

(٧) انظر معالم التنزيل ٢١/١ .

(٨) نقله القرطبي كما ذكر الحافظ ١٢٠/١ ولم أقف له على إسناد .

(٩) انظر الجامع بنحوه ١٢١/١ وليس الآية نصاً في ذلك وقد تقدم قوله ﴿ ليكون للعالمين نذيراً ﴾ وهو أصرح .

(١٠) ابن المعتز : هو الخليفة العباسي ابو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، كان أدبياً بليغاً شاعراً وله مؤلفات عدة وله ديوان (انظر وفيات الأعيان ٧٦/٣) والبيتان مشهوران وبالأخص الثاني (تفسير القرطبي ٣١٣/٤) (وقد ذكرهما ابن كثير مرة أخرى في ٦٠/١) وقد روى البيهقي في شعب الإيمان ١٣٠/١ أن هذه الأبيات للشافعي فذكر البيتين وبينهما بيت ثالث

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهدا

ثم قال : ويقال إن هذه الأبيات لأبي العتاهية ثم روى خبراً في ذلك ١٣١/١ وروى ذلك أيضاً الخطيب البغدادي ٢٥٣/٦ في ترجمة أبي العتاهية .

أم كيف يجحده الجاحد

فيا عجباً كيف يعصى الإله

تدل على أنه واحد<sup>(١)</sup>

وفي كل شيء له آية

وقوله : «الرحمن الرحيم» تقدم الكلام عليه في البسمة بما أغنى عن الإعادة .

( قال القرطبي : وإنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم ، بعد قوله : «رب العالمين» ، ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهيب ، كما قال : « نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم» ) وقوله : « إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم» قال : فالرب فيه ترهيب ، والرحمن فيه ترغيب . وفي صحيح مسلم ( ) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، لما طمع في جنته أحد . ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، لما قنط من جنته أحد " ( ) .<sup>٣</sup>

مالك يوم الدين

قرأ بعض القراء ( ) : «مالك» وقرأ آخرون : «ملك» ( ) ، وكلاهما صحيح متواتر في السبع ( ) .<sup>٦</sup> [ ويقال : ملك \_ بكسر اللام ، وبإسكانها ( ) ( ) . ويقال : ملك \_ أيضا ( ) . وأشبع نافع كسرة الكاف فقراً : ملكي يوم الدين ( ) .

وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى ، وكلاهما صحيحة حسنة . ورجح الزمخشري «ملك» لأنها قراءة الحرمين ( ) ، ولقوله<sup>١</sup> : « لمن الملك اليوم» و « قوله الحق وله الملك» وحكى ( ) عن أبي حنيفة أنه قرأ : مَلَكَ يومَ الدين ، على أنه فعل وفاعل ومفعول ، وهذا غريب شاذ جدا [ ( ) .<sup>٢</sup>

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) الصحيح ٢٧٥٥ بنحوه وهو في البخاري عن أبي هريرة أيضا من غير هذه الطريق بأطول منه ٦١٠٤ .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وهي غير موجودة في ط . وهذا أول موضع تزيد فيه هذه الطبعة عن الطبعة المذكورة .

(٤) في الأصل : القرا . بدون همز أو تاء . والمثبت من العتيقة وهو فيها مشكل هكذا . وهو جمع مشهور لقارئ .

(٥) في ط ذكر القراءة بالعكس ، مع زيادة : يوم الدين . في الموضوع الأول .

(٦) قرأ بالألف الكسائي وعاصم وقرأ الباقون بدونها وعن تواتر القراءات انظر ( النشر ١٣/١ - ١٤ ) .

(٧) أما بكسر اللام فقد تقدمت وأما بإسكانها على وزن سهل فرويت عن أبي هريرة وعاصم المجدي وأبي عمرو وهي شاذة ( انظر البحر المحيط ٢٠/١ ) .

(٨) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وهي غير موجودة في ط . وهذا ثاني موضع تزيد فيه هذه الطبعة عن الطبعة المذكورة .

(٩) على وزن فاعيل رويت عن أبي وأبي هريرة وأبي رجاء وهي شاذة ( انظر البحر المحيط ٢٠/١ ) .

(١٠) قرأها أحمد بن صالح عن ورش عن نافع كذا ذكره أبو حيان في البحر ٢٠/١ ولا يقرأ بما نافع من طريق ورش ولا غيره .

(١١) في ط : أهل الحرمين . وهي كذلك في المصدر وانظر الكشاف ( ٥٧/١ ) وهي قراءة نافع المدني وابن كثير المكي من السبعة .

(١٢) أي : الزمخشري ( انظر الكشاف ٥٦/١ - ٥٧ ) .

(١٣) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئاً غريباً حيث قال : ثنا أبو عبد الرحمن الأذرمي ( ) ، ثنا عبد الوهاب بن ( ) عدي بن الفضل ، عن أبي المطرف ، عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون : « مالك يوم الدين » ( ) . قال ابن شهاب : وأول من أحدث « ملك » مروان . ( )<sup>٤</sup>

قلت : مروان عنده علم بصحة ما قرأه لم يطلع عليه ابن شهاب ( ) ، والله أعلم .  
وقد روي من طرق متعددة أوردها ابن مردويه أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها : « مالك يوم الدين » ومالك مأخوذ من الملك . كما قال تعالى : « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » [ مريم ٤٠ ] وقال : « قل أعوذ برب الناس ملك الناس ( ) » . ومالك مأخوذ من الملك . كما قال : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » [ غافر ١٦ ] وقال : « قوله الحق وله الملك » [ الأنعام ٧٣ ] وقال : « الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً » [ الفرقان ٢٦ ]  
وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام في الدنيا والآخرة . وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، كما قال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » [ النبأ ٣٨ ] وقال تعالى : « وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً » [ طه ١٠٨ ] وقال تعالى : « يوم يأتي ( ) لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد » [ هود ١٠٥ ] .

(١) بمد الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الراء والميم كذا ضبطه ابن ماكولا وترجمه لأبي عبد الرحمن فيه (انظر الإكمال ٩٨/١) وضبطه ياقوت بفتح أوله وسكون الذال وفتح الراء والميم ووهم ابن ماكولا في ثلاثة مواضع وذكر أن أذمة : من ديار ربيعة قرية بالموصل من أعمال نصيبين .

(٢) ما بين القوسين من المصدر ، ط ، وفي النسختين (بن) وهو خطأ وهو على الصواب أيضا في قراءات الدوري ص ٥٦ . .  
(٣) روى هذه القراءة عن النبي ﷺ أبو هريرة أخرجه ابن أبي داود ص ١٠٣-١٠٥ وأبو عمر الدوري ص ٥٤ ورواها أنس أخرجه الترمذي ٢٩٢٨ ورواها ابن مسعود أخرجه الطبراني في الكبير ٩٥/١٠ بإسناد القراءة ورواها ابن عمر أخرجه سعيد بن منصور ١٦٩ . ورواها الزهري وابن المسيب مرسلأ أخرجه أبو داود ٣٧/٤ وابنه الدوري وغيرهم وليست القراءة بذلك فقد إلى هذه الروايات لأنها ثابتة عن النبي ﷺ بالتواتر عن القراء بأسانيد القراءات لا بأسانيد الحديث والآثار وقد تقدم بيان من قرأ بها في السبعة المتواترة الأخرى ملك وكل القرآن مثل ذلك .

(٤) سقط من ط قوله : قال ابن شهاب . وجاء فيها : حدث بدلا من أحدث . والأثر بلفظه وسنده في المصاحف لابن أبي داود ص ٩٣ وفي إسناده عدي بن الفضل قال الذهبي : تركوه ( المغني ٤٣١/٢ ) وهو أيضا مرسل لا يصح . وله طرق عن أبي المطرف باختصار شديد عند الدوري في قراءات النبي ﷺ ص ٥٥،٥٦ وقد رواه ابن أبي داود أيضا (٩٣٥٥٦) من طريق ابن يمان عن معمر عن الزهري مختصرا على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وهو ضعيف أيضا لإرساله .

(٥) هذا التوجيه الذي لا يجوز غيره إن ثبت الأثر عن ابن شهاب ولا يثبت ، وقد تقدم تواتر هذه القراءة .

(٦) هذه الآية أنسب للقراءة الثانية .

(٧) كذا في الأصل والعتيقة . وفي ط : يأت .

قال الضحاك : عن ابن عباس « مالك يوم الدين » يقول : لا يملك أحد في ذلك اليوم ( معه ) حكما  
كملكمهم في الدنيا . قال : ويوم الدين يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم ؛ إن  
خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، إلا من عفا عنه ( ) .<sup>١</sup>

وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف ( ) ، وهو ظاهر . وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه  
ذهب إلى أن تفسير « مالك يوم الدين » أنه القادر على إقامته ، ثم شرع يضعفه ( ) . والظاهر<sup>٢</sup> أنه لا  
منافاة بين هذا القول وما تقدم ، وأن كلا من القائلين بهذا وبما قبله ، يعترف بصحة القول الآخر ولا  
ينكره ، ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا ، كما قال : « الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما  
على الكافرين عسيرا » والقول الثاني : يشبهه ( ) قوله : « ويوم يقول كن فيكون » . والله أعلم .

(والمالك في الحقيقة هو الله عز وجل . قال الله : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام »  
وفي الصحيحين : عن أبي هريرة مرفوعا : " أخرج اسم عند الله ؛ رجل تسمى بملك الأملاك ، ولا ملك  
إلا الله " ( ) . وفيهما عنه عن رسول الله ﷺ قال : " يقبض (الله) الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم  
يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ " ( ) . وفي القرآن العظيم « لمن  
الملك اليوم لله الواحد القهار » . فأما تسمية غيره في الدنيا بملك ، فعلى سبيل المجاز ، كما قال تعالى :  
« إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا » « وكان وراءهم ملك » « إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا »  
وفي الصحيحين : " مثل الملوك على الأسرة " ( ) .<sup>٨</sup>

والدين : الجزاء والحساب كما قال : « يومئذ يوفيه الله دينهم الحق » وقال : « أئنا لمدينون » أي :  
لجزيون . أي : محاسبون . وفي الحديث : " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت " ( ) . أي :  
حاسب نفسه لنفسه ، كما قال عمر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ،

(١) أخرجه ابن جرير ٦٥،٦٨/١ وابن أبي حاتم ٢٤،٢٥ وفيه ضعف وانقطاع ، وما بين القوسين منهما .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ٦٨/١ ، وابن أبي حاتم ٢٦ ، والدر المنثور ١٤/١ .

(٣) انظر التفسير ٦٧/١ .

(٤) في الأصل : شبه . والمثبت من العتيقة .

(٥) البخاري ٥٨٥٣ ، مسلم ٢١٤٣ واللفظ له وزاد مسلم وقال أحمد بن حنبل : سألت أبا عمرو عن أئمة ؟ فقال : أوضع .

(٦) زيادة من ط .

(٧) ما ذكره ابن كثير جمع فيه بين حديثين الأول أخرجه البخاري ٤٥٣٤ ، مسلم ٢٧٨٧ من حديث أبي هريرة إلى قوله : أين ملوك  
الأرض . وما بعده من حديث ابن عمر بنحوه مطولا عند مسلم ٢٧٨٨ وهو عند البخاري مختصرا ٦٩٧٧ .

(٨) البخاري ٢٦٣٦ ، مسلم ١٩١٢ عن أنس عن أم حرام ضمن حديث طويل في غزو البحر .

(٩) أخرجه أحمد ١٢٤/٤ والترمذي وابن ماجه ٤٢٦٠ ، والحاكم ٢٨٠/١٢٥،٤/١ وغيرهم من حديث شداد بن أوس وقال

الترمذي : حسن ، وقال الحاكم في الموضع الأول : صحيح على شرط البخاري فتعقبه الذهبي بقوله : لا والله في سننه أبو بكر ابن أبي  
مريم وهو واه .هـ وضعفه الألباني (ضعيف ابن ماجه) .

وتزينوا ( ) للعرض الأكبر ، على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ ( ) . ( ) . ٢ ٢

### ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾

(قراءة) ( ) السبعة والمجمهور بتشديد الياء من ﴿إياك﴾ ، وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر ( ) ، وهي قراءة شاذة مرذولة ( ) ، لأن إيا تضيء الشمس ( ) . وقرأ بعضهم : أيك بفتح الهمزة وتشديد الياء ( ) .<sup>٨</sup>  
وقرأ بعضهم : هياك بالهاء بدل الهمزة ( ) ، كما قال الشاعر :

فهياك والأمر الذي إن تراحبت  
موارده ضاقت عليك مصادره ( )

ونستعين : بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع ، سوى يحيى بن وثاب والأعمش ( ) فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم ( ) .<sup>١</sup>

العبادة في اللغة من الذلة . يقال : طريق معبد ، وبعير معبد ، أي : مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول \_ وهو إياك \_ وكرر ، للاهتمام والحصر ، أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك . وهذا هو كمال الطاعة . والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين . وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن . وسرها هذه الكلمة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ؛ فالأول : تبري ( ) من الشرك . والثاني : تبري من الحول والقوة ، والتفويض إلى الله عز وجل . وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى : ﴿ فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ [هود ١٢٣] ، ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ [الملك ٢٩] ، ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو

(١) في ط : وتأهبوا .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) ذكره الترمذي مختصراً بعد الحديث السابق ٦٣٨/٤ وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ٩٦/٧ وفي إسناده مبهم ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد ١٠٣/١ وفيه انقطاع وأخرجه الحميدي ومن طريقه أبو نعيم في الحلية ٥٢/١ وابن أبي الدنيا ( انظر تفسير ابن كثير ٤/٤١٥ ) . إسناده صحيح عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر : وفيه انقطاع أيضا وهو بمجموع هذه الطرق حسن إن شاء الله .

(٤) في ط : قرأ .

(٥) ذكر ذلك أبو حيان وقال قرأ بما عن أبي (انظر البحر المحيط ٢٣/١) وهي شاذة .

(٦) في ط : مردودة .

(٧) انظر لسان العرب ١/١٨٨ .

(٨) نسبها أبو حيان للفضل الرقاشي ( البحر ٢٣/١) وهي شاذة .

(٩) نسبها أبو حيان لابن السوار الغنوي . البحر ٢٣/١ وهي شاذة .

(١٠) البيت في تفسير القرطبي وفيه : إن توسعت بدلا من : إن تراحبت (انظر ١٢٧/١) ، وهو بنص في الكشاف (٦٢/١) ونسبه للطفيل الغنوي . وهو في الحماسة بنحوه منسوباً بالفرس بن ربيعي ( انظر حاشية الجرجاني على الكشاف ٦٢/١)

(١١) نسبها لهما أبو حيان وأضاف عبيد بن عمير الليثي وزر بن حبيش والنخعي (انظر البحر ٢٣/١) وهي شاذة .

(١٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وهو بنحوه في تفسير القرطبي ١٢٧/١ .

(١٣) في ط : تبرؤ . وكذا في الموضوع التالي .

فاتخذة وكيلا) [المزمل ٩] وكذلك هذه الآية الكريمة (إياك نعبد وإياك نستعين) . وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبه ؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى ؛ فلماذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) . وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة ، بجميل صفاته الحسنى ، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك . ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه ( ) . كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : " لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب " ( ) . وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحزقة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ؛ فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ؛ إذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال : حمدني عبدي . وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : أثنى علي عبدي ، فإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله : مجدني عبدي . وإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " ( ) .<sup>٣</sup>

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ إياك نعبد ﴾ يعني : إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا ، لا غيرك . ﴿ وإياك نستعين ﴾ على طاعتك ، وعلى أمورنا كلها ( ) .<sup>٤</sup>

وقال قتادة : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة ، وأن تستعينوه على أمركم ( ) . وإنما قدم ﴿ إياك نعبد ﴾ على ﴿ وإياك نستعين ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة ، والاستعانة وسيلة إليها ، والاهتمام والحزم هو أن يقدم ( ) ما هو الأهم فالأهم ، والله أعلم .

( فإن قيل : ما معنى النون في قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؟ فإن كانت للجمع ؛ فالداعي واحد ، وإن كانت للتعظيم ؛ فلا يناسب هذا المقام . وقد أجيب : بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد ، والمصلي فرد منهم ، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم ، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين ، بالعبادة التي خلقوا من أجلها ، وتوسط لهم بخير . ومنهم من قال : يجوز أن تكون للتعظيم ، كأن العبد قيل له : إذا كنت في العبادة ( ) ، فأنت شريف وجاهك عريض فقل : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وإذا كنت خارج العبادة فلا تقل : نحن ، ولا فعلنا ، ولو كنت في مائة ألف ، أو ألف ألف ،

(١) في الأصل : وهو قادر عليه بذلك . والمثبت من العتيقة .

(٢) تقدم تحريجه في فضل الفاتحة .

(٣) تقدم تحريجه في فضل الفاتحة .

(٤) أخرجه ابن جرير ٦٩/١ ، وابن أبي حاتم ٢٧ ، ٣٠ وفيه ضعف وانقطاع .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٩ وإسناده حسن وانظر ( الصحيح المنثور ١/٨٥ ) .

(٦) في العتيقة : تقديم . بدل : أن يقدم . وعليها تصحيح يمثل ما أثبتناه من الأصل .

(٧) في ط : داخل العبادة .

لافتقار الجميع إلى الله عز وجل . ومنهم من قال : « إياك نعبد » ( ) أطف في التواضع من إياك أعبد ، لما في الثاني من تعظيم نفسه ، من جعله نفسه وحده أهلاً لعبادة الله تعالى ، الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ، ولا يثني عليه كما يليق به .

والعبادة مقام عظيم ، يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى ، كما قال بعضهم :

لا تدعني إلا بيا عبدها ( )<sup>٢</sup> فإنه أشرف أسمائي ( )<sup>٣</sup>

وقد سمي الله رسوله ﷺ بعبد في أشرف مقاماته فقال : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » [ الكهف ١ ] ، « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » [ الجن ١٩ ] ، « سبحان الذي أسرى بعبده » [ الإسراء ١ ] فسماه عبداً عند إنزاله عليه ، وعند قيامه في الدعوة ، وإسرائه به . وأرشدته إلى القيام بالعبادة في أوقات تضيق ( ) صدره من تكذيب المخالفين . حيث يقول : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » [ الحجر ٩٧-٩٩ ]

وقد حكى فخر الدين في تفسيره عن بعضهم : أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة ، لكون العبادة تصرف ( ) من الخلق إلى الحق ، والرسالة من الحق إلى الخلق . قال : ولأن الله يتولى مصالح عبده ، والرسول يتولى مصالح أمته ( ) ( ) . وهذا القول خطأ ، والتوجيه أيضاً ضعيف لا حاصل له . ولم يتعرض له فخر الدين بتضعيفه ، ولا رده .

وقال بعض الصوفية : العبادة إما لتحصيل ثواب و درء ( ) عقاب<sup>٤</sup> قالوا : وهذا ليس بطائل ، إذ تحصيله ( ) تحصيل مقصوده . وإما للشرف ( ) بتكاليف الله تعالى . وهذا أيضاً عندهم ضعيف . بل العلي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال . قالوا : ولهذا يقول المصلي : أصلي لله . ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العذاب لبطلت الصلاة ( ) . وقد رد ذلك عليهم آخرون ، وقالوا : كون العبادة لله عز وجل ، لا ينافي أن يطلب معها ثواباً ، ولا أن يدفع عذاباً ، كما قال ذلك الأعرابي : إني ( ) لا

(١) قوله : إياك نعبد ساقطة من ط .

(٢) هكذا في العتيقة وفي ط ، وعلى العتيقة تعليق على ها : نا .

(٣) البيت ذكره القرطبي ٢٣٢/١ ، ٢٠٥/١٠ ولم ينسبه وذكر قبله ياقوم قلبي على زهراء يعرفه السامع والرائي .

(٤) في ط : يضيق . ورسم اللفظة في العتيقة يحتملها .

(٥) في ط : تصدر .

(٦) في العتيقة : مصالح العبد . والمثبت من ط .

(٧) مفاتيح الغيب بمعناه ٢٥١/١ .

(٨) في ط : ورد .

(٩) في ط : مقصوده .

(١٠) في ط : للتشريف .

(١١) هذا الكلام نقل مضمونه الرازي عن أهل التحقيق ( عنده ) ٢٥٠/١ .

(١٢) في ط : أما إني .

أحسن دندنتك ، ولا دندنة معاذ ! أنا ( أسأل الله الجنة ، وأعوذ به من النار . فقال النبي ﷺ : حولهما  
ندندن ( ) ( ) . ٢ ٣

### ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

(قراءة الجمهور بالصاد) ( ) ( وقرئ الشُّرَاطُ ) ، وقرئ بالزاي ( ) . قال الفراء : وهي لغة بني عدي ،  
وبني كلب ( ) . ٧

لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ، ناسب أن يعقب بالسؤال ، كما قال : فنصفها لي ونصفها  
لعبي ولعبي ما سأل ، وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ، ثم يسأل حاجته (وحاجة  
إخوته المؤمنين) ( ) بقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشد  
الله تعالى إليه لأنه الأكمل . وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى : ﴿  
رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ [ القصص ٢٤ ] ، وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول كقول  
ذي النون : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [ الأنبياء ٨٧ ] ، وقد يكون بمجرد الثناء  
على المسؤول كقول الشاعر :

ءأذكر حاجتي أم قد كفاني      حباؤك إن شيمتك الحباء ( )<sup>٩</sup>  
إذا أثني عليك المرء يوماً      كفاه من تعرضه الثناء ( )<sup>١</sup>

( ) في ط : إنما .

(٢) أخرجه أحمد ٤٧٤/٣ ، وأبو داود ٧٩٢ ، وابن ماجه ٩١٠ ، وابن حبان (٥١٤ موارد) عن أبي هريرة وفي بعضها لم يسم ضمن  
حديث طويل وقال البوصيري : إسناده صحيح وصححه ابن حبان وكذا الألباني : (صحيح ابن ماجه ٧٤٢) والدندنة : أن يتكلم الرجل  
بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم (النهاية ١٣٧/٢) .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وانظر فضائل القرآن ص ٩٠١٠ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من ط .

(٥) يعني بالسین وهي قراءة قبل عن ابن كثير من السبعة .

(٦) ليس بالزاي الخالصة كما رواه بعضهم خطأ وإنما بالصاد المشوبة بالزاي ويسمى الإشمام وتنطق مثل الظاء عند عوام مصر وهي قراءة  
حرة على تفصيل في الروایتين عنه . (وانظر لتفصيل ذلك البحر المحيط ٢٥/١) .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وجاء في ط : وهي لغة بني عدرة وبلقين وبني كلب . وهي كذلك عند القرطي ١٢٨/١ ، وفي البحر  
المحيط ٢٥/١ وكعب بدلا من بني كلب .

(٨) ما بين القوسين زيادة من العتيقة ووقع في ط : وحاجة إخوانه .

(٩) جاء على العتيقة تعليق : الحياء . وفي ط : حياؤك ، الحياء . والبيت في فيض القدير للمناوي ١٢٠/٥٨،٥٠/١ منسوباً إلى ابن أبي  
الصلت يمدح فيه ابن جدعان وفيه : حياؤك ، الحياء . وفيه أبيات أخرى وقد روى ذلك البيهقي في شعب الإيمان ١/٤١٤ عن  
سفيان بن عيينة وفيه حباؤك ، الحياء كما هنا وفيه تعرضك ورواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ١/١٤١ عن الشعبي بقصة مطولة وزاد  
فيه بيتين وفيه الحياء ، حياؤك وفيه تعرضه كما هنا وهو في مراجع عدة كذلك . والحياء بالباء الموحدة : المنح والعتاء وهو الأنسب والحياء  
معروف .

( ) قوله : تعرضه . انظر ما سبق

والهداية ههنا : الإرشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا « اهدنا الصراط المستقيم » فتضمن معنى : ألهمنا ، أو وفقنا ، أو ارزقنا ، أو أعطنا . « وهدينا النجدين » [ البلد ١٠ ] أي : بينا له الخير والشر . وقد تعدى بإلى كقوله تعالى : « اجتباها وهداه إلى صراط مستقيم » [ النحل ١٢١ ] ، « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » [ الصافات ٢٣ ] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة ، وكذلك قوله تعالى : « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » [ الشورى ٥٢ ] . وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة « الحمد لله الذي هدانا لهذا » [ الأعراف ٤٣ ] أي : وفقنا لهذا ، وجعلنا له ( أهلاً ) .<sup>١</sup>

وأما الصراط المستقيم : فقال الإمام أبو جعفر بن جرير : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو : الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه . وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مُستقيم ( )<sup>٢</sup>

قال : والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر . قال : ثم تستعير العرب الصراط ، فتستعمله في كل قول وعمل ، وصف باستقامة أو اعوجاج ؛ فتصف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه ( ) .<sup>٣</sup>

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف ، في تفسير الصراط وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول ، فروي أنه كتاب الله .

قال ابن أبي حاتم : ثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يمان ، عن حمزة الزيات ، عن سعد \_ وهو ابن ( ) المختار الطائي ، عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : " الصراط المستقيم كتاب الله " ( ) .<sup>٤</sup>

وكذلك رواه ابن جرير ( ) من حديث حمزة بن حبيب الزيات ، وقد ( تقدم في فضائل القرآن فيما ) ( ) رواه أحمد والترمذي من رواية الحارث الأعور ، عن علي مرفوعاً : " وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم " ( ) .<sup>٥</sup>

(١) ما بين القوسين زيادة من ط .

(٢) البيت في تفسير ابن جرير منسوباً إلى قائله ٥٧/١ وهو كذلك عند القرطبي ١٢٨/١ .

(٣) التفسير ٥٧/١ .

(٤) في النسختين ( بن ) والتصويب من مصادر التخريج والتراجم وأما المصدر ففيه " سعد الطائي " فقط وقال هناك : مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم . وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام . حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ فذكره وضعفه ورجح احتمال وقفه .

(٥) التفسير ٣٢ بنحوه .

(٦) التفسير ٧٤/١ .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٨) المسند ٩١/١ ، السنن ٢٩٠٦ وقال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال ١٠١ هـ =

وقد روي هذا موقوفا عن علي ( ) ، وهو أشبه والله أعلم .

وقال الثوري : عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : الصراط المستقيم : كتاب الله ( ) .<sup>٢</sup>

وقيل : هو الإسلام . قال ( ) الضحاك ! عن ابن عباس قال : قال جبريل لمحمد عليهما السلام : قل يا

محمد : «اهدنا الصراط المستقيم» يقول : ألهمنا الطريق الهادي ( ) ، وهو دين الله الذي لا عوج فيه ( ) .<sup>٥</sup>

وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى : «اهدنا الصراط المستقيم» قال : ذاك الإسلام ( ) .<sup>٦</sup>

وقال : إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن

مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : «اهدنا الصراط المستقيم» قالوا ( ) :<sup>٧</sup>

هو الإسلام ( ) .<sup>٨</sup>

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر : «اهدنا الصراط المستقيم» قال : الإسلام ، هو أوسع مما

بين السماء والأرض ( ) .<sup>٩</sup>

وقال ابن الحنفية في قوله : «اهدنا الصراط المستقيم» قال : هو دين الله الذي لا يقبل من العباد

غيره ( ) .<sup>١٠</sup>

= وأخرجه أيضا الدارمي ٥٢٦/٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، والبزار ٧٣/٣ وغيرهما . وقال البزار : لا نعلمه يروي إلا عن علي ولا نعلم رواه عن علي ولا نعلم رواه عن علي إلا الحارث .هـ وانظر ما سبق وما يأتي .

( ) أخرجه ابن جرير ١٧٢/١ وهو أيضا من رواية الحارث الأعور فهو ضعيف .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٤/١ والحاكم ٢٨٤/٢ ، ٤٨٤ ، والمروزي في السنة ص ٧ والطبراني ٢١٢/٩ وفيه زيادة وقال الحاكم : صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه . وسكت الذهبي وإسناده صحيح ورواه الدارمي ٥٢٣/٢ ، ٥٢١ ، وعبد الرزاق ٣٦٨/٣ ، ٣٧٥ ، والطبراني

١٢٩/٩ ، ١٣٠ مطولا موقوفا وسعيد بن منصور ٤٣/١ وقد روى عنه مرفوعا أخرجه أيضا الحاكم ٧٤١/١ والبيهقي في السنن الصغرى ٥٤١/١ وغيرهما وقال الحاكم : صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه إبراهيم بن مسلم أبا إسحاق الهجري وهو ضعيف .

(٣) في الأصل : وقال . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : اهدنا الصراط الهادي . والمثبت من العتيقة .

(٥) أخرجه ابن جرير ٧٢،٧٤/١ وابن أبي حاتم ٣١،٣٦ وهو ضعيف منقطع كما تقدم غير مرة .

(٦) أخرجه ابن جرير ٧٤/١ وفي إسناده الفرات بن السائب قال الذهبي : قال البخاري : منكر الحديث تركوه ( المغني ٥٠٩/٢ ) .

(٧) في الأصل : قال . والمثبت من العتيقة .

(٨) أخرجه ابن جرير ١٦٨،١٨٢ ولم أقف على من أخرجه غيره .

وهذا الإسناد عبارة عن أسانيد أربعة :

الأول السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وهو حسن ويخرج له الحاكم ويصححه انظر ٦٤٨،٦٤٨/٢ ، ٦٣٨،٦٣٨ ، ٦١٣،٦١٣ ، ٢٩٢،٢٩٢ والثاني

السدي عن أبي صالح عن ابن عباس وهو ضعيف لضعف أبو صالح باذام . والثالث السدي عن مرة عن ابن مسعود وهو حسن ويخرج له

الحاكم ويصححه على شرط مسلم انظر ٢٨٤/٢ ، ٢٨٦ ، ٣٥٢ ، ٦١٣ ، ٦٣٢ ، ٦٤٨ . الرابع السدي عن ناس من أصحاب النبي ﷺ

وفيه نظر لاحتمال الإرسال وانظر ما كتبناه في مقدمة التحقيق ( وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ ) .

(٩) أخرجه ابن جرير ١٧٨ والمروزي في السنة ٢٥ ، والحاكم ٢٨٤/٢ وإسناده حسن وسكت الذهبي وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم

يخرجاه ، وأخرجه الحاكم أيضا ٤٨٤/٢ إلا أنه في تفسير قوله تعالى : «وانك لتهدي إلى صراط مستقيم» .

(١٠) أخرجه ابن جرير ١٨١ وإسناده ضعيف فيه إسماعيل بن سلمان الأزرق قال الحافظ : ضعيف ( التقريب ٤٥٠ ) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : هو الإسلام ( ) .<sup>١</sup>  
وفي هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : ثنا الحسن بن سوار أبو العلاء ، ثنا  
ليث \_ يعني ابن سعد \_ عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير حدثه عن أبيه ، عن  
النواس بن سمعان ، عن رسول الله ﷺ قال : ضرب الله مثلا ؛ صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط  
سوران ، فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها  
الناس ! ادخلوا الصراط (جميعا ، ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط ) ( ) ، فإذا أراد (الإنسان) ( )  
أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك ! لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه . فالصراط الإسلام ،  
والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط : كتاب الله ،  
والداعي من فوق ( ) : واعظ الله من ( ) قلب كل مسلم ( ) .<sup>٦</sup>

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به ( ) .<sup>٧</sup>  
ورواه الترمذي والنسائي جميعا عن علي بن حجر ، عن بقيقة ، عن بحير ( ) بن سعد ، عن خالد بن  
معدان ، عن جبير بن نفيير ، عن النواس بن سمعان به ( ) . وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم .  
وقال مجاهد : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : الحق ( ) .  
وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم .

وروى ابن أبي حاتم ، وابن جرير من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم أنا حمزة بن المغيرة ، عن عاصم  
الأحول ، عن أبي العالية « اهدنا الصراط المستقيم » قال : هو النبي ﷺ وصاحبه من بعده . قال عاصم :  
فذكرنا ذلك للحسن . فقال : صدق أبو العالية ونصح ( ) .<sup>٨</sup>

(١) أخرجه ابن جرير ١٨٥ وإسناده صحيح .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وهي في المصدر : ولا تتفرجوا وداع يدعو من جوف الصراط .

(٣) ليست في المصدر .

(٤) في ط : من فوق الصراط . وفي المصدر : والداعي فوق الصراط .

(٥) في ط : في . وهي كذلك في المصدر .

(٦) المسند ١٨٢/٤ بهذا الإسناد وأخرجه أيضا ١٨٣/٤ من طريق خالد بن معدان عن جبير بن نفيير به نحوه .

(٧) ابن أبي حاتم ٣٣ ، ابن جرير ١٨٧ مختصرا مقتصرا على الشاهد .

(٨) هكذا في الأصل ، وفي العتيقة يحيى ، وقد ضبطه الحافظ بكسر المهملة ( انظر التقريب ٦٤٠ ) .

(٩) الترمذي ٢٨٥٩ ، النسائي في الكبرى ٣٦١/٦ ، وقال الترمذي : غريب وحسنه في بعض النسخ وأخرجه أيضا الحاكم ١٤٤/١  
وقال : صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه وسكت الذهبي . وصححه السيوطي والألباني ( وانظر الصحيح المثبور  
٨٨ ، ٨٧/١ ) الآيات أحمد ٣٨/١ .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٥ وإسناده ضعيف جدا فيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي قال الحافظ : متروك ( التقريب ١٦٥٢ ) .

(١١) ابن أبي حاتم ٣٤ ، ابن جرير ٧٥/١ وأخرجه أيضا المروزي ص ٨ إسناده حسن ، وأخرجه الحاكم ٢٨٤/٢ من طريق الحارث بن أبي  
أسامة عن أبي النضر به عن أبي العالية عن ابن عباس وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي . ويبدو أن ذكر ابن عباس فيه  
وهو من أحد الرواة ويؤيده كلام الحسن بعده .

وكل هذه الأقوال صحيحة ، وهي متلازمة ؛ فإن من اتبع النبي ﷺ ، واقتدى باللذين من بعده \_ أبي بكر وعمر \_ فقد اتبع الحق . ومن اتبع الحق ، فقد اتبع الإسلام ، ومن اتبع الإسلام ، فقد اتبع القرآن ، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة ، يصدق بعضها بعضاً والله الحمد .

وقال الطبراني : ثنا محمد بن الفضل السقطي ، ثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ، ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : الصراط المستقيم ؛ الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ ( ) .

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي \_ أعني «اهدنا الصراط المستقيم» أن يكون معنياً به : وفقنا للثبات على ما ارتضيته ، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك ، من قول وعمل . وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبیین والصديقين والشهداء (والصالحين) ( ) ؛ فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمره الله به ، والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهج النبي ﷺ ومنهج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح . وكل ذلك من الصراط المستقيم .

فإن قيل : فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك ؟ وهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟

فالجواب : أن لا ، ولولا احتياجه ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية ، لما أرشده الله إلى ذلك ؛ فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى ، في تثبيته على الهداية ، ورسوخه فيها ، وتبصره وازدياده منها ، واستمراره عليها ؛ فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمهده بالمعونة والثبات والتوفيق ؛ فالسعيد من وفقه (الله تعالى) ( ) لسؤاله ، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه ، آناء الليل وأطراف النهار ، وقد قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل » الآية . [ النساء ١٣٦ ] ، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان ، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل ؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك ، والله أعلم .

(وقال تعالى أمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » [ آل عمران ٨ ] وقد كان الصديق يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب

(١) المعجم الكبير ١٠/١٩٩ وقد أخرجه البيهقي في الشعب ٢/٢٢٦ من طريق إبراهيم بن مهدي عن ابن أبي زائدة به بلفظ : الصراط المستقيم تركنا رسول الله ﷺ على طرف والطرف الآخر الجنة . وإسناده صحيح وعنونة الأعمش يتساهل فيها .

(٢) زيادة من ط .

(٣) زيادة من ط .

بعد الفاتحة سرا ( ) . فمعنى قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي : استمر بنا عليه ، ولا تعدل بنا إلى غيره ، ولا تضلنا عنه ( ) .<sup>٢</sup>

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

قد تقدم الحديث ( ) فيما إذا قال العبد : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخرها ؛ أن الله يقول : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل .

وقوله : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ مفسر للصراط المستقيم ، وهو بدل منه عند النحاة ، ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم .

والذين أنعم الله ( ) عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال (تعالى) ( ) : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ [ النساء ٩٦-٧٠ ] .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين ( ) ، وذلك نظير ما قال ربنا تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ الآية ( ) .<sup>٧</sup>

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ قال : هم النبيون ( ) .<sup>٨</sup>  
وقال ابن جريج ( ) عن ابن عباس : هم المؤمنون ( ) . وكذا قال مجاهد ( ) .<sup>١</sup>  
وقال وكيع : هم المسلمون ( ) .<sup>٢</sup>  
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم النبي ﷺ ومن معه ( ) .<sup>٣</sup>

( ) أخرجه مالك في الموطأ ٧٩/١ ، وعند عبد الرزاق ١٠٩/٢ والشافعي في مسنده ٢١٥/١ وإسناده صحيح وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة ٣٢٦/١ وعبد الرزاق ١٠٩/١ والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز ١٤٦/١ وقد سمعها منه أبو عبد الله الصنابحي وهو يصلي بجواره ( ) واسط مرويات مالك ١٤٧ ( ) والبيهقي في الكبرى ٦٤/٢ وأخذ بذلك عمر بن عبد العزيز لما وصله هذا الأثر .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وكلمة : ولا تضلنا عنه . غير موجودة في ط .

( ) يعني حديث أبي هريرة عند مسلم في المناجاة وقد تقدم في فضل الفاتحة .

( ) في الأصل : أنعمت عليهم . والمثبت من العتيقة .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وابن أبي حاتم ٣٧،٣٨ بنحوه وفيه ضعف وانقطاع تقدم غير مرة .

( ) هذا فيه تكرار لما سبق .

( ) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وإسناده جيد .

( ) في الأصل : جرير . والمثبت من العتيقة والمصدر .

( ) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وإسناده ضعيف فيه الحسين بن داود سنين منقطع بين ابن جريج وابن عباس .

( ) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٩ ، وإسناده لا بأس به .

( ) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وإسناده ضعيف فيه سنين .

( ) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وإسناده صحيح .

والتفسير المتقدم عن ابن عباس أعم وأشمل (والله أعلم) ( ) .<sup>١</sup>  
 وقوله تعالى : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ( قرأ الجمهور (غير) بالجر على النعت ( ) . قال<sup>٢</sup>  
 الزمخشري : وقري بالنصب على الحال ، وهي قراءة رسول الله ﷺ ( ) وعمر بن الخطاب ( ) ، ورويت عن  
 ابن كثير ( ) . وذو الحال : الضمير في « عليهم » ، والعامل « أنعمت » ( ) .<sup>٦</sup>  
 والمعنى ( ) : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ممن تقدم وصفهم ونعتهم ، وهم  
 أهل الهداية ، والاستقامة والطاعة لله ورسوله ، وامثال أوامره وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب  
 عليهم ، ( وهم ) ( ) الذين فسدت إرادتهم ( ) ، فعلموا الحق وعدلوا عنه . ولا صراط الضالين ؛ ( وهم  
 الذين فقدوا ) ( ) العلم ، فهم هائمون في الضلالة ، لا يهتمون إلى الحق . وأكد الكلام بلا ، ليدل  
 على أن ثم مسلكين فاسدين ، وهما طريقتا اليهود والنصارى . وقد زعم بعض النحاة أن غير ههنا  
 استثنائية ، فيكون على هذا منقطعاً لاستثنائهم من المنعم عليهم ، وليسوا منهم . وما أوردناه أولى ،  
 كقول الشاعر :

كأنك من جمال بني أقيش يُقَعِّعُ ( ) عند رجله بشن ( )<sup>١</sup>      <sup>٢</sup>  
 أي : كأنك جمل من جمال بني أقيش ، فحذف الموصوف واكتفى بالصفة . وهكذا « غير المغضوب  
 عليهم » أي : غير صراط المغضوب عليهم . اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف ، وقد دل عليه

( ) زيادة من ط .

(٢) هذه قراءة العشرة وما دونها شاذ لا يجوز القراءة به .

(٣) هذا التعبير غير صحيح فإن قراءة العشرة هي قراءة العشرة هي قراءة رسول الله ﷺ بأصح الأسانيد بل بالتواتر وأما هذا فالمراد به أنها  
 رويت عن النبي ﷺ بالأحاد الضعيفة أو الشاذ وقد أخرج الدوري في جزء قراءات النبي ﷺ .

(٤) عزاه لها أيضاً أبو حيان ( البحر ٢٩/١ ) وقد أخرجها ابن أبي داود في المصاحف ص ٥١ من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن  
 الأسود وعلقمة عنه وهذا إسناد صحيح وسيأتي كذلك عند أبي عبيد وله طريق أخرى عند ابن أبي داود . وهي قراءة تفسيرية أو منسوخة  
 شاذة .

(٥) عن عبد الجبار بن وائل بن حجر قال : قرأ النبي ﷺ غير المغضوب عليهم ولا الضالين . وهي غير مشكلة ولعلها المرادة هنا وإسناده  
 ضعيف لإرسالة وروى الطبراني ٩٥/١٠ عن ابن مسعود أنه قرأ على رسول الله ﷺ غير المغضوب عليهم خفض . قال الهيثمي : فيه  
 الفيض بن غزوان وهو ضعيف وجماعة لم أعرفهم ( المجمع ٣١١/٦ ) .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٧) في الأصل : يعني . والمثبت من العتيقة .

(٨) زيادة من العتيقة .

(٩) في الأصل : إرادتهم . والمثبت من العتيقة . وعليها تعليق : آراؤهم .

(١٠) في الأصل : فقد . والمثبت من العتيقة .

(١١) في الأصل : تقعع . والمثبت من العتيقة . وعليها تعليق : يترك . وهو كذلك في غيره من المصادر .

(١٢) البيت عند ابن جرير ١٧٩/١ بلفظ : خلف رجله منسوباً إلى تابعة بني ذبيان وهو في ديوانه ١٩٨ وبنو أقيش : حي من اليمن في  
 إلبهم نفار شديد والشن القرية البالية مصيف التابعة الذيباني عينية بن حصن بالجبن ويشبهه بذلك .

سياق الكلام ، وهو قوله : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ثم قال : « غير المغضوب عليهم » .

ومنهم من زعم أن لا في قوله : « ولا الضالين » زائدة ، وأن تقدير الكلام عنده : غير المغضوب عليهم والضالين . واستشهد ببيت العجاج :

في بير لا حور ( ) سعى ( ) وما شعر<sup>(٢)</sup> ٣

أي : في بير حور . والصحيح ما قدمناه . ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عمر بن الخطاب : أنه كان يقرأ : غير المغضوب عليهم وغير الضالين ( ) . وهذا إسناد صحيح . (وكذا حكى عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك ( ) ( ) . وهو محمول على أنه صدر منه على وجه التفسير ، فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء بها لتأكيد النفي (لئلا يتوهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم) ( ) ، وللفرق<sup>٤</sup> بين الطريقتين ( ) لتجنب كل منهما ؛ فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ، واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم . ولهذا كان الغضب لليهود ، والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب ، بخلاف من لم يعلم . والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا ، لكنهم لا يهتدون إلى طريقه ، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه ، وهو اتباع الرسول الحق ضلوا . وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب (كما قال عنهم : « من لعنه الله وغضب عليه » [المائدة ٦٠] ) ( ) وأخص أوصاف النصارى الضلال . (كما قال : « قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » [المائدة ٧٧] ) ( ) وبهذا جاءت الأحاديث والآثار . ( )

(١) في الأصل : حور . والمثبت من العتيقة . وكذا في الموضوع التالي . والخور الهلكة يعني في بحر هلكة .

(٢) في ط : سرى . كما في التعليق على العتيقة . وكما في ابن جرير .

(٣) البيت ما تفسر ابن جرير ٦٢/١ منسوبا إلى العجاج بلفظ : سرى

(٤) الفضائل ص ١٦٢ ، وأخرجه أيضا سعيد بن منصور ٥٣٤/٢ وابن أبي داود في المصاحف ص ٥١ وإسناده صحيح كما ذكر ابن كثير ، والقراءة تفسيرية كما ذكر الحافظ وهي شاذة لا يقرأ بها . وانظر ما تقدم قبل قليل .

(٥) نقل ذلك عنه أيضا أبو حيان (البحر ٢٩/١) ولم أقف له على إسناد وهي قراءة شاذة .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٧) ما بين القوسين زيادة من ط .

(٨) في الأصل : الطريقتين . والمثبت من العتيقة .

(٩) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١٠) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١١) إجماع في ط بعد ذلك : وذلك واضح بين .

قال ( الإمام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة سمعت سماك بن حرب يقول ( ) : سمعت حنبل بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم قال : جاءت خيل رسول الله ﷺ ( أو رسل رسول الله ﷺ ) وأنا بعقر ( ) ، فأخذوا عمتي وناسا ، فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفوا له ؛ فقالت : يا رسول الله ! (ناء) ( الوافد ، وأثقطع الولد ، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة ؛ فمن علي ، من الله عليك . قال : من وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : الذي فر من الله ورسوله . قالت : فمن علي . فلما رجع \_ ورجل إلى جنبه ترى أنه علي قال : سليه حملانا \_ فسألته ، فأمر لها ، قال : فأنتني . فقالت : لقد فعل ( ) فعلة ما كان (أبوك) ( ) يفعلها ، ( قالت : أمة راغبا أو راهبا ) ( ) فإنه أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي \_ وذكر قريهم من النبي ﷺ \_ قال : فعرفت أنه ليس يملك كسرى ولا قيصر . فقال : يا عدي ! ما أفرك ؟ أن يقال : لا إله إلا الله ؟ فهل من إله ( ) إلا الله ؟ لنا أفرك ؟ أن يقال : الله أكبر ؟ فهل شيء أكبر من الله عز وجل ؟ قال : فأسلمت ، فرأيت وجهه استبشر ، وقال ( ) : (إن) ( ) (المغضوب عليهم) ( ) اليهود ، وإن الضالين النصارى ... وذكر الحديث ( ) .<sup>٢</sup>

ورواه الترمذي من حديث سماك بن حرب ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ( ) .<sup>٣</sup>

قلت : وقد رواه حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن مري بن قطري ، عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود « ولا الضالين » قال : النصارى

(١) في الأصل : وقال . والمثبت من العتيقة .

(٢) غير موجودة في الأصل والمثبت من العتيقة .

(٣) زيادة من المصدر .

(٤) في المصدر : نأى .

(٥) في المصدر : فعلت .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) زيادة من المصدر .

(٨) في الأصل : لا إله . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٩) في الأصل : فقال . والمثبت من العتيقة .

(١٠) زيادة من العتيقة والمصدر .

(١١) زيادة من العتيقة والمصدر .

(١٢) المسند ٣٧٨/٤-٣٧٩ وأخرجه ابن أبي حاتم ٤٠،٤١ من طريق أحمد وغيره . وبه مختصرا مقتصرا على الشاهد .

(١٣) السنن ٢٩٥٣ وقد أخرجه ابن حبان ٧٢٠٦ وله طرق شواهد والطبراني ٢٣٦،٢٣٧ وابن جرير ٧٩،٨٣/١ مختصرا وإسناده حسن وغيرهم ، وقد حسنه الترمذي وصححه ابن حبان وأحمد شاكر وعبد بن حبيش وثقه ابن حبان وقال الهيثمي في الحديث : رجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة (المجمع ٢١١/٦) وقد ذكره البخاري وابن أبي حاتم وسكتنا عنه وحسن له الترمذي .

هم الضالون ( ) . وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم به ( ) . وقد روي حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها .  
 وقال عبد الرزاق : أنا ( ) معمر عن<sup>٣</sup> بديل العقيلي أخبرني عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي ﷺ  
 — وهو بوادي القرى — وهو على فرسه — وسأله رجل من بني القين فقال : يا رسول الله من هؤلاء ؟ —  
 قال : المغضوب عليهم — وأشار إلى اليهود — والضالون هم النصارى ( ) .<sup>٤</sup>  
 وقد رواه الجريري وعروة وخالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ، لم يذكرها : من سمع النبي ﷺ ( ) .<sup>٥</sup>  
 ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمر ( ) ، فالله أعلم .

وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ( ) ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق ،  
 عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن « المغضوب عليهم » قال : اليهود . قال : قلت :  
 « الضالين » ( ) . قال : النصارى ( ) .<sup>٦</sup>  
 وقال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ،  
 وعن ( ) أناس من أصحاب النبي ﷺ : « غير المغضوب عليهم » هم اليهود . « ولا الضالين » هم  
 النصارى ( ) .  
 وقال الضحاك وابن جريج : عن ابن عباس : « غير المغضوب عليهم » هم اليهود ، « ولا الضالين »  
 النصارى ( ) .

(١) أخرجه ابن جرير ٧٩،٨٣/١ وإسناده حسن .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٩،٨٣/١ والحميدي ٤٠٦/٢ وإسناده صحيح .

(٣) في الأصل : أبنا . والمثبت من العتيقة .

(٤) التفسير ٦١/١ مع اختلاف في المتن وفيه زيادة وأخرجه عند أحمد ٣٢،٣٣/٥ تاما ومن طريقه أيضا ابن جرير ٧٩،٨٣/١ وإسناده صحيح وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . (المجمع ٣١١/٦) وصححه أحمد شاكر .

(٥) أخرج رواية الجريري وعروة وخالد الحذاء ابن جرير ٧٩،٨٣/١ ولموصل زيادة ثقة مقبولة .

(٦) لم أقف على ذلك إلا أن رواية ابن جرير من طريقه ٨٣/١ فيها خلط وذكر عبد الله بن قيس لا ابن عمر وأظنه كله وهم أو خطأ والله أعلم .

(٧) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة .

(٨) في الأصل : الضالون . والمثبت من العتيقة .

(٩) ذكره الحافظ في الفتح ١٥٩/٨ وعزاه لابن مردويه بإسناد حسن . وانظر أيضا الدر (١٦/١) .

(١٠) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة .

(١١) أخرجه ابن جرير ٧٩/١، ٨٣، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(١٢) أخرج رواية الضحاك ابن أبي حاتم ٤٢ وابن جرير ٧٩،٨٣/١ وفيها ضعف وانقطاع .

وأخرج رواية ابن جريج ابن جرير وفيها ضعف وانقطاع أيضا وقد سبق الكلام عليهما .

وكذا قال الربيع بن أنس ( ) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ( ) وغير واحد ( ). وقال ابن أبي حاتم : ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافاً ( ) .<sup>٤</sup>

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون ، الحديث المتقدم . وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في (سورة) ( البقرة : ﴿بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾ [البقرة ٩٠] وقال في المائدة : ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ ( )<sup>٦</sup> [المائدة ٦٠] وقال تعالى : ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة ٧٨-٧٩] .

وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف . قالت له اليهود : إنك لن تستطيع الدخول معنا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال : أنا من غضب الله أفر . وقالت له النصارى : إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله . فقال : لا أستطيعه . فاستمر على فطرته ، وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى ، وأما أصحابه فتنصروا ، ودخلوا في دين النصرانية ، لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك ، وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي ﷺ ( ) .<sup>٧</sup>

( مسألة : والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والطاء لقرب مخرجيهما؛ وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان ، وما يليها من الأضراس ، ومخرج الطاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ، ومن الحروف الرخوة ، ومن الحروف المطبقة ( ) ؛ فهذا المختفر استعمال إحداهما مكان الأخرى لمن لا يميز ذلك ، والله أعلم .

(١) أخرجها ابن جرير ١/٨٣، ٧٩ وإسنادها جيد .

(٢) أخرجها ابن جرير ١/٨٣، ٧٩ وإسنادها صحيح .

(٣) انظر تفسير ابن جرير والدر المنثور ١/١٦ .

(٤) التفسير ١/٢٤ .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) في الأصل : وأضل سبيلا . وهو خطأ ظاهر .

(٧) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٠٤-٢١٤) وأخرج قصة زيد بن عمرو بن نفيل البخاري في صحيحه ٧/٤٢ فتح من حديث ابن عمر وأما قصة ورقة بن نوفل في إيمانه بما وصله من الوحي فهي مشهورة وقد أخرجها البخاري أيضا في بدء الوحي ١/٢٣ فتح وانظر للتفصيل - صحيح السيرة النبوية ١/٧٤-٧٦ ، ٢/٣٦-٣٧ .

(٨) هذه صفات للحروف وضد الجهر همس وضد الرخاوة الشدة وضد الإطباق الانفتاح وانظر لذلك هداية القاري ص ٧٩-٩١).

فأما حديث : أنا أفصح من نطق بالضاد ( ) ؛ فلا أصل له . والله أعلم . ( )<sup>٢</sup>

فصل : اشتملت هذه السورة الكريمة ، وهي سبع آيات ، على حمد الله ، وتمجيده ، والثناء عليه ، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العلى ، وعلى ذكر المعاد \_ وهو يوم الدين \_ وعلى إرشاده عبده إلى سؤاله ، والتضرع إليه ، والتبري من حولهم وقوتهم ، وإلى إخلاص العبادة له ، وتوحيده بالألوهية \_ تبارك وتعالى \_ وتنزيهه ( ) أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل ، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم \_ وهو الدين القويم \_ وتثبيتهم عليه ، حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة ، المفضي بهم إلى جنات النعيم ، في جوار النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين . واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة . والتحذير من مسالك الباطل ، لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة ، وهم المغضوب عليهم والضالون . وما أحسن ما جاء ( ) (من) ( )<sup>٤</sup> إسناد الإنعام إليه في قوله : «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم» وحذف الفاعل في الغضب في قوله : «غير المغضوب عليهم» وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال : «ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم» [المجادلة ١٤] وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به ، وإن كان هو الذي أضلهم بقدره ، كما قال : «من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا» [الكهف ١٧] وقال : «من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون» [الأعراف ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال ، لا كما تقول الفرقة القدريّة ، ومن هذا حدوهم ، من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ، ويفعلونه . ويحتجون على بدعهم بمتشابه من القرآن ، ويتركون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم ، وهذا حال أهل الضلال والغي . وقد ورد في الحديث الصحيح : " إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم" ( ) \_ يعني في قوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه» [آل عمران ٧] . فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حجة صحيحة ، لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل ، مفرقا بين الهدى والضلال ، وليس فيه تناقض ولا اختلاف ؛ لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد .

( ) من الأحاديث المشتهرة التي لا أصل لها ، وقال السيوطي : معناه صحيح ولكن لا أصل له وانظر (كشف الخفا ١/٢٠٠ ، الفوائد المجموعة ص ٣٢٧).

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) في الأصل : وتنزهه . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : ما أجاد .

(٥) من التعليق على العتيقة .

(٦) أخرجه البخاري ٤٢٧٣ ، ومسلم ٢٦٦٥ .

فصل : يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها : آمين . ( ) ويقال : آمين \_ بالقصر أيضا ( ) \_  
ومعناه : اللهم استجب .

والدليل على ذلك ( ) مارواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، عن وائل بن حجر قال : سمعت  
النبي ﷺ قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال : آمين \_ مد بها صوته . ولأبي داود : رفع بها  
صوته ( ) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وروي عن علي ( ) وابن مسعود ( ) وغيرهم ( ) .<sup>٧</sup>

وعن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا تلا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . قال : آمين .  
حتى يسمع من يليه من الصف الأول . رواه أبو داود ، وابن ماجه \_ وزاد ( ) : يرتج بها المسجد \_  
والدارقطني ، وقال ( ) : هذا إسناد حسن ( ) .

وعن بلال أنه قال : يارسول الله لا تسبقني بآمين . رواه أبو داود ( ) . ( )

قال أصحابنا وغيرهم : ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق المصلي ، وسواء كان  
منفردا ، أو إماما ، أو مأموما ، وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ ( ) أن

(١) في ط : مثل يس .

(٢) في ط : مثل يمين .

(٣) في بعض النسخ : على استحباب التأمين .

(٤) المسند ٣١٦/٤ ، أبو داود ٩٣٢ ، الترمذي ٢٤٨ وأخرجه جماعة غيرهم وهو حديث صحيح حسنه الترمذي كما ذكر الحافظ  
وصححه الدارقطني وابن حبان وله طرق وانظر

(٥) حديث علي أخرجه ابن ماجه ٨٥٤ وابن أبي حاتم في العلال ٩٣/١ ، وفيه ابن أبي ليلى وهو سيء الحفظ .

(٦) لم أقف على رواية لابن مسعود في ذلك ولعله يقصد ابن عمر والله أعلم .

(٧) كابن عمر وأم الحصين وانظر الموسوعة ٧٤،٧٥/١ وكان الأولى أن يقول : وغيرهما .

(٨) أي ابن ماجه .

(٩) أي الدارقطني .

(١٠) أبو داود ٩٣٤ ، ابن ماجه ٨٥٣ من طريق أبي عبد الله عن أبي هريرة وأما الدارقطني فأخرجه بلفظ آخر من طريق أبي سلمة وسعيد  
عن أبي هريرة ٣٣٥/١ وهو حديث حسن بمجموع طرقه وقد صححه أيضا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وسكت الذهبي وله شواهد  
وانظر الموسوعة ٧٣/١-٧٥) .

(١١) السنن ٩٣٧ وإسناده صحيح وأخرجه أيضا ابن أبي شيبه ١٨٧/٢ وعبد الرزاق ٩٦/٢ وأحمد ١٢/٦ وابن خزيمة ٢٨٧/١ والحاكم  
٣٤٠/١ والبخاري ٢١٠/٤ وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت الذهبي وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير  
ورجاله موثقون (المجمع ١١٣/٢) .

(١٢) إجماع زيادة في ط : ونقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شددوا الميم من آمين مثل «آمين البيت الحرام» .

[المائدة ٢]

(١٣) ليست في العتيقة .

رسول الله ﷺ قال : إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ( ) .<sup>١</sup>

ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : إذا قال أحدكم في الصلاة آمين ، والملائكة في السماء آمين ؛ فوافقت إحداهما ( ) الأخرى ، آغفر له ما تقدم من ذنبه ( ) .<sup>٣</sup>

( قيل : معنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة : في الزمان . وقيل : في الإجابة . وقيل : في الإخلاص ) . ( ) .<sup>٤</sup>

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا : وإذا قال \_ يعني الإمام \_ : ولا الضالين . فقولوا : آمين يجبكم الله ( ) .<sup>٥</sup>

وقال جويبر ( ) : عن الضحاك عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ! ما معنى آمين ؟ قال : رب افعل ( ) .<sup>٧</sup>

( وقال الجوهري : معنى آمين : كذلك فليكن . وقال الترمذي : معناه لا تخيب رجاءنا . وقال الأكترون : معناه اللهم استجب لنا . وحكى القرطبي ( ) عن مجاهد ( ) وجعفر الصادق ( ) وهلال بن يساف ( ) ( ) أن آمين أسم من أسماء الله تعالى ( ) . وروي عن ابن عباس مرفوعا ( ) ، ولا يصح .<sup>١</sup>  
قاله أبو بكر بن العربي المالكي ( ) .<sup>٥</sup>

( ) البخاري ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٤٢٠٥ ومسلم ٤١٠ .

(٢) في الأصل : أحدهما . والمثبت من العتيقة ورسمت فيها هكذا : إحديهما .

(٣) الصحيح ٤١٠ وليس لمسلم وحده وإنما أخرجه البخاري أيضا بهذا اللفظ ٧٤٨ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) الصحيح ١١٩،١٢٠/٤ .

(٦) في الأصل : جوهر . والمثبت من العتيقة .

(٧) أخرجه جويبر في تفسيره (انظر الدر ١٧/١) وفي إسناده جويبر وهو هالك وفيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس . وله طرق أخرى عند الثعلبي في تفسيره كما في الدر وفيها الكلبي وهو متروك وهو كذلك بنحوه من كلام ابن عباس في تنوير المقباس ٤/١ السلسلة الكذب .

(٨) الجامع ١١/١ .

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٨٨/٢ وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وعزه السيوطي أيضا لو كيع (انظر الدر ١٧/١) .  
( ) لم أقف عليه .

( ) أخرجه وكيع ومن طريقه وغيره ابن أبي شيبة في المصنف ١٨٨/٢ وأخرجه أيضا ٩٩/٢ وفيهما هلال بن يساف وإسناده صحيح .  
( ) في ط : كيسان .

(٣) وروي ذلك عن حكيم بن جابر وإسناده صحيح وأبي هريرة أيضا وهو ضعيف انظر مصنف ابن أبي شيبة ١٨٨/٢ ، عبد الرزاق ٩٩/٢ .

(٤) المراد والله أعلم قولهم اللهم استجب لا أن آمين اسم من أسماء الله وقد تقدم معنى ذلك في تفسير جويبر .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

وقال أصحاب مالك : لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم ، لما رواه مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (وإذا قال \_ يعني الإمام \_ : «ولا الضالين» فقولوا : آمين) ... الحديث) (١). واستأنسوا أيضا بحديث أبي موسى (عند مسلم) (٢) : وإذا قرأ «ولا الضالين» ، فقولوا : آمين (٣) . ٤

وقد قدمنا في المتفق عليه : إذا أمن الإمام فأمنوا (٤) . وأنه (٥) عليه السلام كان يؤمن إذا قرأ «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» (٦) .

وقد (اختلف) (٧) أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية (٨) ، وحاصل الخلاف أن الإمام إن نسي التأمين ، جهر المأموم به قولاً واحداً . وإن أمن الإمام جهراً ؛ فالجديد : أنه لا يجهر المأموم . وهو مذهب أبي حنيفة ، ورواية عن مالك ؛ لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به ، كسائر أذكار الصلاة . والقديم : أنه يجهر به . وهو مذهب أحمد بن حنبل ، والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم \_ حتى يرتج المسجد . ولنا قول آخر ثالث : أنه إن كان المسجد صغيراً لم يجهر المأموم لأنهم يسمعون قراءة الإمام ، وإن كان كبيراً جهر ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد . والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال : إنهم لم يحسدونا على شيء ، كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين (٩) .

ورواه ابن ماجه ولفظه : " ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين " (١٠) .

(١) الموطأ ١٩٥ وقد تقدم تخريجه في الصحيحين .

(٢) ما بين القوسين بياض بالأصل . والمثبت من العتيقة .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) سبق تخريجه قبل قليل .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) في العتيقة : فإنه .

(٧) تقدم تخريجه .

(٨) بياض بالأصل والمثبت من العتيقة .

(٩) في الأصل : في الجهر . والمثبت من العتيقة .

(١٠) المسند ١٣٤/٦-١٣٥ بأطول من ذلك وأخرجه أيضا ابن خزيمة ٢٨٨/١ والبيهقي ٥٦/٢ وإسناده جيد وله طريق آخر عند ابن خزيمة يشهد له ٣٨/٣ وأصله في الصحيح وقد جاء مختصراً فيه طريق آخر هو الآتي ذكره . وقال الهيثمي : قلت في الصحيح بعضه رواه أحمد وفيه علي بن عاصم شيخ أحمد وقد تكلم فيه بسبب كثرة الغلط والخطأ قال أحمد أما أنا فأحدث عنه وحدثنا عنه وبقيته رجاله ثقات (المجمع ١٥٢/١) وقال أيضا : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن (المجمع ١١٣/٢) .

(١١) السنن ٨٥٦ وقال البوصيري : إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته (مصباح الزجاجاة ١٧٦/١) وصححه المنذري ومغلطاي والألباني (انظر الصحيح المثلوث ٩٢/١) مرويات ابن ماجه ١٨) .

وله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول : آمين؛ فأكثروا من قول : آمين ( ) . وفي إسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف .

٢ وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : آمين ؛ خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين ( ) .  
وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت آمين في الصلاة ، وعند الدعاء ، لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى ؛ كان موسى يدعو ، وهارون يؤمن ، فاختموا الدعاء بآمين ، فإن الله يستجيبه لكم ( ) .  
٣ قلت : ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ [يونس ٨٨-٨٩] فذكر الدعاء عن موسى وحده ، ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون آمن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ فدل ذلك على أن من آمن على دعاء ، فكأنما قاله ؛ فهذا قال من قال : إن المأموم لا يقرأ ؛ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها . ولهذا جاء في الحديث : من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ( ) . وكان بلأل يقول : لا تسبقني بآمين ( ) . فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية والله أعلم .

ولهذا قال ابن مردويه : ثنا أحمد بن الحسن ، ثنا عبد الله بن محمد بن سلام ، ثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، عن كعب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . فقال : آمين . فوافق ( ) آمين أهل الأرض ، آمين أهل السماء ، غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه . ومثل من لا يقول : آمين ، كمثل رجل غزا مع قوم ، فاقترعوا ، فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه . فقال : لم لم يخرج سهمي ؟ فقيل : إنك لم تقل : آمين ( ) .  
٧

(١) السنن ٨٥٧ وقال البوصيري : إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف طلحة بن عمرو ( مصباح الزجاجة ١/١٧٦ ) وقال السيوطي : بسند ضعيف ( الدر ١/١٧ ) وقال الألباني : ضعيف جدا ( ضعيف ابن ماجه ص ٦٦ ) ولكن يشهد لأوله ما تقدم .

(٢) عزاه السيوطي لابن مردويه وقال بسند ضعيف ( الدر ١/١٧ ) وأخرجه أيضا الطبراني في الدعاء ٢١٩ وابن عدي في الكامل ٦/٤٤٠ وفي إسناده أبو أمية إسماعيل بن يعلى قال الذهبي : متروك ( المغني ١/٨٩ ) .

(٣) عزاه السيوطي لابن مردويه ( الدر ١/١٧ ) وأخرجه أيضا الحارث بن أبي أسامة في مسنده ( بقية الباحث ١٨٢ ) والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ( انظر تفسير القرطبي ١/١١٣ ) وابن خزيمة ١٥٨٦ وفي إسناده زري بن عبد الرحمن قال الحافظ : ضعيف ( التقريب ٢٠١٣ ) وله شاهد أخرجه عبد الرزاق ٢/٩٩ عن أبي هريرة من قوله وفيه كان موسى بن عمران إذا دعا من هارون على دعائه . وفيه بشر ابن رافع ضعيف . وقد تصحف اسم زراري بـ " رزين " في تفسير القرطبي .

(٤) تقدم تخريجه في أول سورة الفاتحة .

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل .

(٦) في الأصل : فتوافق . والمثبت من العتيقة .

(٧) عزاه أيضا السيوطي لابن مردويه ( الدر ١/١٧ ) وقال : بسند جيد . وهو في مسند إسحاق بن راهوية ١/٣١٥ نحوه عن جرير وقد أخرجه أيضا أبو يعلى في مسنده ١١/٢٩٦ من طريق جرير به . وإسناده فيه ضعف لأجل الكلام المعروف في ليث بن أبي سليم . وقال الهيثمي : في الصحيح بعضه رواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه ( المجمع ٢/١١٣ ) .

## تفسير سورة البقرة

\*\*\*\*\*

### ذكر ما ورد في فضلها

قال الإمام أحمد : ثنا عارم ، ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبيه ، عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا ، واستخرجت الله لا إله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله ( تبارك وتعالى ) ( ) والدار الآخرة إلا غفر له ، وقرؤها على موتاكم (٢) . انفراد به أحمد (٣) .

وقد رواه أحمد أيضا عن عارم ، عن عبد الله بن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان وليس بالنهدي ، عن أبيه عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : اقرؤها على موتاكم يعني يس (٤) . فقد تبينا (٥) بهذا الإسناد معرفة المبهم في الرواية الأولى . وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه (٦) .

وقد روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير \_ وفيه ضعف \_ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن : آية الكرسي (٧) .

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، فإن البيت الذي يقرأ (٨) فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان (٩) " . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(١) زيادة من المصدر .

(٢) المسند ٢٦/٥ بإسناده ومثله .

(٣) أي من أصحاب السنن بهذا الغسناد واللفظ ، وقد أخرجه النسائي في الكبرى ١٠٩١٤ من طريق معتمر به مقتصرًا على جزء يس .

(٤) المسند ٢٦/٥ بإسناده ومثله وأخرجه أيضا من طريق ابن المبارك به ٢٧/٥ .

(٥) في الأصل : بينا . والمثبت من العتيقة .

(٦) أبو داود ٣١٢١ ، النسائي في الكبرى ١٠١٩٣ وسقط منه أبو أبي عثمان ، ابن ماجه ١٤٤٨ من طريق ابن المبارك به باللفظ المذكور وقد أخرجه جماعة غيرهم والحديث بطوله له شواهد يثبت بها ما عدا قوله : نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا . وقد صححه ابن حبان وقوله : اقرؤها على موتاكم يعني المختصر (وانظر للتفصيل الموسوعة ١/١٣٨، ١٠٨، ٦٨ / ٢ ، ٧٢) .

(٧) السنن ٢٨٧٨ وقال غريب ١٠١هـ . وقد أخرجه أيضا الحاكم ١/٥٦١ ، ٢/٢٥٩ ، ٢٦٠ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه لتشيع حكيم بن جبير وسكت الذهبي . وهو حديث صحيح له شواهد وصححه ابن حبان من حديث سهل بن سعد وتقدم من حديث معقل ( وانظر الموسوعة ١/١٠٦-١٠٩ ) .

(٨) في العتيقة : تقرأ .

(٩) المسند ٢/٢٨٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، الصحيح ٧٨٠ ، الترمذي ٢٨٧٧ ، النسائي في الكبرى ٨٠١٥ .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثني ابن أبي مریم ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه (١).

سنان بن سعد \_ ويقال بالعكس \_ وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره (٢) .  
وقال أبو عبيد : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله - يعني ابن مسعود - (٣) قال : إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة (٤) .  
ورواه النسائي في اليوم واللييلة ، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٥) من حديث شعبة ، ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال ابن مردويه : ثنا أحمد بن كامل ، ثنا أبو إسماعيل الترمذي ، ثنا أيوب بن سليمان بن بلال ، حدثني أبو بكر بن أبي أويس ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها ، فإن الشيطان ينفر (٦) من البيت تقرأ فيه سورة البقرة ، وإن أصفر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله (٧) .

وهكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة ، عن محمد بن نصر ، عن أيوب بن سليمان به (٨) .

(وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال : ما من بيت يقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط) (٩) .

وقال (١٠) : إن لكل شيء سناما ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وقال : إن لكل شيء لبابا ، وإن

(١) الفضائل ص ١٢١ وقد أخرجه الفريابي في فضائله من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة ، عن يزيد به . وهذا إسناد صحيح رواية ابن وهب عن ابن لهيعة مستقيمة ، وقد تابعة أيضا عمرو بن الحارث ( وانظر الموسوعة ٩٥/١ ) .

(٢) قال الحافظ : صدوق ( التقريب ٢٢٣٨ ) وروايته لها شواهد تصح بها .

(٣) بيان من ابن كثير ليست في المصدر .

(٤) الفضائل ص ١٢١ .

(٥) النسائي ١٠٨٠٠ ، المستدرک ٥٦١/١ ، ٢٦٠/٢ وقد رواه جماعة هكذا موقوفا ورواه غيرهم مرفوعا وبعضهم مطولا وبعضهم مختصرا ، والأرجح فيه الوقف والشاهد فيه في حكم المرفوع ( وانظر الموسوعة ٩٣/١ ، ٩٤ ) وانظر ما يأتي .

(٦) في الأصل : يفر . والمثبت من العتيقة .

(٧) عزاه السيوطي أيضا لابن مردويه ( الدر ١٩/١ ) وقال : بسند ضعيف . هـ وقد أخرجه من طريق أبي إسحاق به مرفوعا جماعة منهم النسائي كما سيأتي وفي إسناده أبو إسحاق السبيعي وقد اختلط ولم يصرح بالسماع وخالف غيره والصواب أنه موقوف كما تقدم .

(٨) الكبرى ١٠٧٩٩ وانظر ماسبق .

(٩) السنن ٣٣٧٥ وإسناده جيد وهو نفس ماسبق إلا أن فيه زيادة وله ضراط . ولعله أخذها من قصة مصارعة عمر مع الشيطان وانظر الموسوعة ١٦٥/١ .

(١٠) أي ابن مسعود .

## لباب القرآن المفصل (١) .

وروى أيضا من طريق الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة أربع من أولها ، وآية الكرسي وآيتان بعدها ، وثلاث آيات في آخرها (٢) ، وفي رواية (٣) : لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ولا تقرآن على مجنون إلا أفاق (٤) .

وعن سهل بن سعد (٥) قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل شيء سناما ، وإن سنام القرآن البقرة ، من قرأها في بيته ليلة لم يدخله شيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها في بيته نهارا لم يدخله شيطان ثلاثة أيام . رواه أبو القاسم الطبراني ، وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه . (وابن مردويه من حديث الأزرق بن علي ثنا حسان بن إبراهيم ثنا خالد بن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل به وعند ابن حبان خالد بن سعيد المدني (٦) (٧) .

وقد روى الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفر ، عن سعيد المقبري ، عن عطاء مولى أبي أحمد ، عن أبي هريرة قال : بعث (٨) رسول الله ﷺ (بعثنا وهم) (٩) ذوو عدد ، فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم \_ يعني (١٠) ما معه من القرآن \_ فأتى على رجل من أحدثهم سنا ، فقال : ما معك يا فلان ؟ فقال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ، فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم . قال : اذهب فأنت أميرهم . فقال رجل من أشرفهم : والله ما منعني أن أتعلم (سورة) (١١) البقرة إلا (أني

(١) أخرجه أيضا الدارمي ٣٣٧٧ وهو معطوف على ما قبله ، وأخرجه أيضا الحاكم ٥٦١/١ وغيره وإسناده صحيح وقد رواه الحاكم أيضا مرفوعا مع اختلاف في المتن والأصح وقفه .

(٢) سنن الدارمي ٣٣٨٢ بنحوه ورجاله ثقات إلا أنه منقطع بين الشعبي وابن مسعود ، وانظر ما بعده .

(٣) أخرجه أيضا الدارمي بعد السابقة ٣٣٨٣ من طريق آخر عن الشعبي ولأجزاء منها شواهد تصح بها في آية الكرسي وخواتيم البقرة وفي قراءة آية الكرسي على المجنون وانظر الموسوعة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) في الأصل سعيد والمثبت من العتيقة .

(٦) المعجم الكبير ٢٠١/٦ والصحيح ١٠٩/٢ وأخرجه أيضا غيرها وما عند ابن حبان هو الأصح وهو موافق لسائر الكتب التي أخرجت الحديث . وإسناده حسن لشواهده وتحديد الأيام الثلاثة لا شاهد له وقد صححه ابن حبان وانظر الموسوعة ١٠٦/١-١٠٨ .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وليست في ط

(٨) في الأصل : قال . والمثبت من العتيقة .

(٩) في الأصل : بينا وهم . والمثبت من العتيقة .

(١٠) ليست في المصدر .

(١١) زيادة من المصدر .

خشيت) (١) أن لا أقوم بها . فقال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن فاقروه (٢) ، ( وأقروه) (٣) فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقراءه ، وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فيرفد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على (٤) مسك (٥) .

هذا لفظ رواية الترمذي ثم قال : هذا (٦) حديث حسن . ثم رواه من حديث الليث ، عن سعيد ، عن عطاء مولى أبي أحمد مرسل (٧) ، فالله أعلم .

وقال البخاري : وقال الليث : حدثني يزيد بن الهاد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت ، فسكنت فقراً فجالت الفرس ، فسكت ، فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها . فأشفق أن تصيبه ، فلما أخذه (٨) رفع رأسه إلى السماء (فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصاييح فخرج) (٩) حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال : اقرأ يا ابن حضير . قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان منها قريباً (١٠) هـ فرفعت رأسي وانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصاييح ، فخرجت حتى لا أراها قال : وتدرى ما ذاك ؟ قال : لا . قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم (١١) .

وهكذا رواه الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن ، عن عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير ، عن الليث به (١٢) .

(١) في المصدر خشية .

(٢) جاء على هامش العتيقة قوله : الفاء فيه كثم في قوله : استغفروا ربكم ثم توبوا . أي : تعلموا القرآن وداوموا على تلاوته والعمل بمقتضاه .

(٣) زيادة من المصدر .

(٤) ليست في الأصل وهي في العتيقة والمصدر .

(٥) الترمذي ٢٨٧٦ ، النسائي الكبرى ٨٧٤٩ بتمامه ، ابن ماجه ٢١٧ مقتصر على آخره ، وقد أخرجه أيضا الحاكم ٤٤٣/١ وغيره مختصراً ومطولاً وله طريق آخر عن أبي هريرة عند ابن عدي ١٧٠٣/٥ وغيره ، وهذا الحديث حسن في الشواهد والمتابعات وقد حسنه الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان فيه مولى أبي أحمد قال الحافظ : مقبول . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت الذهبي . وقد ضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٢٤٥٢) .

(٦) ليست في الأصل وهي في العتيقة والمصدر .

(٧) ذكره بعده مباشرة .

(٨) في المصدر : اجتره .

(٩) ما بين القوسين زيادة من العتيقة ملحقة بالهامش وليست في المصدر أيضا لكنها في مصادر التخريج الأخرى ولا بد منها لاستقامة الكلام ..

(١٠) في الأصل : وكان قريباً منها . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(١١) الصحيح ٤٧٣٠ هكذا معلقاً مجزوماً به بنحوه وقد وصله جماعة وانظر الموسوعة ١/١٠٠ .

(١٢) الفضائل ص ٢٦ .

وقد روي من وجوه آخر ، عن أسيد بن حضير كما تقدم (١) والله أعلم .  
 وقد وقع نحو من هذا لثابت بن قيس بن الشماس ؓ وذلك فما رواه أبو عبيد : ثنا عباد بن عباد ، عن  
 جرير بن حازم ، عن (عمه) (٢) جرير بن يزيد أن (٣) أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل  
 له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تنزل داره البارحة تزهر مصابيح ؟ قال : فلعله قرأ سورة البقرة . قال :  
 فستل ثابت ، فقال : قرأت سورة البقرة (٤) . وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاما ، ثم هو مرسل (٥) ،  
 والله أعلم .

### ذكر ما ورد في فضلها مع آل عمران

قال الإمام أحمد : ثنا أبو نعيم ، ثنا بشير بن مهاجر ، حدثني عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كنت  
 جالسا عند النبي ﷺ فسمعتة يقول : " تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها  
 البطلة " . قال : ثم سكت ساعة ، ثم قال : " تعلموا سورة البقرة وآل عمران ؛ فإنهما الزهراوان يظلان  
 صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقي  
 صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك .  
 فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ،  
 وإنك اليوم من وراء كل تجارة . فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ،  
 ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بما كسبنا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما  
 القرآن . ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها . فهو في صعود ما دام يقرأ هذا (٦) كان أو  
 ترتيبا (٧) .

وروى ابن ماجه من حديث بشير بن المهاجر به (٨) بعضه (٩) ، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم ،

(١) منها ما ذكره البخاري وأبو عبيد أيضا بعد تلك الرواية قال : قال ابن الهاد وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبي سعيد  
 الخدري عن أسيد بن حضير . وانظر الموسوعة ١٠٠/١ فقد ذكرت هناك تسع طرق عنه .

(٢) زيادة من المصدر .

(٣) في الأصل عن والمثبت من العتيقة .

(٤) الفضائل ص ٢٧ ، ١٢٢ ، وإسناده جيد إلا أنه مرسل كما سيأتي ذكره .

(٥) أما الإبهام فالمراد به أشياخ المدينة وهم من التابعين لا شك لأن جرير بن زيد لا يعرف برواية عن الصحابة وأما الإرسال فلكونهم من  
 التابعين إلا أن مجموعهم يرفع الإبهام ويبقى الإرسال فلعل المخرج واحد . والله أعلم .

(٦) الهدى : القراءة السريعة .

(٧) المسند ٣٤٨/٥ وأخرجه أيضا مختصرا ٣٥٢،٣٦١/٥ ويأتي شرح بعض ألفاظه بعد حديث أبي أمامة الآتي بعده .

(٨) ليست في العتيقة .

(٩) السنن ٣٧٨١ وقد أخرج الحديث أيضا الحاكم ٥٦٠/١ مختصرا وجماعة وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وسكت الذهبي . وقد  
 حسنه أيضا البغوي وللحديث شواهد كما ذكر الحافظ ابن كثير يرتقي بها للحسن منها ما هو لبقيّة الحديث وانظر الموسوعة (١١٣/١)

(١١٦،

(فإن بشيرا هذا أخرج له مسلم) (١) ، ووثقه ابن معين ، وقال النسائي : ليس به بأس ، إلا أن الإمام أحمد قال فيه : هو منكر الحديث ، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تأتي بالعجب . وقال البخاري : يخالف في بعض حديثه . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن عدي : روى ما لا يتابع عليه . وقال الدارقطني : ليس بالقوي (٢) .

قلت : ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي .

قال الإمام أحمد : ثنا عبد الملك بن عمرو ، ثنا هشام ، عن يحيى بن (أبي) (٣) كثير ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اقرؤوا القرآن ، فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة ، اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما ، ثم قال : اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة" (٤) .

وقد رواه مسلم في الصلاة من حديث معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام مطور الحبشي ، عن أبي أمامة صُدِّي بن عجلان (الباهلي) (٥) به (٦) .

الزهراوان : المنيرتان (٧) . والغياية : ما أظلك من فوقك . والفرق : القطعة من الشيء ، والصواف : المصطفة المتضامة . والبطلة : السحرة ، ومعنى لا تستطيعها أي : لا يمكنهم حفظها ، وقيل : لا تستطيع النفوذ (٨) في قاربها والله أعلم .

ومن ذلك حديث النواس بن سمعان .

قال الإمام أحمد : ثنا يزيد بن عبد ربه ، ثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجُرشي ، عن جبير بن نفير قال : سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمهم (٩) سورة البقرة وآل عمران .

(١) مابين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) قال الحافظ : صدوق في حديث لين . والملاحظ من أقوال الأئمة أن حديث حسن إذا لم يخالف ولذا أخرج له مسلم في صحيحه من روايته عن ابن بريدة (انظر الموسوعة ١/١١٣) .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) المسند ٢٩٤/٥ وأخرجه ٢٥٧/٥ وأخرجه أيضا ٢٥٤،٢٤٩/٥ وفيه زيد بين يحيى وأبي سلام . وهو الواسطة لأن يحيى لم يسمع من أبي سلام .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) الصحيح ٨٠٤ وأخرجه جماعة من طرق عن أبي سلام ( انظر الموسوعة ١/١١٠) .

(٧) في الأصل : المنيران . والمثبت من العتيقة .

(٨) في الأصل : التفرد . والمثبت من العتيقة .

(٩) في الأصل : يقدمهم . والمثبت من العتيقة .

وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ، قال : كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرَقٌ ، أو كأنهما فرقان من طير صواف (١) يحاجان عن صاحبهما " (٢) .  
ورواه مسلم عن إسحاق بن منصور ، عن يزيد (٣) بن عبد ربه به . والترمذي من حديث الوليد بن عبد الرحمن الجُرشي به (٤) . وقال : حسن غريب (٥) .

وقال أبو عبيد : ثنا حجاج ، عن حماد بن سلمة (٦) ، عن عبد الملك بن عمير قال : قال حماد : أحسبه عن أبي منيب ، عن عمه (٧) ؛ أن رجلا قرأ البقرة وآل عمران فلما قضى صلاته قال له كعب : أقرأت البقرة وآل عمران ؟ قال : نعم . قال : فوالذي نفسي بيده ، إن فيهما اسم الله (الأعظم) (٨) الذي إذا دعى به استجاب . قال : فأخبرني به . قال : لا والله لا أخبرك به ، ولو أخبرتك لأوشكت أن تدعوه بدعوة أهلك فيها أنا وأنت (٩) .

(قال أبو عبيد) (١٠) : ١. وحدثنا (١١) عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر : أنه سمع أبا أمامة يقول : إن أخا لكم أرى في المنام أن الناس يسلكون في صدع جبل وعر طويل ، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان يهتفان (١٢) : هل فيكم من يقرأ سورة البقرة ؟ هل فيكم من يقرأ سورة آل عمران ؟ قال : فإذا قال الرجل : نعم ، دنا (١٣) منه بأعناقهما حتى يتعلق بهما فيخطران (١٤) .

(١) في الأصل : صاف . والمثبت من العتيقة .

(٢) المسند ١٨٣/٤ ، وشرق : يفتح فسكون ، وبتحتين : ضوء (اللسان ٢٢٤٥/٤) .

(٣) في الأصل : محمد . والمثبت من العتيقة .

(٤) الصحيح ٨٠٥ ، السنن ٢٨٨٣ وقد أخرجه غيرهما . انظر الموسوعة ١١٢/١ .

(٥) الذي في السنن : غريب . فقط وإنما استغربه الترمذي لمعناه وقال : ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث .هـ وليس هناك ما يمنع من أن يتمثل القرآن لا ثوابه وهذا هو الظاهر والله أعلم .

(٦) في الأصل : مسلم . والمثبت من العتيقة .

(٧) في الأصل : عمر . والمثبت من العتيقة .

(٨) ليست في العتيقة .

(٩) الفضائل ص ١٢٦ وأخرجه أيضا ابن الضريس والفريري وفي بعض الطرق عن عبد الملك بن عمير بدون واسطة وفي البعض الآخر بإجماع محدثه وأبو المنيب الأقرب أنه العتكي واسمه عبيد الله بن عبد الله وعمه لم أعرفه وليس له ذكر عند غير أبي عبيد وعبد الملك بن عمير ادرك كعبا والإسناد به عند مباشر حسن إلى كعب وكون البقرة وآل عمران فيها اسم الله الأعظم ثابت عن النبي ﷺ مرفوعا وعن ابن مسعود موقوفا . وانظر الموسوعة (١٢١/١-١٢٣) .

(١٠) زيادة من العتيقة .

(١١) في العتيقة : وثنا .

(١٢) في المصدر : تهتفان .

(١٣) في الأصل : دنيا . والمثبت من العتيقة .

(١٤) في المصدر : فتخطرا . وفي الدارمي : فتخطران .

به الجبل (١).

وحدثنا (٢) عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي عمران : أنه سمع أم الدرداء تقول : إن رجلا ممن قد قرأ القرآن أغار على جار له فقتله ، وإنه أقيد منه فقتل ، فما زال القرآن ينسل منه سورة سورة ، حتى بقيت البقرة وآل عمران جمعة ، ثم إن آل عمران انسلت منه وأقامت البقرة جمعة ، فقبل لها : ﴿ ما يبذل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾ [ ق ٢٩ ] قال : فخرجت كأنها السحابة العظيمة .

قال أبو عبيد : أراه يعني : أنهما كانتا معه في قبره تدفعان عنه وتؤنسانه فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن (٣) .

وقال أيضا : حدثنا (٤) أبو مسهر الغساني ، عن سعيد بن عبد العزيز التَّنُوخي : أن يزيد بن الأسود الجُرشي كان يحدث : أنه من قرأ البقرة وآل عمران في يوم برئ من النفاق حتى يمسي ، ومن قرأها في ليلة برئ من النفاق حتى يصبح ، قال : فكان يقرؤهما كل يوم وليلة سوى جزئه (٥) .

(قال أيضا) (٦) : وحدثنا (٧) يزيد ، عن وقاء (٨) بن إياس ، عن سعيد بن جبير قال : قال عمر بن الخطاب : من قرأ البقرة وآل عمران ( والنساء ) (٩) في ليلة كان أو كتب من القانتين (١٠) .  
فيه انقطاع ولكن ثبت في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قرأ بمن (١١) في ركعة واحدة (١٢) .

(١) الفضائل ص ١٢٦ وأخرجه أيضا الدارمي ٥٤٣/٢ وإسناده حسن وهو رؤيا صالحة يستأنس بها . وقال الدارمي بعد الأثر : الأعذاق الأغصان .

(٢) في العتيقة : وثنا .

(٣) الفضائل ص ١٢٦-١٢٧ وإسناده حسن وهو من قبيل المرفوع (انظر الموسوعة ١/١١٩-١٢٠) .

(٤) في العتيقة : ثنا .

(٥) الفضائل ص ١٢٧ ورجاله ثقات لكنه منقطع فإن سعيدا لم يدرك أحدا من الصحابة وعده احافظ من السابعة وهي طبقة كبار أتباع التابعين ويزيد صحابي . فالأثر ضعيف .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) في العتيقة : وثنا .

(٨) في الأصل : وقاء . والمثبت من العتيقة . والمصدر وهو وقاء بكسر الواو بعدها قاف ابن إياس الأسدي قال الحافظ : لين الحديث . (التقريب ٧٤١١) .

(٩) زيادة من المصدر ومصادر التخريج .

(١٠) الفضائل ص ١٢٧ وأخرجه أيضا سعيد بن منصور ٤٨٥ والبيهقي في الشعب ٢٤٢٤ وفيهما كتب من الحكماء وفيه انقطاع كما ذكر الحافظ وضعف أيضا من أجل الكلام في وقاء .

(١١) في الأصل : بمما والمثبت من العتيقة .

(١٢) وبدأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران أخرجه مسلم فقط من حديث حذيفة ٧٧٢ ولم أجده في البخاري .

## (ذكر) (١) ماورد في فضل السبع الطول

قال أبو عبيد : ثنا هشام بن إسماعيل الدمشقي ، عن محمد بن شعيب ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن وائلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ قال : أعطيت السبع ( الطول ) (٢) مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضلت بالمفصل (٣) .  
هذا حديث غريب وسعيد بن بشير فيه لين .

وقد رواه أبو عبيد ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن سعيد بن أبي هلال قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ : قال ... فذكره (٤) . والله أعلم

ثم قال : ثنا إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن حبيب بن هند الأسلمي ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : من أخذ السبع فهو حبر (٥) .

وهذا أيضا غريب وحبيب بن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلمي ، روى عنه عمرو بن (أبي) (٦) عمرو وعبد الله بن أبي بكر (٧) ، وذكره أبو حاتم الرازي ولم يذكر فيه جرحا (٨) ، فالله أعلم .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن سليمان بن داود وحسين كلاهما ، عن إسماعيل بن جعفر به (٩) .

ورواه أيضا عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال (ثنا عمرو بن أبي عمرو) ، (عن حبيب بن هند ، عن عروة) (١٠) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر (١١) .

قال أحمد : (و) (١٢) ثنا حسين ثنا ابن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ مثله .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) زيادة من المصدر .

(٣) الفضائل ص ١٢٠ والسبع يأتي بيانها والمائة السور التي تزيد على مائة آية والمثاني مائيس بالمئين من بقية سور القرآن وغير المفصل وهو من أول ق إلى آخر القرآن وانظر للتفصيل الموسوعة ١ / ٢ ، والحديث أخرجه أيضا الطيالسي ١٣٦ وأحمد ٤ / ١٠٧ وغيرهما من طريق عمران القطان وسعيد عن قتادة به . وسعيد فيه ضعف كما ذكر الحافظ إلا أن طريق عمران طريق حسنة وللحديث شواهد كثيرة يصح بها وقد صححه الألباني ( الصحيحة ٤ / ٤٦٩ ) (وانظر الموسوعة ١ / ١٢٨-١٣١) .

(٤) الفضائل ص ١٢٠ وهو بلاغ حسن الإسناد وانظر ماسبق .

(٥) الفضائل ص ١٢٠ والحبر : بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الباء الموحدة العالم ذميا كان مسلما . ( انظر اللسان ٢ / ٧٤٨ ) ووقع في بعض مصادر التخریج : خير بالخاء المعجمة والياء التحتية وهو خطأ ( انظر الموسوعة ١ / ١٢٥ ) .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) وابن حرملة أيضا .

(٨) ووثقه ابن حبان وقال الهيثمي : وهو ثقة . وانظر ما يأتي .

(٩) المسند ٦ / ٧٣ .

(١٠) في الأصل : عن حبيب بن عبد عروة . والمثبت من العتيقة .

(١١) المسند ٦ / ٨٢ وقد أخرج هذا الحديث أيضا الحاكم ١ / ٥٦٤ وغير واحد وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي . فالحديث حسن وانظر للتفصيل ( الموسوعة ١ / ١٢٤-١٢٥ ) .

(١٢) زيادة من العتيقة .

قال عبد الله بن أحمد : وهذا أرى (أن) فيه : عن أبيه ، عن الأعرج ، ولكن كذا كان في الكتاب ،  
(فلا أدري) (٢) أغفله أبي أو كذا هو مرسل (٣) (٤) .

(وقال) (٥) أبو عبيد : ثنا هشيم ، أنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك  
سبعاً من المثاني ﴾ [ الحجر ٨٧ ] ، قال : هي السبع الطول (البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام  
والأعراف ويونس) (٦) .

قال : وقال مجاهد : هي السبع الطول (٧) . وهكذا قال مكحول ، وعطية بن قيس (٨) وأبو محمد  
القاري (٩) شداد بن عبيد الله ، ويحيى بن الحارث الذماري في تفسير الآية بذلك وفي تعدادها وأن يونس  
هي السابعة (١٠) .

**فصل : والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف .**

(وهي من أوائل ما نزل بها إلا قوله : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ الآية يقال : إنها آخر ما نزل  
من القرآن ويحتمل أن تكون منها (١١) ، وكذلك آيات الربا من أواخر ما نزل .  
وكان خالد بن معدان يسمي البقرة قسطاس (١٢) القرآن (٣) (٤) .

(١) زيادة من المصدر .

(٢) في الأصل : بلا أبي . والمثبت من العتيقة .

(٣) المسند ٧٣/٦ ، وهو شاهد جيد للحديث السابق وانظر الموسوعة .

(٤) جاء هاهنا زيادة في العتيقة : (وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وهم ذوو عدد وقدم عليهم أحدثهم سناً  
لحفظه سورة البقرة وقال له اذهب فأنت أميرهم وصححه الترمذي . ١. هـ وليس هذا المكان المناسب لذكر هذا الحديث وهو مكرر وقد سبق  
في مكانه المناسب مع تخريجه .

(٥) في الأصل : ثم قال . والمثبت من العتيقة .

(٦) الفضائل ص ١٢٠ وما بين القوسين ليس في المصدر ويبدو أنه سقط منه بدليل الآثار التي بعده . وقد جاءت في هامش بعض النسخ  
( انظر ص ١٥٨ رسالة )

(٧) كذا وقع في هامش مخطوطة فضائل أبي عبيد . وقد أخرجه ابن جرير ٥٢/١٤ ، ٥٣ بأسانيد صحيحة عنه بدون تسمية للسور وقال  
السيوطي : وفي رواية صحيحة عند ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد وسعيد بن جبير أنها يونس (انظر الاتقان ٨٤/١) .

(٨) أخرجه أبو عبيد ص ١٢٠ عن مكحول عن عطية بن قيس قال : مثل قول سعيد بن جبير سواء إلا أنه قال : والتي يقال لها يونس  
هي السابعة . وفي إسناده أبو بكر بن عبد الله ابن أبي مريم الغساني قال الحافظ : ضعيف (التقريب ٧٩٧٤) .

(٩) في الأصل : الفارسي . والمثبت من العتيقة .

(١٠) أخرجه أبو عبيد ص ١٢١ وإسناده صحيح إليه وانظر التفصيل السبع الطول الموسوعة ٢٨٣/١-٢٨٨ فهو ثابت عن ابن عباس وعن  
الصحابة ومنهم عثمان .

(١١) أي من أواخر ما نزل لا آخر ما نزل على الإطلاق .

(١٢) كذا في العتيقة . وعليها تعليق : ميزان . والذي في مصدر التخريج : قسطاس .

(٣) أخرجه الدارمي ٣٣٧٦ مطولاً وإسناده صحيح إليه وقد روي مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري أخرجه الديلمي في مسند الفردوس  
(٣٥٥٩ مختصر) وقال الألباني : موضوع (ضعيف الجامع ٢٤٢/٣) .

(١٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وليست في ط .

قال بعض العلماء : وهي مشتتة على ألف خبير ، وألف أمر وألف نهي (١) .  
وقال العادون : آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات ، وكلما تها ستة آلاف كلمة ومائة وإحدى وعشرون  
كلمة ، وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمس مائة حرف (٢) ، فإله أعلم .  
قال ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس نزلت بالمدينة سورة البقرة (٣) .  
وقال خصيف ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الزبير قال : أنزل بالمدينة سورة البقرة (٤) .  
وقال الواقدي : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه  
قال : نزلت البقرة بالمدينة (٥) .  
وهكذا قال غير واحد من الأئمة ، والعلماء والمفسرين (٦) ، ولا خلاف فيه .  
وقال ابن مردويه : ثنا محمد بن معمر ، ثنا الحسن بن علي بن الوليد ، ثنا خلف بن هشام ثنا  
عيسى (٧) بن ميمون ، عن موسى بن أنس بن مالك ، عن أبيه قال : قال (النبي) (ﷺ) : لا تقولوا :  
سورة البقرة ، ولا سورة آل عمران ، ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ، ولكن قولوا السورة (٨) التي  
يذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله (٩) .

- (١) نقل ذلك ابن العربي عن بعض مشايخه : وزاد وألف حكم . ( انظر القرطبي ١/١٣٢ ) .  
(٢) ليس كل هذا محل اتفاق وهو يختلف باختلاف القراءات ثم باختلاف علماء العدد بالنسبة لعد الآي وقد اختلفوا في سورة البقرة في  
أحد عشر موضعا ( وانظر نفائس البيان ص ١٢ ) .  
(٣) عطاء هو الخراساني ولم يسمع عن ابن عباس وأخرجه ابن الضريس ص ٧٣ من طريق عمر بن عطاء عن أبيه به مطولا وفي إسناده عمر  
بن هارون وهو متروك وعثمان بن عطاء وهو ضعيف وله طريق آخر عن ابن عباس عند البيهقي في دلائل النبوة ١٤٤/٧ وإسناده فيه  
ضعف وعزه السيوطي أيضا للنحاس في الناسخ والمنسوخ وابن مردويه وقال : من طرق عن ابن عباس . ( الدر ١/١٧ ) وبمجموع هذه  
الطرق يثبت عن ابن عباس لا سيما وهو ثابت عن تلاميذه .  
(٤) أخرجه ابن مردويه ( انظر الدر ١/١٧ ) وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن الجزري قال الحافظ : صدوق سيء الحفظ ( التقريب  
١٧١٨ ) وقد أخرجه البيهقي في الدلائل ١٤٤/٧ من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس لا عن ابن الزبير وهو أصوب والله أعلم .  
(٥) إسناده ضعيف جدا لأجل الكلام المعروف في الواقدي .  
(٦) منهم قتادة فيما أخرجه في ناسخه ص ٥٢ ، ومنهم عكرمة عند أبي داود في الناسخ والمنسوخ ( انظر الدر ١/١٧ ) والبيهقي في  
الدلائل ، ومنهم الحسن وجابر بن زيد وعلي بن أبي طلحة وغيرهم وانظر ( صحيح السيرة النبوية ٩/٢-١١ ) .  
(٧) هكذا في النسختين وهو الصواب عند الحافظ ابن كثير لما يدل عليه ما يأتي من كلامه وقد تصحف عليه كما سيأتي بيانه .  
(٨) في العتيقة : رسول الله .  
(٩) في الأصل : سورة . والمثبت من العتيقة .  
(١٠) عزاه السيوطي أيضا لابن مردويه ( الدر ١/١٨ ) وكذا الزيلعي في تخريج الكشاف وابن حجر في الكافي الشافعي ص ٩ وأخرجه الطبراني  
في الأوسط ٥٧٥٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٥١٩/٢ والعقيلي في الضعفاء ٤١٨/٣ وابن الجوزي في الموضوعات ٢٥٠/١ وغيرهم .  
وقال السيوطي : بسند ضعيف . هـ وضعفه أيضا الزيلعي والهيثمي وابن حجر وغير واحد . وقد حدث تصحيف في عبيس بن ميمون في  
عدة مراجع فكتب عيسى بن ميمون ولذا أظنه الحافظ ابن كثير أبا سلمة الخواص وهو متروك والصواب أنه عبيس بن ميمون أبو عبيدة  
الخرزاز كما جاء منسوباً في البيهقي في الشعب وهو ضعيف أيضا وقال البيهقي : هذا فيه عبيس بن ميمون منكر الحديث وهذا لا يصح  
وإنما يروي فيه عن ابن عمر من قوله . ثم رواه بسند صحيح عنه . وأبتعه بروايات تدلل على جواز ذلك وقد تقدم أحاديث مرفوعة صريحة  
في الجواز والحمد لله رب العالمين .

هذا حديث غريب لا يصح رفعه (١)، وعيسى بن ميمون هذا هو (أبو) (٢) سلمة الخواص ، وهو ضعيف الرواية لا يحتج به .

وقد ثبت في الصحيحين ، عن ابن مسعود : أنه رمى الجمرة من بطن الوادي ، فجعل البيت عن يساره ، ومنى عن يمينه ، ثم قال : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة (٣) . أخرجاه .

وروى ابن مردويه ، من حديث شعبة ، عن عقيل بن طلحة ، عن عتبة بن مزيد (٤) قال : رأى النبي ﷺ : في أصحابه تأخرا ، فقال : يا أصحاب سورة البقرة \_ وأظن هذا كان يوم حنين حين ولوا مدبرين \_ أمر العباس فناداهم : يا أصحاب الشجرة \_ يعني أهل بيعة الرضوان \_ وفي رواية : يا أصحاب (سورة) (٥) البقرة ينشطهم بذلك ، فجعلوا يقبلون من كل وجه (٦) .

وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة جعل الصحابة يفرون لكثافة (جيش بني) (٧) حنيفة ، فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة (٨) ، حتى فتح الله عليهم رضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ وعليهم (٩) أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم ﴾

قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، فمنهم من قال : هي مما استأثر الله بعلمه ، فردوا علمها إلى الله ، ولم يفسروها .

(وحكاة القرطبي في تفسيره (١٠) ابن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم (١١) .

(١) ثبت هذا أيضا عن الحجاج بن يوسف من قوله في سبب ذكر إبراهيم لحديث ابن مسعود الآتي ردا عليه .

(٢) في الأصل : بن . والمثبت من العتيقة .

(٣) البخاري ١٦٦٣ ، ومسلم ١٢٩٦ .

(٤) في الأصل : مرید وفي العتيقة مزيد . والمثبت من مصادر التخریج .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٣/١٧ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١١٥/ب/٢ من طريق علي بن قتيبة عن شعبة به . وقال الهيثمي : فيه علي بن قتيبة وهو ضعيف (المجمع ٣٢٧/٥) ويغني عنه ما أخرجه مسلم وغيره عن العباس بنحو ذلك مطولا ( وانظر موسوعة الفضائل ٩٧/١-٩٩) .

(٧) في الأصل : حشري . والمثبت من العتيقة .

(٨) ثبت عن عروة بن الزبير أنه قال : كان شعار أصحاب النبي ﷺ يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة . وأخرجه عبد الرزاق ٢٣٢/٥ ، وابن أبي شيبه ٥٠٣/١٢ وغيرهما وإسناده صحيح إليه وفيه إرسال ( وانظر الموسوعة ٩٩/١) .

(٩) زيادة من العتيقة .

(١٠) الجامع ١٣٣/١-١٣٤ .

(١١) أما أبو بكر وعلي فقد ذكر القرطبي عنهما ذلك بصيغة التمریض وذكره الرازي فقال : وقال أبو بكر الصديق ﷺ في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور . وقال علي ﷺ : إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي . ( مفاتيح الغيب ٣/٢ ) ولم أقف له على إسناد ولا أراه إلا موضوعا . وأما عمر وعثمان وابن مسعود فذكره القرطبي قائلا : وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر

وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري (١) والربيع بن خثيم (٢) واختاره أبو حاتم بن حبان (٣) .  
ومنهم من فسرها ؛ واختلف هؤلاء في معناها ، فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنما هي أسماء  
السور (٤) .  
(قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره (٥) : وعليه إطباق الأكثر ، ونقله عن  
سيبويه أنه نص عليه (٦) .  
ويعتضد هذا بما ورد في الصحيحين ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم  
الجمعة ، الم السجدة وهل أتى على الإنسان (٧) .  
وقال سفيان الثوري عن (ابن) (٨) أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : الم وحم والمص ووص ؛ فواتح افتتح  
الله بها (القرآن) (٩) .  
وكذا قال غيره ، عن مجاهد (١٠) .  
وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال : الم اسم  
من أسماء القرآن (١١) . وهكذا قال قتادة (١٢) ٥٤ وزيد بن أسلم (١٣) .

وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر . هـ هكذا بدون إسناد ولا أراه يصح .  
(١) نقله القرطبي قائلا : قال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين : هي سر الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سر فهي  
من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجوز أن تكلم فيها ولكن نؤمن بها وتقرأ كما جاءت . هـ وليس في تفسير سفيان شيء من ذلك .  
أما الشعبي فقد روى ذلك عنه ابن المنذر وأبو الشيخ في التفسير من طريق داود بن أبي هند قال : كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور  
قال : يادود إن لكل كتاب سرا وإن سر هذا القرآن فواتح السور فدعها وسل عما بدا لك (انظر الدر ٢٣/١) ولك أقف على بقية سنده  
للنظر فيه . ويعارض ما صح عن الشعبي في تفسيرها وسوف يأتي . أما سفيان فلم أر من أسند ذلك عنه .  
(٢) لم ينقله القرطبي عن الربيع بن خثيم في تفسير الحروف المقطعة شيئا وإنما ذكر عنه أثرا في المتشابه وهو مارواه أبو بكر الأنباري بسنده  
عنه قال : إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر عنه بعلم ماشاء وأطلعكم على ماشاء فأما ما استأثر به لنفسه فلم يستأثر به فلا تسألوا عنه  
وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به وما بكل القرآن ما تعلمون تعملون . وإسناده صحيح .  
(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .  
(٤) أخرجه ابن جرير ٦٧/١ بإسناد صحيح عنه رواية عن [به عندما سئل عنها وليس قولها عنه مجردا . وروايته عن أبيه ضعيفة .  
(٥) الكشاف ٨٣/١ .  
(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .  
(٧) البخاري ٨٥١ ، مسلم ٨٨٠ ، وهذا ليس بمتجه فإنه سمى سورة الإنسان بجزء من أول آياتها ولم يقل أحد بأن ذلك اسم للسورة كما  
أنه قال الم السجدة ولم يكتف بالحروف فقط للاشتباه .  
(٨) ساقطة من الأصل .  
(٩) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ من طريق سفيان به وما بين القوسين ليس فيه ، وإسناده صحيح .  
(١٠) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وابن أبي حاتم ١٥ من طريق ابن جريح وسفيان وهو صحيح .  
(١١) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وابن أبي حاتم ٥٠ وإسناده صحيح .  
(١٢) علقه ابن أبي حاتم ووصله عبد الرزاق في تفسيره ٦٢/١ ومن طريقه ابن جرير ٨٧/١ وإسناده صحيح . وعزاه السيوطي أيضا لعبد  
بن حميد (الدر ٢٢/١) .  
(١٣) المروي عن زيد بن أسلم هو ماتقدم عن عبد الرحمن ابنه أنها أسماء للسور وإسناده ضعيف كما سبق ذكره لضعف عبد الرحمن .

ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (١) : إنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن ، فإنه يبعد أن يكون المص اسماً (٢) للقرآن كله ، لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول : قرأت المص ، إنما ذلك عبارة (عن) (٣) سورة الأعراف ، لا لمجموع القرآن والله أعلم .

وقيل : هي اسم من أسماء الله تعالى ، (قال الشعبي : فواتح السور من أسماء الله تعالى (٤) (٥) وكذلك قال سالم بن عبد الله (٦) ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير (٧) ، وقال شعبة عن السدي : بلغني أن ابن عباس قال : الم اسم من أسماء الله الأعظم ، هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة (٨) .

ورواه ابن جرير ، عن بندار (٩) ، عن ابن مهدي ، عن شعبة قال : سألت السدي عن حم وطس والم . فقال : قال ابن عباس : هي اسم الله الأعظم (١٠) .

قال ابن جرير : وحدثنا (١١) محمد بن المثني ، ثنا أبو النعمان ، ثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن مرة الهمداني قال : قال عبد الله : ... فذكر نحوه (١٢) .

(وحكي مثله عن علي (٣) وابن عباس (٤) (٥) .

(١) سبق بيان أن هذا ليس قول عبد الرحمن وإنما رواه عن أبيه .

(٢) في الأصل : اسم . والمثبت من العتيقة .

(٣) ليست في العتيقة .

(٤) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وابن أبي حاتم ٤٧ مطولا وهو صحيح ، وعزاه السيوطي أيضا لابن أبي شيبه وعبد الله حميد وابن المنذر (الدر ٢٢/١) .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وابن أبي حاتم ٤٧ مطولا وهو صحيح وعزاه السيوطي أيضا لابن أبي شيبه وعبد الله حميد وابن المنذر (الدر ٢٢/١) .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٤٥ بلفظ : أما ﴿الم﴾ فهو حرف اشتق من حروف اسم الله . وإسناده إليه حسن ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ١٦٥/١ بلفظ : فواتح السور من أسماء الله عز وجل . وإسناده حسن أيضا وعزاه السيوطي لأبي الشيخ (الدر ٢٢/١) .

(٨) التفسير ٤٤ وهو منقطع وسوف يأتي موصولا بلفظ آخر .

(٩) لم يروه عن بندار - وهو لقب محمد بن بشار - وإنما رواه عن محمد بن المثني عن ابن مهدي .

(١٠) التفسير ٨٧/١ وهو منقطع كالذي قبله .

(١١) في العتيقة : وثنا .

(١٢) التفسير ٨٧/١ وإسناده جيد وله طريق أخرى عن السدي به بلفظ آخر وسوف تأتي .

(١٣) يعني بذلك ما ذكره الرازي قال : الثاني أنها أسماء لله تعالى روي عن علي عليه السلام أنه كان يقول "كهيعص" ، "ياحم عسق" (مفاتيح الغيب ٥/٢) وقد اخرج ابن جرير ٤٤/١٦ وابن ماجه في تفسيره عن فاطمة بنت علي قالت كان علي يقول : ياكهيعص اغفر لي . وإسناده ضعيف (انظر مرويات ابن ماجه ص ٢٧٤) وقد سبق النقل عن علي أنه كان لا يفسرها ولا يصح أيضا .

(١٤) تقدم رواية ذلك عن طريق السدي عنه وقد أخرج ابن أبي حاتم ٤٨ وابن جرير ٨٨/١ من طريق سعيد بن جبير عنه قال : الم ، حم ، ن قال : اسم مقطع . وأخرج ابن مردويه عنه قال : فواتح السور كلها من أسماء الله تعالى (انظر الدر ٢٢/١) وسيأتي أيضا عنه بلفظ آخر من رواية علي بن أبي طلحة .

(١٥) زيادة من العتيقة .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى (١).  
وروى ابن أبي حاتم ، وابن جرير من حديث ابن علية ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة أنه قال : الم  
قسم (٢) .

وروي أيضا من حديث شريك بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس :  
الم ، قال : أنا الله أعلم (٣) .

وكذا قال سعيد بن جبير (٤) .

وقال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ،  
وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : «الم» . قال : (أما) «الم» فهي حروف استفتحت من حروف  
هجاء اسم الله تعالى (٥) .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : «الم» ، قال : هذه الأحرف  
الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من  
أسمائه ، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام (٦)  
وآجالهم . قال عيسى بن مريم عليه السلام وعجب ، فقال : وأعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في  
رزقه ، فكيف يكفرون به ؟ فالألف مفتاح اسم الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد  
، فالألف آلاء الله ، واللام لطف الله ، والميم مجد الله . فالألف سنة (٨) ، واللام ثلاثون (سنة) ، والميم  
أربعون (سنة) (٩) . هذا لفظ ابن أبي حاتم (١٠) .

(١) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وإسناده حسن . وعزه السيوطي أيضا لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات (الدر ٢٢/١)  
وعزه لابن أبي حاتم وليس فيه .

(٢) ابن أبي حاتم ٥٢ ، ابن جرير ٨٨/١ ، إسناده صحيح .

(٣) ابن أبي حاتم ٤٣ ، ابن جرير ٨٨/١ ، وأخرجه أيضا أبو جعفر النحاس في القطع والائتناف ص ١٩١ والبيهقي في الأسماء والصفات  
١٦٤/١ ، وإسناده فيه ضعف للكلام في شريك وعطاء . وعزه السيوطي أيضا لوكيع وعبد بن حميد وابن المنذر وقال من طرق عن ابن  
عباس (الدر ٢٢/١) .

(٤) علقه ابن أبي حاتم ووصله ابن جرير ٨٨/١ وإسناده ضعيف .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) أخرجه ابن جرير ٨٨/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٦٥/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٧) في الأصل : قوم . والمثبت من العتيقة .

(٨) في الأصل والمصدر : سنة . والمثبت من العتيقة لأن الألف بواحد في حساب الجمل وإنما المراد سنة واحدة في المدد والآجال . وهي  
كذلك في رواية ابن جرير .

(٩) ما بين القوسين زيادة من العتيقة وليست في المصدر وهي ثابتة في رواية ابن جرير .

(١٠) التفسير ٤٩ وإسناده حسن إلى أبي العالية ومارواه عن عيسى عليه السلام يبدو أنه اخذ من بعض أهل الكتاب وهو غريب وفيه  
ركاكة .

ونحوه رواه ابن جرير(١)، ثم شرع(٢) يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين واحد منها وبين الآخر ، وأن الجمع ممكن ، فهي أسماء للسور ، ومن أسماء الله تعالى يفتح بها السور ، فكل حرف منها دل على اسم من اسمائه ، وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه . قال : ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله ، وعلى صفة من صفاته ، وعلى مدة وغير ذلك ، (كما ذكره)(٣) الربيع بن أنس عن أبي العالية ، لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة ، كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد به الدين ، كقوله : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ [ الزخرف ٢٢،٢٣ ] وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ﴾ [ النحل ١٢٠ ] وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله : ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ [ القصص ٢٣ ] وقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ﴾ [ النحل ٣٦ ] وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة ﴾ [ يوسف : ٤٥ ] أي بعد حين على أصح القولين قال : فكذلك هذا .

هذا حاصل كلامه موجِّهاً(٤)، ولكن هذا ليس كما ذكره أبو العالية ، فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ، ولفظة الأمة وما أشبهه من الألفاظ المشتركة (في الاصطلاح)(٥)، إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام ، فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث فيها والله أعلم . ثم إن لفظ(٦) الأمة يدل على كل (من)(٧) معانيه في سياق الكلام بدلالة الوضع ، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا (٨) لا يفهم إلا بتوقيف ، والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم به .

وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر :

(١) لم يروه ابن جرير عن أبي العالية وإنما لم يجاوز به الربيع بن أنس أخرجه عنه ٨٨/١ ، وإسناده إليه حسن .

(٢) أي ابن جرير .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) أي الكلام ابن جرير في توجيه أثر أبي العالية وانظر التفسير ٧٢/١-٧٣ ط . المعرفة

(٥) ليست في العتيقة .

(٦) في الأصل : لفظة . والمثبت من العتيقة وهو الموافق لقوله : يدل .

(٧) زيادة من العتيقة وهي ضرورة لصحة المعنى .

(٨) زيادة من العتيقة .

قلنا لها : قفي فقالت : قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف (١)

تعني : وَفَقْتُ .

وقال الآخر :

ما للظلم عال كيف لا يا ينقد عنه جلده إذا يا(٢)

قال ابن جرير : كأنه أراد أن يقول : إذا يفعل كذا وكذا ، فاكتفى بالياء من يفعل(٣) ،  
وقال الآخر :

بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا (٤)

يقول : وإن شرا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تشاء ، فاكتفى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيةهما ،  
ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم .

(قال القرطبي : وفي الحديث : من أعان على قتل مسلم بشرط كلمة(٥) ... الحديث . قال شقيق(٦) :  
هو أن يقول في اقتل : اق(٧) .

وقال خصيف عن مجاهد أنه قال : فواتح السور كلها ق و ص و حم و طسم و الر وغير ذلك هجاء  
موضوع(٨) .

وقال بعض أهل العربية : هي حروف من حروف المعجم ، استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور  
عن ذكر بواقيها ، التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا ، كما يقول القائل : ابني يكتب في ا ب ت ث

(١) البيت للوليد بن عقبة (انظر تعليق أحمد شاكر على الطبري ٢١٢/١) وهو في شرح شواهد الشافية ٢٦٤ وقد ذكره ابن جرير وذكر  
شطره الأول القرطبي ويوجد اختلاف في رواية الشطر الأول منه ، والإيجاف : ضرب من سير الإبل والخيل سريع ومنه قوله تعالى ﴿فما  
أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ (انظر اللسان ٤٧٧٣/١).

(٢) البيت في شرح شواهد الشافية ٢٦٧ وابن جرير ٧٠/١ وعال : في النسختين غال بالغين والمثبت من ط والمصدرين السابقين والمراد  
الدعاء عليه من قولهم عال عوله أي ثكلته امه . كذا في الشرح .

(٣) أظن المراد والله أعلم ماللظلم عال ؟ والظلم فعمل بمعنى مفعول أي مظلوم وعال أي ذهب في البلاد ، ثم قال : كيف لا يعيل أي  
كيف لا يذهب في البلاد وإذا مكث ينقد عنه جلده أي يتمزق من شدة القهر والظلم فالأولى كيف لا يعيل والثانية إذا يمكث . والتقدير  
ما للظلم عال ؟! كيف لا يعيل ؟ ينقد عنه جلده إذا يمكث !

(٤) البيت في شرح شواهد الشافية ٢٦٢ ، وشواهد الكتاب لسبويه ٦٢/٢ ، والكامل للمبرد ٣٦٥ ، وابن جرير ٧٠/١ .

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٦٢٠ من حديث أبي هريرة وقامه : لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ، وقد ضعف إسناده  
البوصيري وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طرق وقال : هذه الأحاديث ليس فيها ماصح . وقال الألباني : ضعيف جدا (انظر  
مرويات ابن ماجه ٢٩٠).

(٦) كذا في النسختين وفي المصدر وهو تصحيف من سفيان فإن قائل ذلك هو سفيان بن عيينة راوي الحديث في بعض طرقه ( انظر  
المرجع السابق ) .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٨) أخرجه ابن جرير ٦٨/١ ، وإسناده ضعيف لإتمام شيخ ابن جرير وخصيف الجزري سعى الحفظ . وقد تقدم عن مجاهد غير هذا القول  
بسند صحيح .

أي : في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير(١) .

قلت : مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا ، وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن (٢) يجمعها قولك : نص حكيم قاطع له سر . وهي نصف الحروف عددا والمذكور منها أشرف من المتروك ، وبيان ذلك من صناعة التصريف .

(قال الزمخشري : وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ، ومن الرخوة والشديدة ، ومن المطبقة والمفتوحة ، ومن المستعلية والمنخفضة ، ومن حروف القلقة(٣) . وقد سردها مفصلة ، ثم قال : فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته ، وهذه الأجناس معدودة مكثورة بالمذكورة منها ، وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله(٤) .

ومن ههنا لحظ(٥) بعضهم في هذا المقام كلاما ، فقال : لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى . ومن قال من الجهلة : إنه(٦) في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية ، فقد أخطأ خطأ كبيرا ، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر ، فإن صح لنا عن المعصوم فيها(٧) شيء قلنا به ، وإلا وقفنا حيث وقفنا ، وقلنا : « آمننا به كل من عند ربنا » [ آل عمران ٧ ] .

ولم يجمع العلماء فيها (على)(٨) شيء معين ، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين . هذا مقام .

المقام الآخر : في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ، ما هي ؟ مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها . فقال بعضهم : إنما ذكرت لنعرف بها أوائل السور . حكاه ابن جرير(٩) . وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه ، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة .

وقال آخرون : بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين ، إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن ، حتى إذا استمعوا له تلا (١٠) أهلهم المؤلف منه .

(١) التفسير ٦٨/١ .

(٢) الحروف غير واضحة في الأصل وأثبتناها من العتيقة .

(٣) هذه بعض صفات الحروف والمهمس ضده الجهر والرخاوة ضدها الشدة والإطباق ضده الانفتاح والاستعلاء ضده الاستفال واما القلقة فلا ضد لها وانظر للتفصيل (هداية القاري ص ) .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة وانظر الجامع ١٣٥/١ .

(٥) في العتيقة : لخص .

(٦) في العتيقة : إن .

(٧) في العتيقة : لنا فيها عن المعصوم شيء .

(٨) ساقطة من الأصل .

(٩) التفسير ٦٩/١ .

(١٠) في الأصل : تلى .

حكاه ابن جرير(١) أيضا ، وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها ، بل غالبها ليس كذلك ، ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك . ثم إن هذه السورة والتي تليها \_ أعني البقرة وآل عمران \_ مدنيتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكره بهذه الوجوه .

وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله . هذا مع أنه (ركب)(٢) من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها . (وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد ، وجمع من المحققين(٣) . وحكى القرطبي عن الفراء ، وقطرب نحو هذا(٤) . وقرره الزمخشري في كتابه ونصره أتم نصر(٥) وإليه ذهب الشيخ العلامة أبو العباس(٦) أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية(٧) ، وشيخنا الحافظ الجهبذ الإمام أبو الحجاج المزني وحكاه لي عن أبي العباس .

قال الزمخشري(٨): ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيث ، كما كررت قصص كثيرة ، وكرر التحدي بالصریح في أماكن .

قال : وجاء منها على حرف واحد كقوله : ص ، ن ، ق . وحرفين : مثل حم . وثلاثة : مثل الم . وأربعة مثل : المر ، المص . وخمسة مثل : كهعيص ، حم عسق ، لأن تركيب كلامهم على هذا ؛ من الكلمات ماهو على حرف ، وعلى حرفين ، وعلى ثلاثة ، وعلى أربعة ، وعلى خمسة لا أكثر من ذلك.(٩)

ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته ، وهذا معلوم بالاستقراء ، وهو الواقع ولهذا يقول تعالى : ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [ البقرة ٢، ١ ] . ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه﴾ [ آل عمران ١-٣ ] ﴿المص . كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ [ الأعراف ٢، ١ ] ﴿الر . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم﴾ [ إبراهيم ١ ] ﴿الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب

(١) التفسير ٦٩/١ .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) مفاتيح الغيب ٦/٢ القول العاشر .

(٤) الجامع ١/١٣٤ .

(٥) الكشاف ١/٩٣-١٠٠ .

(٦) في العتيقة : أبو العباس بن أحمد بزيادة بن وهو خطأ .

(٧) لم يتعرض له صاحب دقائق التفسير .

(٨) الكشاف ١/١٠٤-١٠٥ .

(٩) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وليست في ط .

العالمين) [ السجدة ١، ٢ ]. (حم . تنزيل من الرحمن الرحيم) [ فصلت ١، ٢ ] (حم . عسق . كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) [ الشورى ١-٣ ] ، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر ، والله أعلم .

وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له ، وطار في غير مطاره ، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف ، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته .

وهو ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رياح قال : مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من اليهود ، فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله عليه «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» فقال : أنت سمعته ؟ . قال : نعم . قال : فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، ألم تذكر (١) أنك تتلو فيما أنزل عليك «الم ذلك الكتاب» فقال رسول الله ﷺ : بلى . فقالوا : جاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ فقال (٢) : نعم . قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك . فقال حيي بن أخطب \_ وأقبل على من كان معه \_ فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون . والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد هل مع هذا غيره ؟ فقال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : المص . قال : هذا أثقل وأطول الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد ستون (٣) ، فهذه إحدى وثلاثون ومائة (٤) سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذا ؟ قال : الراء . قال : هذا أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان (٥) سنة . فهل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم . المر . قال : فهذه أثقل وأطول الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندري أقلبها أم كثيرا . ثم قال : قوموا عنه ثم قال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ، ولئن معه من الأحبار : ما يدريكم ؟ لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة ، وإحدى

(١) في العتيقة : يذكر . وعليها ضبط بضم الباء وفتح الكاف .

(٢) في الأصل : فقالوا . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : سبعون . والمثبت من العتيقة وهو الموافق للمجموع وفي ابن جرير اختلاف هنا وفي المجموع . ومأثباته هو الموافق لعد الحروف فإن الصاد تقع بستين أ ب ج د ه و ز ح ط ي ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ، ك ل م ن ص ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ وهكذا .

(٤) تكررت في الأصل كلمة مائة فقال : ومائة ومائة سنة .

(٥) في الأصل : ومائتان والمثبت من العتيقة وابن جرير .

وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع سنين فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ [ آل عمران ٧ ] (١).

فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها ، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة ، وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم (٢) ، والله أعلم .

{ قال الطبراني : حدثنا فضيل بن محمد ، ثنا أبو نعيم ، ثنا أبو العميس سمعت الشعبي يقول : ( قال عبد الله ) : من قرأ عشر آيات من البقرة في بيت لم يدخله شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربعاً من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها { (٣)

#### ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾

قال ابن جريج : قال ابن عباس : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ : هذا الكتاب (٤) . وكذا قال مجاهد (٥) ، وعكرمة (٦) ، وسعيد بن جبير (٧) ، والسدي (٨) ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم (٩) ، وابن جريج (١٠) (أن) ذلك بمعنى هذا ، والعرب تقارض بين هذين الاسمين للإشارة (١١) فيستعملون كلا منهما مكان الآخر ، وهذا معروف في كلامهم .

(١) أخرجه ابن إسحاق انظر السيرة ١٩٤/٢-١٩٥ وضعفه السيوطي أيضا من هذه الطريق . وقول الحافظ ابن كثير مداره على محمد بن السائب وهو ممن لا يحتج بما انفرد به منتقض بروايته من طريق أخرى في مغازي يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وجابر بن رثاب به نحوه (انظر الإصابة ٤٤/٢ ، الدر المنثور ٥/٢) وهذا إسناد حسن انظر لتفصيل القول فيه ( صحيح السيرة ٤١/١-٤٢ ) وله شاهد عن ابن جريج مرسلأ أخرجه ابن المنذر في تفسيره (انظر الدر ٢٣/١ ، ١٣/٢).

(٢) لا مانع من ذلك شرعا أو عقلا إلا أن الحديث لا دلالة فيه على معنى الحروف المقطعة وإنما ذلك فهم فهمه اليهود من عند أنفسهم ربما كان صحيحا وربما كان خطأ والله أعلم .

(٣) ما بين المعكوفتين زيادة من النسخة ، والحديث في المعجم الكبير برقم ٨٦٧٣ وما بين القوسين منه وقد سبق تخريجه في أول السورة .

(٤) أخرجه ابن جريج ٧٤/١ ، وفي إسناده ضعف وانقطاع .

(٥) أخرجه ابن جريج ٧٤/١ ، وإسناده جيد . وشيخ ابن جريج هارون بن إدريس الأصبم الكوفي لم أقف له على أحد تكلم فيه إلا أن هذا الإسناد لتفسير مجاهد نسخة متكررة تؤكد الضبط .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٣ ، وابن جريج ٧٤/١ وإسناده صحيح .

(٧) علقه ابن أبي حاتم ٣٠/١ ، ولم أقف عليه سندا .

(٨) أخرجه ابن جريج ٧٤/١ ، وفي إسناده الحكم بن فهير الفزاري قال الحافظ : متروك (التقريب ١٤٤٥).

(٩) علقه ابن أبي حاتم عن مقاتل وزيد ٧٤/١ ولم أقف عليه مسندا .

(١٠) أخرجه ابن جريج ٧٤/١ في سياق أثر عباس المتقدم وإسناده ضعيف .

(١١) زيادة من العتيقة .

(١٢) في النسختين : الإشارة . وفي العتيقة : اسمي الإشارة . والمثبت تصحيح على هامش العتيقة .

وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة (١).

وقال الزمخشري : ذلك إشارة إلى الم كما قال تعالى : « لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » (٢) وقال تعالى : « ذلكم حكم الله يحكم بينكم » وقال : « ذلكم الله » وأمثال ذلك مما أشير به إلى ما تقدم ذكره والله أعلم.

وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبي (٣) وغيره أن ذلك إشارة إلى القرآن الذي وعد الرسول ﷺ بإنزاله عليه أو التوراة أو الإنجيل أو نحو ذلك ، في أقوال عشرة وقد ضعف هذا المذهب كثيرون ، والله أعلم (٤).

و « الكتاب » : القرآن . ومن قال : إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل ، كما حكاه ابن جرير (٥) وغيره ، فقد أبعد النجعة (٦) وأغرق في النزاع (٧) ، وتكلف ما لا علم له به .  
و الريب : الشك .

قال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : « لا ريب فيه » : لا شك فيه (٨).

وقاله أبو الدرداء (٩) ، وابن عباس (١٠) ، ومجاهد (١١) ، وسعيد بن جبير (١٢) ، وأبو مالك (١٣) .

(١) انظر فتح الباري ١٣/٥٠٥، ٥٠٣ .

(٢) انظر الكشاف ١/١٠٨-١٠٩ .

(٣) انظر الجامع ١/١٣٧ .

(٤) مابين القوسين زيادة من العتيقة وليست في ط .

(٥) في الأصل : جبير . والمثبت من العتيقة . وانظر التفسير ١/٧٥ .

(٦) بضم النون : هي الذهاب في طلب الكالأ في موضعه . (انظر اللسان ٦/٤٣٥٣) والمراد ذهب مذهبا بعيدا عن الصواب .

(٧) يقال للرجل إذا استنبط معنى آية قد انتزع معنى جيدا (انظر اللسان ٦/٤٣٩٦) والمراد أنه نخاص في معنى بعيد .

(٨) أخرجه ابن جرير ١/٧٥ ، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ وأخرجه ابن أبي حاتم ٣٣٥ في تفسير « وإن كنتم في ريب » ، وأخرجه الحاكم ٢/٢٨٦ مقتصرًا على ابن مسعود فقط وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت الذهبي . وهو حسن .

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٥) بلفظ : الريب . يعني الشك من الكفر . وإسناده فيه عبد الرحمن بن مسعود الفزاري لم يوثقه إلا ابن حبان . وأخرجه أيضا أحمد في الزهد ص ١٤١ وليس فيه الشاهد .

(١٠) أخرجه ابن جرير ١/٧٥ وإسناده حسن . وعلقه ابن أبي حاتم . وعزاه السيوطي أيضا لابن إسحاق (الدر ١/٢٤) وأخرجه ابن جرير كذلك بإسناد آخر عن ابن عباس بنحوه وفيه ضعف وانقطاع . وله طريق أخرى في مسائل نافع بن الأزرق عند الطستي (انظر الدر أيضا).

(١١) أخرجه ابن جرير ١/٧٥ وإسناده جيد .

(١٢) علقه ابن أبي حاتم ١/٣١ ولم أقف عليه مسندا .

(١٣) علقه ابن أبي حاتم ١/٣١ وسبق روايته لذلك عن ابن عباس .

ونافع مولى ابن عمر(١) ، وعطاء(٢) ، وأبو العالية(٣) ، والربيع بن أنس(٤) ، ومقاتل بن حيان(٥) ، والسدي(٦) ، وقتادة(٧) ، وإسماعيل بن أبي خالد(٨) . وقال ابن أبي حاتم : لا أعلم في هذا خلافا(٩) .

(وقد يستعمل الريب في التهمة . كما قال جميل :

بثينة قالت يا جميل أرتني فقلت كلانا يابثين مُريب(١٠)

ويستعمل أيضا في الحاجة كما قال بعضهم :

قضينا من تهماة كل ريب وخبير(١١) ثم أجمنا السيوف(١٢)(١٣)

ومعنى الكلام : أن هذا الكتاب - وهو القرآن - لا شك فيه أنه نزل(١٤) من عند الله ، كما قال في السجدة : ﴿ لم تنزل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [ السجدة ١ ، ٢ ] .

(وقال بعضهم : هذا خبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه)(١٥) .

ومن القراء من يقف على قوله : ﴿ لا ريب ﴾ ويندئ بقوله : ﴿ فيه هدى للمتقين ﴾ والوقف على ﴿ لا ريب فيه ﴾ أولى للآية التي ذكرناها ، ولأنه يصير قوله : ﴿ هدى ﴾ صفة للقرآن وذلك أبلغ من كون ﴿ فيه هدى ﴾ .

و﴿ هدى ﴾ : يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعا على النعت ومنصوبا على الحال .

(١) علقه ابن أبي حاتم ٣١/١ ولم أقف عليه مسندا .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٥/١ وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة .

(٣) علقه ابن أبي حاتم ٣١/١ ولم أقف عليه مسندا .

(٤) أخرجه ابن جرير ٧٥/١ وإسناده ضعيف لإبهام شيخ ابن جرير .

(٥) علقه ابن أبي حاتم ٣١/١ ولم أقف عليه مسندا .

(٦) أخرجه ابن جرير ٧٥/١ وإسناده ضعيف جدا للحكم بن ظهير متروك كما تقدم .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٦ وعنه ابن جرير ٧٥/١ وإسناده صحيح .

(٨) علقه ابن أبي حاتم ٣٧/١ ولم أقف عليه مسندا .

(٩) انظر التفسير ٣٧/١ .

(١٠) البيت في تفسير القرطبي ١٣٨/١ معزوا لجميل أيضا ، وبثين نداء مرخم يجوز فيه ضم النون ويجوز فتحها ( وانظر شرح ابن عقيل ٢٩٣/٢ ) وأراب الرجل صار ذا ريبة فهو مريب بالضم (انظر اللسان ١٧٨٨/١) .

(١١) في العتيقة : زجير . والتصويب من المصادر .

(١٢) البيت في تفسير القرطبي ١٣٨/١ ، وفي اللسان ١٧٨٩/٣ معزوا لكعب بن مالك الأنصاري ﷺ . وأجمنا السيوف : أي أرحناها من قولك أجم نفسك يوما أو يومين أي أراحها . (انظر اللسان ٦٨٧/١) .

(١٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١٤) في العتيقة : منزل .

(١٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

وخصت الهداية للمتقين كما قال : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ [ فصلت ٤٤ ] . ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [ الإسراء ٨٢ ] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن ، لأنه هو في نفسه هدى ، ولكن لا يناله إلا الأبرار ، كما قال : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [ يونس ٥٧ ] وقد قال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ هدى للمتقين ﴾ يعني : نور للمتقين (١) . وقال الشعبي : هدى من الضلالة (٢) .

وقال سعيد بن جبير : تبيان للمتقين (٣) . وكل ذلك صحيح .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ هدى للمتقين ﴾ قال : هم المؤمنون (٤) . وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد (بن أبي محمد) (٥) مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ للمتقين ﴾ أي : الذين يحدرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به (٦) .

وقال أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ للمتقين ﴾ قال : للمؤمنين الذين يتقون الشرك بي ، ويعملون بطاعتي (٧) .

وقال سفيان الثوري ، عن رجل ، عن الحسن البصري قوله : ﴿ للمتقين ﴾ قال : اتقوا ما حرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم (٨) .

وقال أبو بكر بن عياش : سألت الأعمش عن ﴿ المتقين ﴾ قال : فأجبت ، فقال لي : سل عنها الكلبي ، فسألته فقال : الذين يجتنبون كبائر الإثم ، قال : فرجعت إلى الأعمش ، فقال : نرى (٩) أي أنه كذلك ولم ينكره (١٠) .

(١) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وابن أبي حاتم ٥٦ ، ٥٧ وإسناده صحيح وعزه السيوطي أيضا لوكيع (انظر الدر ٢٤/١) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٩ وإسناده فيه ضعف لأجل ابن لهيعة وهو مدلس أيضا وقد عنعنه وفيه انقطاع بين عطاء بن دينار وسعيد .

(٤) أخرجه ابن جرير ٧٦/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .

(٥) زيادة من العتيقة . وهذا الأثر جاء بعد الذي يليه فيها .

(٦) أخرجه ابن جرير ٧٧/١ وابن أبي حاتم ٦٢ وإسناده جيد وعزه السيوطي لابن إسحاق ( الدر ٢٤/١) .

(٧) أخرجه ابن جرير ٧٧/١ وفيه انقطاع .

(٨) أخرجه ابن جرير ٧٧/١ وإسناده ضعيف .

(٩) في الأصل : ترى . والمثبت من العتيقة وابن جرير .

(١٠) أخرجه ابن جرير ٧٧/١ وإسناده صحيح .

وقال قتادة : « للمتقين » : هم الذين نعتهم بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة » الآية والتي ( ) بعدها (٢). واختار ابن جرير أن الآية تعم ذلك كله (٣) وهو كما قال .

وقد روى الترمذي وابن ماجه من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل ، عن عبد الله بن يزيد ، عن ربيعة بن يزيد ، وعطية بن قيس ، عن عطية السعدي قال : قال رسول الله ﷺ : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا (لما) (٤) به بأس . ثم قال الترمذي : حسن غريب (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا عبد الله بن عمران ، ثنا إسحاق بن سليمان يعني : الرازي ، عن المغيرة بن مسلم ، عن ميمون أبي حمزة قال : كنت جالسا عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له : أبو عفيف من أصحاب معاذ . فقال له شقيق بن سلمة : يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل ؟ قال : بلى . سمعته يقول : يحبس الناس يوم القيامة ، في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ، ولا يستتر . قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك ، وعبادة الأوثان ، وأخلصوا لله العبادة ، فيمرون إلى الجنة (٦) .

( ويطلق الهدى ويراد به ما يقر في القلب من الإيمان ، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله عز وجل قال الله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت » وقال : « ليس عليك هداهم » وقال : « من يضل الله فلا هادي له » وقال : « من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا » إلى غير ذلك من الآيات ، ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه ، قال الله تعالى : « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم » وقال : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » وقال : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » وقال : « وهديناه النجدين » على تفسير من قال : المراد به الخير والشر ، وهو الأرجح والله أعلم (٧) .

وأصل التقوى : التوقي مما يكره لأن أصلها وقوى من الوقاية .

(١) في الأصل : التي والمثبت من العتيقة .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٧/١ وابن أبي حاتم ٦٤ بنحوه وإسناده صحيح .

(٣) التفسير ٧٧/١ .

(٤)

(٥) الترمذي ٢٤٥١ ، ابن ماجه ٤٢١٥ وأخرجه أيضا أحمد في الورع ص ٤٨ ، وابن أبي حاتم ٦٠ والحاكم ٣١٩/٤ وغيرهم وقال الحاكم : صحيح الإسناد وسكت الذهبي وفي إسناده عبد الله بن يزيد الدمشقي قال الحافظ : ضعيف التقريب (٣٧١٤) والحديث قال فيه الألباني : ضعيف ( ضعيف ابن ماجه ص ٣٤٧ ) ولكن له شاهدان موقوفان بما يرتقي للحسن أحدهما عن ابن عمر علقه البخاري مجزوما به والآخر عن أبي الدرداء عند ابن أبي الدنيا في التقوى وأحمد في الزهد ٧٩ ، وفي الورع ٤٨ ، وانظر ( فتح الباري ٤٨/١ ) ، وانظر أيضا الدر ٢٤/١ ) .

(٦) التفسير ٦١ وفي إسناده أبو حمزة ميمون الأعور وهو ضعيف .

(٧) من بداية القوس إلى هنا غير موجود في ط .

قال النابغة :

سقط النَّصِيفُ ولم تُرد إسقاطه

فتناولته واتقتنا (٢) باليد (٢)

وقال الآخر :

فألقت فناعا دونه الشمس واتقت

بأحسن موصولين كفِّ ومعصم (٢)

وقد قيل إن عمر بن الخطاب سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقا ذا شوك ؟  
قال: بلى . قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت . قال : فذلك التقوى (٤) .  
وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خل الذنوب صغيرها  
واصنع كماش فوق أر  
وكبيرها ذاك التقى  
ض الشوك يحذر ما يرى  
لا تحقرن صغيرة  
إن الجبال من الحصى (٤)

وأنشد أبو الدرداء يوما :

يريد المرء أن يؤتى مناه  
يقول المرء فائدتي ومالي  
ويأبى الله إلا ما أرادا  
وتقوى الله أفضل ما استفادا (٢)

وفي سنن ابن ماجه عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : ما استفاد (المرء) (٢) بعد تقوى الله خيرا  
(له) (٨) من زوجة سالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب  
عنها نصحته في نفسها وماله (٢) (١٠٠) .

(١) في العتيقة : واتقتنا . والمثبت من ط .

(٢) ديوان النابغة ص ٣٤ ، والبيت في تفسير القرطبي منسوباً إليه ١٤٠/١ والنصيف هو خمار المرأة على رأسها .

(٣) البيت في تفسير القرطبي ١٤٠/١ غير منسوب والقناع هو غطاء الوجه للمرأة .

(٤) نقل ذلك القرطبي في تفسيره ١٤٠/١ ولم أف أف على القصة هكذا وإنما أخرج ابن أبي الدنيا في التقوى (انظر الدر ٢٥/١) ومن طريق  
البيهقي في الزهد الكبير ٣٥٠/٣-٣٥١ عن أبي صالح قال : قال لرجل لأبي هريرة فالتقوى ..... الخ فذكر نحوه . وفي إسناده هشام بن  
زياد وهو متروك .

(٥) تقدم ذكر هذه الأبيات وتخريجها .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٢٥/١ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/١٨٤، ١٨٣ من أربعة طرق عن أبي الدرداء به مع اختلاف  
يسير في بعضها وإسناده حسن ، وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي الدنيا في التقوى (الدر ٢٥/١) .

(٧) في المصدر : المؤمن .

(٨) زيادة من المصدر .

(٩) السنن ١٨٥٧ وفيه : إن امرها اطاعته وإن نظر إليها سرته وأخرجه أيضاً الطبراني ٧٨٨١ ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني قال  
الحافظ : ضعيف (التقريب ٤٨١٧) لكن للحديث شواهد يرتقي بها للحسن منها عن أبي هريرة عند الطبراني وغيره وقد حسنه المناوي  
وقال ابن حجر : في فتاويه : سنده ضعيف لكن له شاهد يدل على أن له أصلاً (انظر فيض القدير ٤١٩/٥) وانظر مصباح الرجاجة  
٩٧/٢ .

(١٠) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾

قال أبو جعفر الرازي ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : الإيمان التصديق (١) .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس ﴿ يؤمنون ﴾ : يصدقون (٢) .  
وقال معمر ، عن الزهري : الإيمان العمل (٣) .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ﴿ يؤمنون ﴾ : يخشون (٤) .

قال ابن جرير وغيره : والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً ، قال : وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان ، الذي هو تصديق القول بالعمل ، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله (٥) وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل (٦) .

قلت : أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن ، والمراد به ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ [ التوبة ٦١ ] وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [ يوسف ١٧ ] وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال كقوله : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [ الانشقاق ٢٥ - التين ٦ ] فأما إذا استعمل مطلقاً فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً . هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث (٧) وأوردنا (٨) الكلام فيها في أول شرح البخاري ، والله الحمد والمنة .

ومن (٩) فسره بالخشية لقوله (١٠) تعالى : ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ [ الملك ١٢ ] وقوله : ﴿ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ [ ق ٣٣ ] والخشية خلاصة الإيمان والعلم ، كما قال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [ فاطر ٢٨ ]

(١) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وإسناده ضعيف لإبهام شيخ ابن جرير .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ من طريق علي بن أبي طلحة وأخرجه ابن إسحاق ومن طريقه ابن جرير من طريق عكرمة أو سعيد بن جبير وإسناده حسن من الطريقتين .

(٣) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وإسناده حسن ، إسحاق بن الجراح هو الطاحوني المقرئ راوي التفسير وشيخ الطبري مكثر عنه ولا يعرف بجرح وجل روايته نسخ .

(٥) في الأصل : لله . والمثبت من العتيقة .

(٦) التفسير ٧٨/١ .

(٧) انظر جملة من تلك الأحاديث والآثار وكذا كلام الأئمة في كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٨) في العتيقة : أفردنا .

(٩) في العتيقة : ومنهم من .

(١٠) في العتيقة : كقوله .

( وقال بعضهم : يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة . وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون ﴾ وقال : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ فعلى هذا يكون قوله بالغيب حالا أي في حال كونهم غيبا من الناس (١) .

وأما الغيب المراد ههنا فقد اختلفت فيه عبارات السلف ، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد . قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ قال : يؤمنون بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وجمته وناره ، ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت ، وبالبعث فهذا غيب كله (٢) .

وكذا قال قتادة بن دعامة (٣) .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة ، وأمر النار وما ذكر في القرآن (٤) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ بالغيب ﴾ قال : بما جاء منه يعني من الله تعالى (٥) .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر قال : الغيب : القرآن (٦) .

وقال عطاء بن أبي رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب (٧) .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ قال : بغيب الإسلام (٨) .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال : بالقدر (٩) .

فكل هذه متقاربة بمعنى (١٠) واحد لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به .

وقال سعيد بن منصور : ثنا أبو (١١) معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٦٧ وإسناده حسن . وهو عند ابن جرير ٨٧/١ من كلام الربيع .

(٣) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ بإسناد صحيح .

(٤) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٥) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وإسناده حسن .

(٦) أخرجه ابن جرير ٧٨/١ وابن أبي حاتم ٦٩ وإسناده حسن .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٠ وإسناده صحيح .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٧١ وإسناده صحيح .

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٢ وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن جعفر ابن أبي نجيح السعدي .

(١٠) في العتيقة : في معنى .

(١١) في الأصل : ابن . والمثبت من العتيقة .

يزيد قال : كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فذكرنا أصحاب رسول الله ﷺ وما سبقوا به قال : فقال عبد الله : إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه ، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماننا أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾ إلى قوله ﴿ المفلحون ﴾ (البقرة ١-٥)

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه من طرق عن الأعمش به . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٢) .

وفي معنى هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد : ثنا أبو المغيرة ، ثنا الأوزاعي ، حدثني أسيد بن عبد الرحمن ، عن خالد بن دُرَيْك ، عن ابن محيريز (٣) قال : قلت لأبي جمعة (رجل من الصحابة) (٤) : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال : (نعم أحدثك حديثا جيدا ، تغدينا) (٥) مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال : يا رسول الله ! أحد خير منا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك . قال : نعم قوم ( يكونون ) (٦) من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني (٧) .

طريق أخرى : قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره ثنا عبد الله بن جعفر ، ثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، ثنا عبد الله بن صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، (عن صالح) (٨) بن جبيرة قال : قدم علينا أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ببيت المقدس يصلي فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة فلما انصرفنا (٩) خرجنا نشيعه فلما أراد الانصراف قال : إن لكم جائزة وحقا ، أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ . قلنا : هات رحمك الله . قال : كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا (١٠) معاذ بن جبل عاشر عشرة ، فقلنا : يا رسول الله ! هل من قوم أعظم أجرا منا ؟ آمننا بالله ، واتبعناك . قال : ما يمنعكم من

(١) السنن ١٨٠ بنحوه وإسناده صحيح وانظر ما يأتي .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦٦ والمستدرک ٢٦٠/٢ وقد سكت الذهبي على تصحيح الحاكم له .

(٣) في الأصل : جبيرة . والمثبت من العتيقة .

(٤) زيادة من المصدر .

(٥) في العتيقة مكان ما بين القوسين : كنا . وقد سقطت من الصلب جملة : كنا مع رسول الله ﷺ . وألحقت في الحاشية .

(٦) زيادة من المصدر .

(٧) المسند ١٠٦/٤ رقم ١٧٠١٨ وأخرجه أيضا برقم ١٧٠١٧ بنحوه مع اختلاف في سنده والحديث إسناده حسن وقد أخرجه الدارمي ٣٩٨/٢ وغيره من نفس هذه الطريق وقال الهيثمي : رجاله ثقات (المجمع ٦٩/١٠) وقال ابن حجر : إسناده حسن (فتح الباري ٦/٧) وصححه الألباني (انظر السلسلة الضعيفة ١٠٥/٢) وانظر ما بعده .

(٨) زيادة من العتيقة .

(٩) في العتيقة : انصرف .

(١٠) في الأصل : معنا ، والمثبت من العتيقة .

ذلك ، ورسول الله بين أظهركم ، يأتيكم بالوحي من السماء ، بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم أجرا منكم (١) مرتين .

ثم رواه من حديث ضمرة بن ربيعة ، عن مرزوق عن (٢) نافع ، عن صالح بن جبير ، عن أبي جمعة بنحوه (٣) .

وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوَجَادَة (٤) التي اختلف فيها أهل الحديث ، كما قررته في أول شرح البخاري ، لأنه مدحهم على ذلك ، وذكر أنهم أعظم أجرا من هذه الهيئة لا مطلقا .

وكذا الحديث الآخر الذي رواه الحسن بن عرفة العبدي ، ثنا إسماعيل بن عياش الحمصي ، عن المغيرة بن قيس التميمي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : أي الخلق أعجب إليكم إيمانا ؟ قالوا : الملائكة . قال : وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا : فالنبيون . قال : وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ قالوا : فنحن . قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : ألا إن أعجب الخلق إلي إيمانا لقوم (٥) يكونون من بعدكم ، يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها (٦) .

قال أبو حاتم الرازي : المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث (٧) .

قلت : ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره ، والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن أبي حميد \_ وفيه ضعف \_ عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٨) .

(١) في العتيقة : أعظم منكم أجرا .

(٢) في العتيقة : بن .

(٣) أخرجه أحمد ١٠٦/٤ من طريق صالح عن أبي جمعة به مختصرا كما سبق إلا أن الأوزاعي قال : صالح بن محمد وقال ابن عساكر : الصواب : صالح بن جبير (انظر التهذيب ٣٨٤/٤) وكذا أخرجه الحاكم ٩٥/٤ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي . وقد أخرجه أيضا مطولا كما هنا الطبراني ٢٣/٤ من الطريقتين المذكورين عن صالح به . وإسناده حسن وانظر ماتقدم وقال الحافظ ابن حجر : إسناده هذه الرواية أقوى من إسناده الرواية المتقدمة (الفتح ٧/٧) .

(٤) جاء في هامش العتيقة : الوجادة من وجد يجد وهو أن تقف على كتاب بخط شيخ فيه أحاديث ليس له رواية بما فيه . فله أن يقول : وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتاب فلان بخطه حدثنا فلان . ( وانظر لتفصيل ذلك وشروطه )

(٥) في الأصل : لقوما . والمثبت من العتيقة .

(٦) جزء الحسن بن عرفة رقم ١٩ ومن طريقه البيهقي في الدلائل ١٥٨/٦ وإسناده ضعيف وقد ضعفه الألباني (السلسلة ٦٤٧) ولكن قال السيوطي : له طرق كثيرة أوردتها في الأمالي (انظر التدریب ٦٤/٢) ومنها ما يأتي عن عمر وعن أنس وكذا يشهد له ماتقدم عن أبي جمعة فالأقرب تحسين الحديث ويؤيده جزم الحافظ ابن كثير به عن النبي ﷺ واستدل به على الوجادة انظر (الباعث الحثيث ص ١٠٨) .

(٧) الجرح والتعديل ٢٢٧/٧ وقد ذكره البخاري وسكت عنه (التاريخ ٣٢٦/٧) ، وابن حبان في الثقات (٩/ ١٦٨) فمثله يستشهد بحديثه ، وكذا إسماعيل بن عياش .

(٨) المسند ١٤٧/١ ، ١٤٨ ، والمستدرک ٩٦/٤ ، وتعقب الذهبي الحاكم بقوله : بل محمد بن أبي حميد ضعفه . وهو كما قال . وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢٣٨/٤ والبراز ٢٨٣٩ وقال الهيثمي : أحد إسناده البزار المرفوع حسن (المجمع ٦٥/١٠) وفيه ضعف إلا أن

وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعاً (١) والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : (ثنا أبي) (٢) ، ثنا عبد الله بن محمد المسندي ، ثنا إسحاق بن إدريس ، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاري ، أخبرني جعفر بن محمود ، عن جدته نويلة (٣) بنت أسلم قالت : صليت الظهر أو العصر في مسجد بني حارثة ، فاستقبلنا مسجد إيلياء (٤) فصلينا سجدتين ، ثم جاءنا من يخبرنا أن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام .  
قال إبراهيم : فحدثني رجال من بني حارثة أن رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك . قال : أولئك قوم آمنوا بالغيب (٥) . هذا حديث غريب من هذا الوجه (٦) .

### ﴿ و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾

قال ابن عباس : ﴿ و يقيمون الصلاة ﴾ أي : يقيمون الصلاة بفروضها (٧) .  
وقال الضحاك عن ابن عباس : إقامة الصلاة تمام (٨) الركوع والسجود والتلاوة والخشوع ، والإقبال عليها فيها (٩) .

وقال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها (١٠) .

ما تقدم يشهد له كما يظهر من كلام الحافظ ابن كثير ، وكذا يشهد له حديث أنس الآتي .

(١) أخرجه البزار (كشف الأستار ٢٨٤٠) وقال الهيثمي : فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيه فوثقه قوم وضعفه آخرون وبقية رجاله ثقات (المجمع ٦٥/١٠) وهو حسن ما قبله وقد روي أيضا من طرق أخرى منها عن بان عباس عند الطبراني ٨٧/١٢ وعن أبي صالح مرسلًا عند البيهقي في الدلائل وعن أبي هريرة عند أبي نعيم في أخبار أصبهان وآخر عند ابن عساکر وغير ذلك ( انظر السلسلة الضعيفة ١٠٢/٢-١٠٥ ) ، مختصر المختصر ٣١١/٢ .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) بالنون مصغرة وهي في المصدر بالتاء الفوقية وهو خطأ قال الحافظ : بالنون رواية إسحاق بن إدريس عن جعفر بن محمود والتي تقدمت - يعني التاء - رواية إبراهيم بن حمزة وهو أوثق (انظر الإصابة ١٣/١٥٦) .

(٤) يعني بيت المقدس .

(٥) التفسير ٧٣ ، وفيه : فتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال . وفيه أيضا : ونحن مستقبلوا البيت الحرام . وأخرجه ابن مردويه من هذه الطريق كما سيأتي عند آية تحويل القبلة ، وكذا أخرجه الطبراني ٤٣/٢٥ وقال الهيثمي : فيه إسحاق بن إدريس الأسواري وهو ضعيف متروك (المجمع ١٤/٢-١٥) إلا أن له طريقا أخرى فقد أخرجه الطبراني ٢٠٧/٢٤ وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٢٢٨/٦ وغيره من طريق إبراهيم بن حمزة الزبدي عن إبراهيم بن جعفر به ، وقال الهيثمي : رجاله موثوقون (المجمع ١٤/٢) وإسناده حسن إلا أن الشاهد غير مذکور فيه وهو قوله : " فحدثني رجال من بني حارثة... الخ "

(٦) لأجل الزيادة التي في آخره وهي ضعيفة جدا .

(٧) أخرجه ابن إسحاق (انظر السيرة ١٧٠/٢) ومن طريقه ابن جرير ٨٠/١ ، وابن أبي حاتم ٧٤ بنحوه وإسناده حسن .

(٨) في العتيقة : إتمام .

(٩) أخرجه ابن جرير ٨٠/١ وفي إسناده ضعف وانقطاع .

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٥ وإسناده حسن . وعزه السيوطي لعبد بن حميد (الدر ٢٧/١) .

وقال مقاتل بن حيان : إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فهذا إقامتها (١) .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس «ومما رزقناهم ينفقون» قال : زكاة أموالهم (٢) .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ «ومما رزقناهم ينفقون» قال : نفقة الرجل على أهله . وهذا قبل أن تنزل الزكاة (٣) .

وقال جوبير ، عن الضحاك : كانت النفقات قربانا ، يتقربون بها إلى الله (تعالى) (٤) على قدر ميسرتهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات ، سبع آيات في سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن الناسخات المثبتات (٥) .

وقال قتادة : «ومما رزقناهم ينفقون» : فأنفقوا مما أعطاكم الله ، هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم يوشك أن تفارقها (٦) .

واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات ؛ فإنه قال : وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين ، زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل وعيال وغيرهم ممن تجب عليهم (٧) نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك ، لأن الله عم وصفهم ومدحهم بذلك ، وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه (٨) .

قلت : كثيرا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال ، فإن الصلاة حق الله وعبادته ، وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه ، وتمجيده والابتهال إليه ودعائه والتوكل عليه . والإنفاق : هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم . وأولى الناس بذلك القرابات والأهلون والمماليك ، ثم الأجانب ، فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى : «ومما رزقناهم ينفقون» ، ولهذا ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : بني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت (٩) . والأحاديث في هذا كثيرة .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٦ وإسناده لا بأس به لأنه نسخة تفسير مقاتل .

(٢) أخرجه ابن جرير ٨١/١ وإسناده حسن ، وله طريق أخرى عن ابن عباس بنحوه أخرجه ابن جرير أيضا وابن أبي حاتم ٧٧ وإسناده حسن ، وانظر ما يأتي كذلك .

(٣) أخرجه ابن جرير ٨١/١ وانظر مشاعل التنوير ص ٦٣ وأخرجه ابن أبي حاتم ٧٨ عن السدي من قوله ..

(٤) ليست في العتيقة .

(٥) أخرجه ابن جرير ٨١/١ وإسناده ضعيف .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٩ وإسناده صحيح .

(٧) في العتيقة : عليه .

(٨) التفسير ٨١/١ .

(٩) البخاري ٨ ، ومسلم ١٦ .

وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء ، قال الأعشى :

لها حارسٌ لا يبرح الدهرَ بيَّتها      وإن دُبِحَتْ صلَّى عليها وزمَّما (١)

وقال أيضا :

وقابلها الريحُ في دَهَّها      وصلَّى على دَهَّها وارْتَسَمَ (٢)

أنشدهما ابن جرير مستشهدا على ذلك (٣) .

وقال الآخر ( وهو الأعشى أيضا ) (٤) :

تقول بِنْتِي وقد قَرَّبْتُ مرَّحَلًا      يارب جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا  
عليكِ مثلُ الذي صلَّيتِ فاغْتَمِضِي      نوما فَإِنَّ لِحْنِبِ المرءِ مُضْطَجَعَا (٥)

يقول : عليك من الدعاء مثل الذي دعيت (٦) لي .

وهذا ظاهر ، ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة ، في الأوقات المخصوصة ، بشروطها المعروفة ، وصفاتها وأنواعها المشهورة .

وقال (٧) ابن جرير : وأرى أن الصلاة ( المفروضة ) (٨) سميت صلاة ، لأن المصلي يتعرض لاستنجاح طَلْبَتِهِ (٩) من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه (فيها) (١٠) من حاجاته (١١) .

(وقيل : هي مشتقة من الصَّلَوَيْنِ إذا تحركا في الصلاة عند الركوع ، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفا) (١٢) عَجَبُ الذَّنْبِ (١٣) . ومنه سمي "المصلي" وهو التالي للسابق في حلبة الخيل (١٤) .

(١) ديوانه ص ٢٩٣ وهو عند ابن جرير كما سيأتي والبيت في الخمر أي لها حارس لا يفارقها طوال الوقت وإن دُبِحَتْ أي أزيل ختمها أخذ يدعو مخافة أن تكون فسدت . والزممة صوت الدعاء .

(٢) ديوانه ص ٣٥ ، وهو عند ابن جرير كما سيأتي وكذا القرطبي ١/١٤٦ ، واللسان ٤/٢٤٩٠ ، وقبله بيت : وصهباء طاف يهويها وأبرزها ، وعليها ختم ، والبيت في الخمر أيضا ، والمراد بقابلها الريح أي عند فتحها ، وأخذ يدعو مخافة أن تكون فسدت ، وارتمم أي كبر ودعا .

(٣) التفسير ١/٨٠ .

(٤) زيادة من (ح) .

(٥) ديوانه ص ١٠١ وهما عند القرطبي منسوبان إليه ١/١٤٦ . والثاني في اللسان ٤/٢٤٩٠ ، والأوصاب هي الأوجاع .

(٦) كذا والأشهر أن يقال : دعوت .

(٧) في العتيقة : قال :

(٨) زيادة من المصدر .

(٩) جاء في هامش العتيقة : الطلبة بكسر اللام ماطلبته من شيء .

(١٠) زيادة من المصدر .

(١١) التفسير ١/٨١ .

(١٢) في العتيقة : يكتنfan .

(١٣) عجب الذنب : آخر فقرات العمود الفقري في الظهر .

(١٤) جاء في هامش العتيقة : يقال : صلى الفرس إذا جاء مصليا وهو الذي يتلو السابق لأن رأسه عند صلاه . ( وانظر اللسان ١/٢٤٩١ ) .

وفيه (١) نظر . وقيل : هي مشتقة من الصُّلبي وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى : ﴿ لا يصلّاها ﴾ أي لا يلزمها ويدوم فيها إلا ﴿الأشقي﴾ [الليل ١٥] وقيل : مشتقة من تَصْلِيَةِ الخشبة في النار لتَقْوَم ، كما أن المصلي يَقْوَم عَوَجَه بالصلاة ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت ٤٥] ، واشتقاقها من الدعاء أصح وأشهر والله أعلم (٢) .  
وأما الزكاة فسيأتي الكلام عليها في موضعه إن شاء الله تعالى (٣) .

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾

قال ابن عباس : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ أي يصدقون بما جئت به من الله ، وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ماجاءهم به من ربهم . ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان (٤) .  
وإنما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا .

وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هاهنا ، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [القصص ٥٢-٥٤] ومن هم ؟ على ثلاثة أقوال حكاه ابن جرير (٥) :

أحدها : أن الموصوفين أولاً هم الموصوفون ثانياً ، وهم كل مؤمن ، مؤمنو العرب وأهل الكتاب وغيرهم . قاله مجاهد (٦) وأبو العالية (٧) والربيع بن أنس (٨) وقتادة (٩) .  
والثاني : هما واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب .

وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات كما قال تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾ (الأعلى ١-٥) وكما قال الشاعر :

(١) أي في اشتقاق اسم الصلاة من ذلك نظر . وهو كما قال .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٨٠ ، ٨٢ وابن جرير ٨١/١ ، ٨٢ وإسناده حسن وجاء بعده قوله : أي : لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك . أي يعني يعرض بدم كفار أهل الكتاب كما قال ابن جرير ٨٢/١ .

(٥) التفسير ٨٠ / ١ ، ٨١ .

(٦) يأتي تخريجه بعد قليل .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٨٧ وإسناده حسن .

(٨) أخرجه ابن جرير ٨٠/١ وإسناده ضعيف لاجتماع شيخ ابن جرير .

(٩) تقدم عند قوله للمتقين .

## إلى الملكِ القرم وابنِ الهمام وليثِ الكتيبةِ في المزدحمِ (١)

فعطفت الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد .

والثالث : أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب ، والموصوفون ثانياً بقوله : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » الآية ؛ لمؤمني أهل الكتاب . نقله السدي في تفسيره ، عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وأناس من الصحابة (٢) (٣) ، واختاره ابن جرير (٤) . ويستشهد لما قال بقوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » الآية [ آل عمران ١٩٩ ] وبقوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون »

وثبت في الصحيحين ، من حديث الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال : " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها " (٥) .

وأما ابن جرير فما استشهد على صحة ما قال إلا بمناسبة ، وهي أن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين ، فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين منافق وكافر ، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى صنفين عربي وكتابي (٦) .

قلت : والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد (٧) . ورواه غير (٨) واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين (٩) .

(١) البيت في الكشاف ١٣٣/١ وخزانة الأدب ٤٠٧/١ غير منسوب ، والقرم : بفتح القاف هو السيد المعظم وأصله الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه الهمام : عظيم الهمة ، وأراد بالكتيبة : الجيش ، والمزدحم : مكان المعركة .

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٩/١ ، ٨١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .

(٣) في الأصل : أصحابه . والمثبت من العتيقة .

(٤) التفسير ٨٠/١ .

(٥) البخاري ٩٧ ومسلم ١٥٤ وليس فيهما هذا اللفظ وإنما معناه .

(٦) انظر التفسير ٨٠/١ .

(٧) أخرجه ابن جرير ٨٠/١ وإسناده ضعيف لإبهام الرجل إلا أنه صحيح بما بعده . وعزاه السيوطي أيضا لوكيع ( الدر ٢٣/١ ) .

(٨) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة . ومنهم عيسى بن ميمون وشبل عند ابن جرير .

(٩) أخرجه ابن جرير ٨٠/١ وإسناده صحيح . وعزاه السيوطي للفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر ( الدر ٢٣/١ ) وعلقه القرطبي من طريق ابن جريج عن مجاهد ( الجامع ١٦٧/١ ) .

فهذه الآيات الأربع عامة في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي ، وكتابي ، من إنسي وجني ، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها ، فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وما جاء به من قبله من الرسل ، والإيقان بالآخرة كما أن هذا لا يصح إلا بذاك وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك كما قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ الآية [ النساء ١٣٦ ] وقال : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ الآية [ العنكبوت ٤٦ ] وقال : ﴿ يا أيها الذين أتوا الكتاب ﴾ (١) آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ﴾ [ النساء ٤٧ ] وقال : ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ [ المائدة ٦٨ ] وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله ﴾ الآية [ البقرة ٢٨٥ ] وقال : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم ﴾ (٢) أجورهم ﴾ [ النساء ١٥٢ ] وغير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسوله وكتبه . لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية ، وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصلا ، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الأجر مرتين . وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدم مجملا كما جاء في الصحيح : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم (وقولوا آمنا بالذي أنزل) (٣) إلينا وأنزل إليكم .

ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام (الذي) (٤) بعث به محمد ﷺ أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيشية ، فغيرهم قد يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلوا لهم والله أعلم .

﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

يقول تعالى : ﴿ أولئك ﴾ أي : المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب ، وإقام الصلاة والإنفاق من الذي رزقهم الله ، والإيمان بما أنزل إلى الرسول ومن قبله من الرسل ، والإيقان بالدار الآخرة وهو يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات .  
﴿ على هدى ﴾ أي : نور وبيان وبصيرة من الله تعالى .

(١) في الأصل : يأهل الكتاب . والمثبت من العتيقة وهو نص القرآن .

(٢) هكذا في النسختين بالنون وهي قراءة العشرة ماعدا حفص عن عاصم (انظر الإتحاف ص ١٩٥) .

(٣) في العتيقة : ولكن قولوا آمنا بما أنزل .

(٤) زيادة من العتيقة .

﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ أي : على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي : الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا (١) .

وقال ابن جرير : وأما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ فإن معنى ذلك أنهم على نور من ربهم ، وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم ، وتوفيقه لهم . وتأويل قوله : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي : المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسوله من الفوز بالثواب والخلود في الجنات والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب (٢) .

وقد حكى ابن جرير قولاً عن بعضهم أنه أعاد اسم الإشارة في قوله : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ الآية على ما تقدم من الخلاف . وعلى هذا فيجوز أن يكون قوله : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ مقتطعا مما قبله ، وأن يكون مرفوعاً على الابتداء وخبره ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ واختار أنه عائد إلى جميع من تقدم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب ، لما رواه السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، وعن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : أما ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ فهم المؤمنون من العرب ، ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ هم المؤمنون من أهل الكتاب . ثم جمع الفريقين فقال : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (٣) وقد تقدم من الترجيح أن ذلك صفة المؤمنين عامة ، والإشارة عائدة عليهم والله أعلم .

وقد نقل هذا عن مجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة (٤) رحمهم الله .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري ، ثنا أبي ، ثنا ابن لهيعة ، حدثني عبيد الله بن المغيرة ، عن أبي الهيثم \_ واسمه سليمان بن عبد (٥) \_ عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ وقيل له : يا رسول الله ! إنا نقرأ من القرآن فترجو ، ونقرأ فنكاد أن نأيس (٦) ، أو كما قال . قال : فقال : ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ إلى قوله : ﴿ المفلحون ﴾ هؤلاء أهل الجنة . قالوا : إنا نرجو أن نكون هؤلاء .

(١) أخرجه ابن جرير ، ابن إسحاق ( السيرة ١٧١/٢ ) ابن جرير ٨٣/١ ، وابن أبي حاتم ٨٤،٨٨ وإسناده حسن .

(٢) التفسير ٨٣/١ .

(٣) أخرجه ابن جرير ٨٢/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .

(٤) تقدم تخريج هذه الآثار في تفسير قوله : " والذين يؤمنون بما أنزل إليك " .

(٥) اسمه كاملاً سليمان بن عمرو بن عبد الليثي .

(٦) في الأصل : نياس . والمثبت من العتيقة وأصل تفسير ابن أبي حاتم وهي لغة في " نياس " وانظر اللسان ١٩٠/١ .

ثم قال : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ﴾ إلى قوله : ﴿ عظيم ﴾ هؤلاء أهل النار (قالوا) : لسننا هم يا رسول الله . قال : أجل (٢).

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ﴾

يقول تعالى : ﴿ إن الذين كفروا ﴾ أي غطوا الحق (٢) وستره وقد كتب الله عليهم ذلك سواء عليهم إنذارك وعدمه ، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس ٩٦، ٩٧] وقال في حق المعاندين من أهل الكتاب : ﴿ ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ الآية [البقرة ١٤٥] أي أن من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ، ومن أضله فلا هادي له ، ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ ، وبلغهم الرسالة فمن استجاب لك فله الحظ الأوفر ، ومن تولى فلا تحزن عليهم ، ولا يهمنك ذلك وإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب ، ﴿ إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول (٤) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ إن الذين كفروا ﴾ أي : بما أنزل إليك ، وإن قالوا : إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك ﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ﴾ أي : إنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق ، وقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يسمعون منك إنذارا وتحذيرا ، وقد كفروا بما عندهم من علمك (٤).

(١) ليست في المصدر .

(٢) التفسير ٨٦ وأخرجه مرة أخرى برقم ٩١ مختصرا وإسناده جيد إن كان عثمان بن صالح سمع من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه ، والأقرب أن روايته عنه منضبطة فهو الذي روى قصة احتراق بعض كتبه فلا شك أنه مميز فيما سمع منه ( انظر التهذيب ٣٧٦/٥ ) وقد صرح ابن لهيعة بالتحديث فأما تدليسه .

(٣) في الأصل : الكفر . وعليها شطب غير واضح . والمثبت من العتيقة .

(٤) أخرجه ابن جرير ٨٤/١ ، والطبراني ٢٥٤/١٢ ، والبيهقي في الاسماء والصفات ١٤٦ وإسناده حسن ، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم ولم أجده فيه ، وابن مردويه ( الدر ٢٨/١ ) ، وله شواهد كثيرة في معناه .

(٥) أخرجه ابن إسحاق ( السيرة ١٧١/٢ ) وابن جرير ٢٨٤/١ ، ابن أبي حاتم ٩٢ ، وإسناده حسن .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : نزلت هاتان الآيتان في قادة الأحزاب وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ (١) إبراهيم [٢٨،٢٩]

والمعنى الذي ذكرناه أولاً وهو المروي عن ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة أظهر ويفسر ببقية (٢) الآيات التي في معناها والله أعلم .

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً فقال : ثنا أبي ، ثنا يحيى بن عثمان بن صالح المصري ، ثنا أبي ، ثنا ابن لهيعة ، حدثني عبد الله بن المغيرة ، عن أبي الهيثم ، عن عبد الله بن عمرو قال : قيل : يا رسول الله إنا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ فنكاد أن نأيس (٣) . فقال : ألا أخبركم ؟ ثم قال : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ هؤلاء أهل النار . قالوا : لسنا منهم يا رسول الله ؟ قال : أجل . (٤)

(وقوله : ﴿ لا يؤمنون ﴾ محله من الإعراب أنه جملة مؤكدة للتي قبلها : ﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ أي هم كفار في كلا الحالين فهذا أكد ذلك بقوله : ﴿ لا يؤمنون ﴾ . ويحتمل أن يكون ﴿ لا يؤمنون ﴾ خبراً لأن تقديره : إن الذين كفروا لا يؤمنون . ويكون قوله : ﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ جملة معترضة والله أعلم (٥) .

﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾

قال السدي : ﴿ ختم الله ﴾ أي : طبع الله (٦) .

وقال قتادة في هذه (الآية) (٧) : استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه ، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون (٨) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٩٣ وإسناده حسن ، وأخرجه ابن جرير ٨٤/١ فلم يجاوز به الربيع . وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر (الدر ٢٩/١) .

(٢) في العتيقة : ويفسره بقية .

(٣) في الأصل : نياس والمثبت من العتيقة وأصل ابن أبي حاتم .

(٤) تقدم هذا الحديث بأطول منه . والكلام عن سنده . وهو في تفسير ابن أبي حاتم برقم ٩١ .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٩٧ عن السدي عن أبي مالك وإسناده ضعيف فيه هارون بن حاتم سئل عند أبو حاتم فقال : أسأل الله السلامة وانظر اللسان (١٧٧/٦-١٧٨) وعبد الرحمن بن أبي حماد المقرئ واسم أبي حماد " شكيل " لم أقف له على جرح أو تعديل وانظر (المرج والتعديل ٥/٢٤٤ ، تكملة الإكمال ٣/١٩٩) .

(٧) زيادة من العتيقة .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٩٨ ، وإسناده صحيح وعزاه السيوطي لعبد بن حميد (الدر ٢٩/١) .

وقال ابن جريج : قال مجاهد : « ختم الله على قلوبهم » قال : الطبع ، ثبتت (٢) الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه ، فالتقاؤها عليه الطبع ، والطبع الختم (٣) .

قال ابن جريج : الختم على القلب والسمع (٤) .

قال ابن جريج : وحدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشد (من) (٥) ذلك كله (٦) .

وقال الأعمش : أرانا مجاهد بيده فقال : كانوا يرون أن القلب في مثل هذا - يعني : الكف - فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه . وقال بأصبعه الخنصر هكذا ، فإذا أذنب ضم - وقال بإصبع أخرى ، فإذا أذنب ضم ، وقال بإصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها . قال : ثم يطبع عليه بطابع . قال مجاهد : وكانوا يرون أن ذلك : الرين (٧) .

ورواه (٨) ابن جرير عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن مجاهد بنحوه (٩) .

وقال (١٠) ابن جرير : وقال بعضهم : إنما معنى قوله : « ختم الله على قلوبهم » إخبار من الله عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق كما يقال : إن فلانا لأصم عن هذا الكلام إذا امتنع من سماعه ، (و) رفع نفسه عن تفهمه تكبرا (١١) .

قال : وهذا لا يصح ، لأن الله قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم (١٢) .

(قلت : وقد أطنب الزمخشري في تقرير ماره ابن جرير ههنا وتأول الآية من خمسة أوجه (١٣) ه وكلها ضعيفة جدا وماجرأه على ذلك إلا اعتزله (١٤) لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها

(١) في الأصل : بيت .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم ٩٩ ، وأخرجه ابن جرير ٨٧/١ بنحوه متصلا بما بعده وإسناده منقطع بين ابن جريج ومجاهد . وربما كانت الوساطة عبد الله بن كثير كما في الأثر بعد الآتي ويشهد له رواية الأعمش عن مجاهد فالأثر حسن .

(٣) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ متصلا بما قبله وإسناده ضعيف .

(٤) ليست في العتيقة .

(٥) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وإسناده ضعيف .

(٦) أخرجه ابن جرير ٨٧/١ وإسناده حسن وانظر ما بعده .

(٧) في الأصل : رواه . والمثبت من العتيقة .

(٨) التفسير ٨٧/١ وإسناده صحيح .

(٩) في العتيقة : قال .

(١٠) التفسير ٨٧/١ وما بين القوسين منه .

(١١) هذا معنى كلام باختصار انظر التفسير ٨٧/١-٨٨ .

(١٢) انظر الكشاف ١٥٥/١-١٦٣ .

(١٣) المعتزلة فرقة ضالة من أصولها ما يسمى بالعدل وقد بنوا عليه أن الله تعالى لم يخلق الشر ، وأن أفعال العباد هم الذين خلقوها ولم يخلقها الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا ، وقد تتبع ابن المنير الزمخشري في كشافه في مواضع اعتزله في كتاب سماه الإنصاف فيما تضمنه الكاشف من الاعتزال . وقد وصل الأمر بأبي حيان أن قال في الزمخشري قصيدة جاء في آخرها :

قبيح عنده ، يتعالى الله عنه في اعتقاده ، ولو فهم قوله تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وقوله : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا ، على تماديهم في الباطل وتركهم الحق ، وهذا عدل منه تعالى حسن . وليس بقبيح فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال والله أعلم.

قال القرطبي : وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل قد وصف نفسه بالخبث والطبع على قلوب الكافرين مجازة لكفرهم كما قال : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ (وذكر حديث قلب القلوب (٢) ، ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك (٣) . وذكر حديث حذيفة الذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال : تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخرة أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا (٤) . الحديث (٤) .

قال ابن جرير : والحق عندي في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ وهو ما حدثنا به محمد بن بشار ، ثنا صفوان بن عيسى ، ثنا ابن عجلان ، عن القعقاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع (واستغفر) (٥) .

لسوف يرى للكافرين مرافقا

لئن لم تداركه من الله رحمة

( انظر للتفصيل التفسير والمفسرون ١/٣٦٨-٤٧٢ ) .

(١) انظر الجامع ١/١٦٣ بنحوه .

(٢) قال : روى ابن ماجة عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال : مثل القلب مثل ريشة تقلبها الرياح بفلاة .١.هـ والحديث في السنن رقم ٨٨ ، وأخرجه احمد ٤/١٩٩ ، وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٧ وغيرها وقال الألباني : إسناده صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم ، ورمز السيوطي لصحته ، وقال العراقي : إسناده حسن (انظر فيض القدير ٢/٣) .

(٣) قال : ولهذا المعنى كان عليه الصلاة والسلام يقول : " اللهم يامثبت القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك " وهذا اللفظ ليس الذي ذكره الحافظ ابن كثير والحديث : أخرجه أحمد ٤/١٨٢ ، أخرجه ابن ماجة ١٩٩ والنسائي في الكبرى ٤/٤١٤ وابن حبان ٩٤٣ والحاكم ٢/٢٨٩ ، ٤/٣٢١ من حديث النواس بن سمعان مطولا بنحوه ، وصححه ابن حبان وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وسكت الذهبي ، وقال البوصيري : إسناده صحيح ( مصباح الزجاجة ١/٦٩ ) وصححه الألباني على شرط البخاري ومسلم ( ظلال الجنة ٢١٩ ، ٢٣٠ ) وفي بعض ألفاظه : يامثبت ، والأكثر : يامقلب وليس فيه على طاعتك وإنما على دينك . وإنما أخرج مسلم في صحيحه ٢٦٥٤ وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وفيه : ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك . وهو في المسند ٢/١٦٨ وغيره بلفظ : إلى طاعتك .

(٤) أخرجه مسلم ١٤٤ بلفظه ضمن حديث طويل . والنكتة : بضم النون وبالبناء المثناة الفوقية هي كل نقطة في شيء بخلاف لونه والصفة : الحجر الاملس الأبيض . وقوله : مربادا بضم الميم منصوب على الحال ، ومعناه لون بين السواد والغبرة . ومجخيا : بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة ثم خاء معجمة مكسورة ومعناه منكوسا (انظر شرح النووي ٢/١٧٢-١٧٣) .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٦) في النسختين : واستعجب . والمثبت من تفسير الطبري وغيره من مصادر التخريج .

سقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى (تعلو) قلبه فذلك الران الذي قال تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (٢) [المطففين ١٤] .

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد ، وابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن حاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم ثلاثتهم ، عن محمد بن عجلان به . وقال الترمذي : حسن صحيح (٣) .

ثم قال ابن جرير : فأخبر ﷺ أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص ، فذلك هو الختم والطبع الذي ذكره الله (تعالى) (٤) في قوله : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها ، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه (عنها) (٥) .

واعلم ان الوقف التام على قوله : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ .

وقوله : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ جملة تامة ، فإن الطبع يكون على القلب وعلى السمع ، والغشاوة \_ وهي الغطاء \_ تكون على البصر كما قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ (في قوله) (٦) : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ يقول : فلا يعقلون ولا يسمعون ، يقول : وجعل على أبصارهم غشاوة يقول : على أعينهم فلا يبصرون (٧) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبي ، حدثني عمي الحسين بن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ والغشاوة على أبصارهم (٨) .

(١) الذي في المصدر : يغلف . والمثبت من النسختين وجل مصادر التخريج ، ولعل الذي في المصدر : يغلق بالقاف وهو مصحف بدليل كلام ابن جرير بعده وكذا هي في بعض المصادر .

(٢) التفسير ٨٧/١ .

(٣) الترمذي ٣٣٣٤ ، النسائي في الكبرى ٥٠٩/١١٠/٦ ، ابن ماجه ٤٢٤٤ وأخرجه أيضا أحمد ٧٩٤١ ، ابن حبان ٢٠١/٣ ، ٢٧/٧ ، والحاكم ٤٥/١ ، ٥٦٢/٢ ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وسكت الذهبي . وصححه احمد شاكر والألباني ( صحيح ابن ماجه ٤١٧/٢) .

(٤) ليست في العتيقة .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) أخرجه ابن جرير ٨٩/١ ، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٨) التفسير ٨٨/١ ، وأخرجه أيضا ابن أبي حاتم ١٠٠ ، وإسناده مسلسل بالضعفاء .

وقال (١) : وثنا القاسم ، ثنا الحسين ، يعني ابن داود وهو سنيد(٢) \_ حدثني حجاج \_ وهو ابن محمد الأعور (٣) \_ حدثني ابن جريج قال : الختم على القلب والسمع ، والغشاوة على البصر ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [ الشورى ٢٤ ] وقال : ﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ [ الجاثية ٢٣ ] .

قال ابن جرير : ومن نصب غشاوة(٤) من قوله : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (فيحتمل أنه نصبها بإضمار فعل تقديره : وجعل على أبصارهم غشاوة)(٥) ، ويحتمل أن يكون نصبها على الإتيان ، على محل ﴿ وعلى سمعهم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وحوور عين ﴾ (٦) .  
وقول الشاعر:

علفتها(٨) تبنا وماء باردا حتى شئت همالاً عينها(٩)

وقال الآخر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفاً ورحماً(١٠)

تقديره : وسقيتها ماء باردا ، ومعتقلا رحماً (١١) .

لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة بأربع آيات ، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين ، شرع تعالى في بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويطنون الكفر ، ولما كان أمرهم يشتهه على كثير من

(١) في العتيقة : قال .

(٢) الاعتراض شرح من الحفاظ ابن كثير .

(٣) الاعتراض شرح من الحفاظ ابن كثير .

(٤) التفسير ٨٨/١ وإسناده ضعيف لضعف سنيد .

(٥) قراءة شاذة ، نسبها أبو حيان للحسن وغيره (انظر البحر ٤٩/١) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل وهو في العتيقة والمصدر .

(٧) لفظ ابن جرير : كما قال تعالى ذكره يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق ثم قال وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحوور عين فخفض اللحم والحوور على العطف به على الفاكهة اتباعاً لآخر الكلام أوله ومعلوم أن اللحم لا يطاف به ولا بالحوور . وهذا على قراءة من قرأ " وحوور عين " وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة ( انظر الاتحاف ص ٤٠٧) .

(٨) البيت يصف فيه الشاعر فرسه وقد ذكره أيضا القرطبي ١٦٦/١ ، وأبو حيان ٤٩/١ وغيرهما مقتصرين على الشطر الأول غير منسوب لقائله : وقد ذكره ابن جرير مرة أخرى بلفظ حتى غدت (١٢٥/٧) . والمراد بقوله : شئت همالاً عينها أي انهمر الماء من عينها كالمنظر (٩) البيت يصف فيه الشاعر فرسه وقد ذكره أيضا القرطبي ١٦٦/١ ، وأبو حيان ٤٩/١ وغيرهما مقتصرين على الشطر الأول غير منسوب لقائله . وقد ذكره ابن جرير مرة أخرى بلفظ : حتى غدت (١٢٥/٧) .

(١٠) البيت استشهاد الطبري والقرطبي في مواضع عديدة ونسبه القرطبي في ١٧٧/١٥ لأبي داود وانظر ( الخصائص ٤٣١/٢ ، الكامل ٣٤٤/١ ) وفي بعضها بالبيت زوجك ، وبعضها ورأيت بعلك ، وفي بعضها : قد غدا بدلا من في الوغى .

(١١) ( انظر التفسير ٨٨/١ ) وقد اختصر الحفاظ كلام ابن جرير اختصارا شديدا كما سبق بيان بعضه ، وتقدير الكلام في البيت الأول : علفتها تبنا وسقيتها ماء ، وفي البيت الثاني متقلدا سيفاً ومعتقلا رحماً ، لأن الماء لا يعلف والرمح لا يتقلد .

الناس أظن في ذكرهم بصفات متعددة ، كل منها نفاق ، كما أنزل سورة براءة فيهم وسورة المنافقين فيهم وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لأحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضاً فقال تعالى :

﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾

النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر ، وهو أنواع (١) :

اعتقادي : وهو الذي يخلد صاحبه في النار .

وعملي : وهو من أكبر الذنوب ، كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله ، وهذا كما قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه (٢).

وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية ؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق ، بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكراً ، وهو في الباطن مؤمن (٣) . فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج ، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب ، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم ، وكانوا ثلاث قبائل : بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس (٤) ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج (٥) ، وقل من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام (٦) ، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً ؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف ، بل قد كان عليه السلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة (٧) ، فلما كانت وقعة بدر العظمى ، وأظهر الله كلمته وأعلى الإسلام وأهله ، قال عبد الله بن أبي ابن سلول \_ وكان رأساً في المدينة ، وهو من الخزرج ، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية ، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم ، فجاءهم الخير ، وأسلموا واشتغلوا عنه فبقى في

(١) هكذا ، وهو نوعان فقط .

(٢) أخرجه ابن جرير ٩٠/١ وإسناده ضعيف .

(٣) ثبت ذلك في عدة نصوص من الكتاب والسنة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتنبئوا ﴾ وقوله : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ ومن هؤلاء المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وانظر فتح الباري ١٢/١٨٧ ، المستدرک ٢/٣٥٧ ، صحيح السيرة ٥٨/٢ ، ١١٤ )

(٤) النصوص الثابتة في ذلك كثيرة وانظر السيرة لابن هشام ٢١١/١ بإسناد صحيح .

(٥) انظر لإسلام من أسلم منهم ( صحيح السيرة ٢/٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ) .

(٦) انظر قصة إسلامه في البخاري ٣٦٩٩ .

(٧) انظر لموادعته ﷺ اليهود وغيرهم وطرق الوثيقة التي كتبها معهم ( السيرة النبوية الصحيحة ١/٢٧٢ - ٢٩٨ ) ، ( السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٣٠٦ - ٣١٨ )

نفسه من الإسلام وأهله (١) فلما كانت وقعة بدر قال \_ : هذا أمر قد توجه . فأظهر الدخول في الإسلام ، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب (٢) ، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد ، لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرها ، بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه ، رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة .

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» يعني : المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم (٣) .

وكذا فسرها بالمنافقين أبو العالية (٤) ، والحسن (٥) ، وقتادة (٦) ، والسدي (٧) . ولهذا نبه الله سبحانه ، على صفات المنافقين لئلا يغتر بظواهر أمرهم المؤمنون ، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ، ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر ، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير (٨) ، فقال تعالى : «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» أي : يقولون ذلك قولاً ليس وراءه شيء آخر كما قال : «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله» [ المنافقون ١ ] أي : إنما يقولون (٩) ذلك إذا جاءوك فقط لا في نفس الأمر ؛ ولهذا يؤكدون في الشهادة بأن ولام التأكيد في خبرها ، كما أكدوا قولهم : «آمنا بالله وباليوم الآخر» وليس الأمر كذلك ، كما أكذبهم في شهادتهم ، وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم بقوله : «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» [ المجادلة ١٨ ] وبقوله : «وما هم بمؤمنين» وقوله تعالى : «يخادعون الله والذين آمنوا» أي : بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان ، مع إسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك ، وأن ذلك نافعهم عنده ، وأنه يروج عليه ، كما قد يروج على بعض المومنين كما قال تعالى : «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون» [ المجادلة ١٨ ] ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله : «وما يخادعون (١٠) إلا أنفسهم وما يشعرون»

(١) انظر الخبر بذلك فيما أخرجه البخاري ٤٢٩٠ ، ومسلم ١٧٩٨ .

(٢) انظر الخبر بذلك فيما أخرجه البخاري ٤٢٩٠ .

(٣) أخرجه ابن إسحاق ( السيرة ١٧٢/٢ ) وابن جرير ٩٠/١ ، وابن أبي حاتم ١٠٤ وإسناده حسن .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ١٠٥ وإسناده حسن .

(٥) علقه ابن أبي حاتم ٤٦/١ ولم أقف على إسناده .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ١٧ ومن طريقه ابن جرير ٩٠/١ وغسناده صحيح . وعلقه ابن أبي حاتم ٤٦/١ .

(٧) علقه ابن أبي حاتم ٤٦/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن .

(٨) في الأصل : خيراً . والمثبت من العتيقة .

(٩) في الأصل : نقول . والمثبت من العتيقة .

(١٠) هكذا بألف بعد الحاء مع ضم الياء وكسر الدال قرأ به نافع وابن كثير وأبي عمرو ( انظر الإتحاف ١٢٨ ) وقرأ بقية السبعة وهم الكوفيون وابن عامر " يخادعون " بفتح الياء وسكون الحاء بعدها دال مفتوحة كما سيأتي ذكره . وهي قراءة سبعية .

يقول : وما يغرون بصنيعهم(١) هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم ، وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [ النساء ١٤٢ ] .  
ومن القراء من قرأ : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد .

قال ابن جرير : فإن قال قائل : كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية ؟

قيل : لا تمتنع العرب من أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره ، تقية لينجو مما هو له خائف ، مخادعا ، فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين ، بإظهاره ما أظهره(٢) بلسانه تقية ، مما يخلص به من القتل والسب والعداب العاجل ، وهو لغير ما أظهر مستبطن ، وذلك من فعله \_ وإن كان خداعا للمؤمنين في عاجل الدنيا \_ فهو لنفسه بذلك من فعله خادع ، لأنه يظهر لها بفعله ذلك بما أنه يعطيها أمنيته ، ويسقيها كأس سرورها ، وهو موردها ( به ) حياض عطبها ، ومجرعها به كأس عذابها ، (ومذيقها)(٣) من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به ، فذلك خديعته نفسه ، ظنا منه \_ مع إساءته إليها في أمر معادها \_ أنه إليها محسن ، كما قال تعالى : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ إعلاما منه عباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسقاطهم عليها ربحهم ، بكفرهم وشكهم وتكذيبهم ، غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على عمياء من أمرهم مقيمون(٤) .

وقال ابن أبي حاتم : أنا علي بن المبارك فيما كتب إلي ثنا زيد بن المبارك ، ثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج في قوله : ﴿ يخادعون الله ﴾ قال : يظهرون لا إله إلا الله ، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم ، وفي أنفسهم غير ذلك(٥) .

وقال سعيد : عن قتادة : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون(٦) إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ نعتُ المنافق عند كثير(٧) : ﴿ خَنِعٌ(٨) .

(١) في الأصل : بصنيعهم . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : أمر . والمثبت من العتيقة .

(٣) في النسختين ومزيها ، والمثبت من المصدر .

(٤) التفسير ٩١/١-٩٢ وما بين القوسين منه .

(٥) التفسير ١٠٧ وإسناده حسن .

(٦) هكذا وقد تقدم .

(٧) أي صفة المنافق عند كثير من الناس . وفي أصل تفسير ابن أبي حاتم كما ذكره المحقق : "عبد" بالموحدة وهو محتمل والمراد : نعت

المنافق أي صفته أنه عبد لكثير من الناس حسب هواه ومصالحته يخضع ويذل . والله أعلم .

(٨) في الهامش : الخنوع الخضوع والذل والخانع المرير الفاجر .

الأخلاق، يصدّق بلسانه ، ويُنكر بقلبه ، ويخالف بعمله ، يصبح على حال ، ويمسي على غيره ، ويمسي على حال ، ويصبح على غيره ، ويتكفأ(١) تكفأ السفينة كلما هبت ريح هب معها (٢).

﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾

قال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ في هذه الآية : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ ، قال : شك ﴿ فزادهم الله مرضا ﴾ قال : شك(٣).

وقال ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في ﴿ قلوبهم مرض ﴾ قال : شك (٤).

وكذلك قال مجاهد(٥) ، وعكرمة(٦) ، والحسن البصري(٧) ، وأبو العالية(٨) ، والربيع بن أنس(٩) ، وقتادة (١٠).

وعن عكرمة(١١) ، وطاوس(١٢) ، ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ يعني : الزنا(١٣).

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ قال : نفاق ﴿ فزادهم الله مرضا ﴾ قال : نفاق(١٤).

وهذا كالأول .

(١) أي يميل ويتقلب . انظر النهاية ١٨٢/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٠٨ بإسناد صحيح ، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد (انظر الدر ٢٩/١) .

(٣) أخرجه ابن جرير ٩٤/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٤) أخرجه ابن إسحاق ( السيرة ١٧٢/٢ ) وابن جرير ٩٤/١ ، وابن أبي حاتم ١١٢ وإسناده حسن وذكر ابن حجر تعليقا مثله من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( انظر الفتح ١٦٢/٨).

(٥) علقه ابن أبي حاتم ٤٨/١ ، ولم أقف له على إسناد .

(٦) علقه ابن أبي حاتم ٤٨/١ ولم أقف له على إسناد ، وما يأتي عنه خلاف ذلك .

(٧) علقه ابن أبي حاتم ٤٨/١ ولم أقف له على إسناد .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ١١٣ ، وإسناده حسن .

(٩) أخرجه ابن جرير ٩٤/١ وإسناده ضعيف .

(١٠) أخرجه ابن جرير ٩٤/١ وإسناده جيد .

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٠٩ وإسناده حسن ، وأخرج عنه من طريق آخر فيه ضعف برقم ١١٧ فزادهم الله مرضا قال : زنا .

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١١٠ بإسناد صحيح عنه بلفظ : ذلك في بعض أمور النساء .

(١٣) الرياء . وهو تصحيف وهذا التفسير أليق بقوله تعالى " فيطمع الذي في قلبه مرض " .

(١٤) أخرجه ابن جرير ٩٤/١ وابن أبي حاتم ١١١ مقتصرين على الشطر الأول فقط : وإسناده فيه ضعف وانقطاع . وله طريق آخر عن ابن عباس في مسائل الطستي (انظر الدر ٣٠/١) وإسنادها واه وقد ذكرها كلها تقريبا بإسنادها السيوطي في الاتقان (١٥٨/١) والثابت عن ابن عباس من طريق ابن إسحاق بسنده : فزادهم الله مرضا أي شكا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « في قلوبهم مرض » قال : هذا مرض في الدين ، وليس مرضا في الأجساد ، وهم المنافقون . والمرض : الشك الذي دخلهم في الإسلام « فزادهم الله مرضا » قال : زادهم رجسا ، وقرأ : « فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم » قال : شرا إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم (١) .

وهذا الذي قاله عبد الرحمن \_ رحمه الله \_ حسن ، وهو الجزء من جنس العمل ، وكذلك قاله الأولون وهو نظير قوله تعالى أيضا : « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » (قوله : « بما كانوا يكذبون ») وقرئ يكذبون (٢) ، وقد كانوا متصفين بهذا وهذا ، فإنهم كانوا كذبةً يكذبون بالغيب ، يجمعون بين هذا وهذا .

وقد سئل القرطبي (٣) وغيره من المفسرين ، عن حكمة كفه عليه السلام عن قتل المنافقين ، مع علمه بأعيان بعضهم ، وذكروا أجوبة عن ذلك منها : ما ثبت في الصحيحين أنه قال لعمر رضي الله عنه : أكره أن يتحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه (٤) . ومعنى هذا خشية أن يقع بسبب ذلك تنفير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام ، ولا يعلمون حكمة قتله لهم ، وأن قتله إياهم إنما هو على الكفر ، فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم فيقولون : إن محمدا يقتل أصحابه . قال القرطبي : وهذا قول علمائنا وغيرهم ، كما كان يعطي المؤلف مع علمه بسوء اعتقادهم (٥) . قال ابن عطية : وهي طريقة أصحاب مالك نص عليه محمد بن الجهم والقاضي إسماعيل والأبهرى وابن الماجشون .

ومنها : ما قال مالك : إنما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه . قال القرطبي : وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه ، وإن اختلفوا في سائر الأحكام .

قال : ومنها ما قال الشافعي : إنما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهره من الإسلام مع العلم بنفاقهم ؛ لأن ما يظهره يجب ما قبله .

(١) أخرجه مفرقا ابن جرير ٩٤،٩٥/١ وإسناده صحيح .

(٢) بالتشديد من التكذيب وهي قراءة سبعة . قرأ بها نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأما القراءة بالتخفيف فقرأ بها أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي ( انظر الإتحاف ١٢٩) .

(٣) انظر الجامع ١٧٣/١ .

(٤) البخاري ٤٦٢٢ ، مسلم ٢٥٨٤ بلفظ : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه . وأما اللفظ الذي ذكره الحافظ فدخل عليه أوله من حديث المنافقين في غزوة تبوك وسيأتي بعد قليل . وأما القرطبي فلم يذكر اللفظين وإنما ذكر لفظا آخر وهو : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي . وهذا اللفظ عند مسلم ١٠٦٣ في حديث آخر وهو حديث الخوارج .

(٥) ثبت هذا في غير ما حديث ومنها ما أخرجه مسلم ١٥٠ مرفوعا : إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله في النار .

ويؤيد هذا قوله عليه السلام في الحديث المجمع على صحته في الصحيحين وغيرهما: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل" (١).

ومعنى هذا : أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرا ، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة ، وإن لم يعتقدها لم ينفعه جريان الحكم عليه في الدنيا، وكونه كان خليط أهل الإيمان «ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتمكم الأماني» الآية [ الحديد ١٤ ] فهم يخالطونهم في بعض المحشر ، فإذا حقت المحقوية تميزوا منهم وتحلفوا بعدهم « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » [ سبأ ٥٤ ] ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم كما نطقت بذلك الأحاديث (٢). ومنها ما قاله بعضهم : إنما لم يقتلهم لأنه كان لا يخاف من شرهم مع وجوده عليه السلام بين أظهرهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ، فأما بعده فيقتلون إذا أظهروا النفاق وفعله وعلمه المسلمون . قال مالك : المنافق في عهد رسول الله ﷺ هو الزنديق (٣) اليوم .

قلت : وقد اختلف العلماء في قتل الزنديق إذا أظهر الكفر هل يستتاب أم لا ؟ أو يفرق بين أن يكون داعية أم لا ؟ أو يتكرر منه ارتداده أم لا ؟ أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعد أن ظهر عليه ؟ على أقوال متعددة ، موضع بسطها وعزوها وتقريرها كتاب الأحكام .

تنبيه : قول من قال : كان عليه السلام يعلم أعيان بعض المنافقين إنما مستنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الأربعة عشر منافقا في غزوة تبوك الذين هموا أن يفتكوا برسول الله ﷺ في ظلماء الليل ، عند عقبة هناك ، عزموا على أن ينفروا به الناقة ، ليسقط عنها فأوحى إليه أمرهم ، فأطلع على ذلك حذيفة (٤) ، ولعل الكف عن قتلهم كان مدرك من هذه المدارك أو غيرها والله أعلم .

فأما غير هؤلاء فقد قال الله تعالى : « ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » الآية ، وقال تعالى : « لعن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغيرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا » ففيها دليل على أنه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم ، وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى : « ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول » وقد كان من أشهرهم بالنفاق عبد الله بن أبي بن سلول ، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في

(١) البخاري ٢٥ ، مسلم ٢٢ عن ابن عمر .

(٢) مصداقا لقوله تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » وانظر من الأحاديث في ذلك حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ٤٦٣٥ ، ومسلم ١٨٣ .

(٣) الزنديق : الذي لا يؤمن بالآخرة ووحيدانية الخالق وهو لفظ فارسي معرب بمعنى القائل ببقاء الدهر ( انظر اللسان ١٨٧١/٣).

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٧٩ مختصرا إلا أن فيه اثنا عشر منافقا فيه الأربعة عشر وفيه القصة مفصلة فقد أخرجه الطبراني ، والضياء في المختارة ٢٢٢/٨ عن أبي الطفيل بإسناد صحيح . وقال الهيثمي : رجاله ثقات ( المجمع ١١٠/١).

صفات المنافقين(١)، ومع هذا لما مات صلى عليه رسول الله ﷺ وشهد دفنه(٢) كما يفعل ببقية المسلمين ، وقد عاتبه عمر بن الخطاب فيه(٣) فقال : إني أكره أن يتحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه(٤) . وفي رواية الصحيح : " إني خيرت فاخترت " (٥) . وفي رواية : " لو أعلم أني لو زدت على السبعين لغفر له لزدت(٦) " (٧) .

﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾

قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح(٨) ، عن ابن عباس ، وعن مرة الطيب ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله(٩) ﷺ : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ : أما ﴿ لا تفسدوا في الأرض ﴾ قال : الفساد هو الكفر ، والعمل بالمعصية(١٠) .  
وقال أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ قال : يعني لا تعصوا في الأرض . وكان فسادهم ذلك معصية الله لأنه من عصى الله في الأرض ، أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة (١١) .

وهكذا قال الربيع بن أنس(١٢) وقتادة (١٣) .

وقال ابن جريج عن مجاهد : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ قال : إذا ركبوا معصية الله قيل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا . قالوا : إنما نحن على الهدى مصلحون(١٤) .

- (١) يعني قوله : ﴿ لا تنفقوا على عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ وقوله : ﴿ لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل كما في الحديث الذي رواه البخاري في مواضع منها : ٤٦١٧ ، ومسلم ٢٧٧٢ عن زيد بن أرقم ﷺ .
- (٢) انظر الحديث عن ذلك فيما أخرجه البخاري ١٣٠٠ ، ٤٣٩٤ .
- (٣) أي في عبد الله بن أبي سلول عندما قال ﴿ لن رجعنا إلى المدينة ..... الخ .
- (٤) تقدم تخريج الحديث في ذلك وبيان لفظه الصحيح .
- (٥) البخاري ١٣٠٠ ، ٤٣٩٤ .
- (٦) نفس الموضوع السابق بلفظ : لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها .
- (٧) ما بين القوسين زيادة من ح .
- (٨) في الأصل : وأبي صالح . والمثبت من العتيقة .
- (٩) في العتيقة : النبي .
- (١٠) أخرجه ابن جرير ٦٧/١ ، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .
- (١١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٢١ وإسناده حسن .
- (١٢) أخرجه ابن جرير ٩٧/١ ، وعلقه ابن أبي حاتم ٥١/١ ، وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وإسناده حسن .
- (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥١/١ ، ولم أقف عليه موصولا .
- (١٤) أخرجه ابن جرير ٩٨/١ ، وإسناده ضعيف .

وقد قال وكيع ، وعيسى بن يونس ، وعثام بن علي ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله الأسدي ، عن سلمان الفارسي : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » قال سلمان : لم يجيء أهل هذه الآية بعد (١) .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، ثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثني أبي ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان في هذه الآية قال : ما جاء هؤلاء (٢) .

قال ابن جرير : يحتمل أن سلمان أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة ، أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ، لا أنه عني أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد (٣) .

قال ابن جرير : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد عملا إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته ، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا . فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم بفعلهم (٤) ذلك مصلحون فيها (٥) .

وهذا الذي قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض اتحاذ المؤمنين الكافرين أولياء ، كما قال تعالى : «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين . كما قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » [ النساء ١٤٤ ] ثم قال : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » [ النساء ١٤٥ ] فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين ، فكان الفساد من جهة المنافق حاصل ؛ لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ، ووالى الكافرين على المؤمنين . ولو أنه استمر على حالته الأولى (٦) لكان شره أخف ، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلق وأنجح ولهذا قال تعالى : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » أي : نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصطلح مع هؤلاء ، وهؤلاء كما قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس « وإذا قيل لهم لا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٢٣ ، ابن جرير ٩٧/١ ونسبه السيوطي لوكيع ( انظر الدر ٣٠/١ ) وفيه عباد بن عبد الله الأسدي قال الحافظ ضعيف ( التقريب ٣١٣٦ ) وانظر ما بعده .

(٢) التفسير ٩٧/١ وذكر زيد بن وهب في إسناده بدلا من عباد قد يكون من أوهم شريك أو ابنه عبد الرحمن خاصة وقد خالف من تقدم من الحفاظ الذين رووه عن الأعمش ولذا فلا يتقوى هذا الإسناد بالذي قبله فالأثر ضعيف .

(٣) التفسير ٩٧/١ بنحوه وهذا التأويل عن صح الأثر ولا يصح .

(٤) في الأصل : يفعلون ، والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٥) التفسير ٩٨/١ بنحوه .

(٦) في العتيقة : حاله الأولى . والأصح : الأولى .

تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴿ أي : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين ، وأهل الكتاب . يقول الله : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ (١) .  
يقول (٢) : ألا إن هذا الذي يعتمدونه ويزعمون أنه إصلاح ؛ هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا .

﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء  
ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾

يقول تعالى : وإذا قيل للمنافقين : ﴿ آمنوا كما آمن الناس ﴾ أي : كإيمان الناس بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والبعث بعد الموت ، والجنة والنار وغير ذلك ، مما أخبر المؤمنون به وعنه ، وأطيعوا الله ورسوله في أمثال الأوامر وترك الزواجر . قالوا : ﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ يعنون \_ لعنهم الله \_ أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم .

قاله أبو العالية (٣) ، والسدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة (٤) .

وبه يقول الربيع بن أنس (٥) ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٦) وغيرهم .  
يقولون : أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء .  
والسفهاء : جمع سفيه . كما أن الحكماء : جمع حكيم . (والحلماء : جمع حلِيم) (٧) . والسفيه : هو الجاهل الضعيف الرأي ، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ، ولهذا سمي الله النساء والصبيان سفهاء .  
في قوله : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ﴾ [النساء : ٥] قال عامة علماء السلف (٨) : هم النساء والصبيان .

(١) أخرجه ابن إسحاق انظر السيرة ١٧٢/٢ بدون إسناد ( وابن جرير ٩٨/١ ، وابن أبي حاتم ١٢٤ وإسناده حسن .

(٢) هذه من كلام الحافظ ابن كثير لا من الأثر السابق .

(٣) يعني قوله : يعنون أصحاب النبي ﷺ . فقط ل ما قبله وقد أخرجه ابن أبي حاتم ١٣٠ وإسناده حسن .

(٤) أخرجه ابن جرير ٩٩/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ وله طريق آخر عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم ١٢٩ وابن جرير ١٠٠/١ وفيه ضعف وانقطاع .

(٥) أخرجه ابن جرير ٩٩/١-١٠٠ وإسناده حسن .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٠٠/١ وإسناده صحيح .

(٧) زيادة من العتيقة .

(٨) هكذا في الأصل والذي في العتيقة : علماء التفسير . ومن روي عنه ذلك من السلف ابن عباس بسند حسن وله طريق أخرى عنه وابن مسعود وابن عمر وانظر ( الدر ١٣٤/٢ الأنوار) والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وأي تحقيق الآثار في ذلك عند الآية المذكورة إن شاء الله تعالى .

وقد تولى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها . فقال : « ألا إنهم هم السفهاء » فأكد وحصر السفاهة فيهم . « ولكن لا يعلمون » يعني : ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة ، والجهل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى .

﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون  
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾

يقول تعالى : وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين « قالوا آمنا » أي : أظهروا لهم الإيمان ، والموالاتة ، والمصافاة ، غرورا منهم للمؤمنين ، ونفاقا ومصانعة وتقية ، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغرم ، « وإذا خلوا إلى شياطينهم » يعني : وإذا انصرفوا ، أو ذهبوا ، أو خلصوا (١) إلى شياطينهم . فضمن « خلوا » معنى : انصرفوا ، لتعديته بإلى ، ليدل على الفعل المضمر ، والفعل الملفوظ به .  
ومنهم من قال : إلى هاهنا بمعنى : مع . والأول أحسن ، وعليه يدور كلام ابن جرير (٢) .  
وقال السدي ، عن أبي مالك : « خلوا » يعني : مضوا (٣) .

و « شياطينهم » : (يعني) (٤) سادتهم وكبرائهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود ، ورءوس المشركين والمنافقين .  
قال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي ﷺ : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » هم رؤوسهم في الكفر (٥) .  
وقال الضحاك ، عن ابن عباس : « وإذا خلوا إلى أصحابهم وهم شياطينهم » (٦) .  
وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو (٧) سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » من يهود الذين يأمرؤنهم بالتكذيب ، وخلاف ما جاء به الرسول (٨) .  
وقال مجاهد : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين (٩) .

(١) في الأصل : أخلصوا . والمثبت من العتيقة .

(٢) انظر التفسير ١٠١/١-١٠٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ١٣٥ ، وإسناده ضعيف سبق بيان وجه ضعفه عند قوله تعالى « ختم الله » .

(٤) ليست في العتيقة .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٠١/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير مطولا ١٠١/١ وابن أبي حاتم مطولا مفرقا بنحوه ١٣٣ ، وإسناده فيه ضعف وانقطاع .

(٧) في الأصل : أن . وهو تصحيف .

(٨) أخرجه ابن إسحاق ( انظر السيرة ١٧٢/٢ بدون إسناد ) وابن جرير ١٠١/١ ، وابن أبي حاتم ١٣٩ ، وعبد بن حميد ( انظر الفتح ١٦١/٨ ) وعلقه البخاري مجزوما به وإسناده صحيح وهو في تفسير مجاهد ص ٦٩٠ .

(٩) أخرجه ابن جرير ١٠١/١ وابن أبي حاتم ١٣٩ وعبد بن حميد ( انظر الفتح ١٦١/٨ ) وعلقه البخاري مجزوما به وإسناده صحيح وهو في تفسير مجاهد ص ٦٩٠ .

وقال قتادة: « وإذا خلوا إلى شياطينهم » قال: إلى رؤوسهم وقادتهم في الشرك والشر (١).

وبنحو ذلك فسره أبو مالك (٢)، وأبو العالية (٣) والسدي (٤)، والربيع بن أنس (٥).

قال ابن جرير: وشياطين كل شيء مردته (٦).

وتكون (٧) الشياطين من الإنس والجن، كما قال تعالى: « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين

الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » [ الأنعام ١١٢ ]

وفي المسند عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن. فقلت: يا

رسول الله! وللإنس شياطين؟ قال: نعم (٨).

وقوله تعالى: « قالوا إنا معكم » قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد

بن جبير، عن ابن عباس: أي إنا على مثل ما أنتم عليه «إنما نحن مستهزئون» أي: إنما نحن نستهزئ

بالقوم ونلعب بهم (٩).

وقال الضحاك، عن ابن عباس: (قالوا) (١٠) «إنما نحن مستهزئون» ساخرون بأصحاب محمد

ﷺ (١١).

وكذلك قال الربيع بن أنس (١٢) وقتادة (١٣).

وقوله تعالى جوابا لهم ومقابلة على صنيعهم: « الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون » قال ابن

جرير: أخبر تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة، في قوله: « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا

انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٣٨، وهذا لفظه وأخرجه ابن جرير ١٠١/١، وعبد بن حميد (انظر الفتح ١٦١/٨) من طرق عنه بنحوه، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٤٠ بلفظ بمعنى رؤوس اليهود وكعب بن الأشرف، وإسناده ضعيف.

(٣) علقه ابن أبي حاتم ٥٥/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن.

(٤) علقه ابن أبي حاتم ٥٥/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير ١٠١/١، وعلقه ابن أبي حاتم ٥٥/١، وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن.

(٦) التفسير ١٠٠/١ بنحوه.

(٧) في العتيقة: ويكون.

(٨) تقدم تخريجه في الاستعاذة.

(٩) أخرجه ابن إسحاق (انظر السيرة ١٧٢/٢ بدون إسناد) وابن جرير ١٠٢/١، وابن أبي حاتم ١٤١ وإسناده حسن.

(١٠) زيادة من العتيقة.

(١١) أخرجه ابن جرير ١٠٢/١ وابن أبي حاتم ١٤٢ وإسناده ضعيف منقطع.

(١٢) أخرجه ابن جرير ١٠٢/١ وعلقه ابن أبي حاتم ٥٦/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن.

(١٣) أخرجه ابن جرير ١٠٢/١ وإسناده صحيح.

وظاهره من قبله العذاب ﴿ الآية ﴾ ( [ الحديد ١٣ ] ، وقوله (٢) : ﴿ ولا يحسن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما (ولهم عذاب مهين) ﴾ [ آل عمران ١٧٨ ] .  
قال : فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره ، وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به ، عند قائل هذا القول ، ومتأول هذا التأويل .

قال : وقال آخرون : بل استهزأه بهم ، توبيخه إياهم ، ولومه لهم ، على ما ركبوا من معاصيه والكفر به .  
قال : وقال آخرون : هذا وأمثاله على سبيل الجواب ، كقول الرجل لمن يخذعه إذا ظفر به : أنا الذي خدعتك . ولم يكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه . قالوا : وكذلك قوله : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ !

﴿ والله يستهزئ بهم ﴾ على الجواب ، والله لا يكون منه المكر ولا الهزاء ، والمعنى : أن المكر والهزاء حاق بهم .

وقال آخرون : قوله : ﴿ إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ﴾ (٤) وقوله : ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [ النساء ١٤٢ ] وقوله : ﴿ فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾ [ التوبة ٧٩ ] و﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [ التوبة ٦٧ ] وما أشبه ذلك ، إخبار من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم ﴿ عقوبة الخداع ، فأخرج خبره عن جزائه ﴾ (٢) إياهم ، وعقابه لهم ، مخرج خبره عن فعلهم \_ الذي عليه استحقوا العقاب \_ في اللفظ \_ وإن اختلف المعنيان كما قال تعالى : ﴿ (جزاء) ﴾ (٢) سيئة سيئة مثلها ﴿ [ الشورى ٤٠ ] وقوله : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (بمثل ما اعتدى عليكم) ﴾ (٨) [ البقرة ١٩٤ ] ، فالأول ظلم ، والثاني عدل ، فهما وإن اتفق لفظهما ، فقد اختلف معناهما .

قال : وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك .

قال : وقال آخرون : إن معنى ذلك : أن الله أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا : إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم ، مستهزئون . فأخبر الله

(١) ليست في العتيقة .

(٢) في الأصل : وقال . والمثبت من العتيقة .

(٣) ليست في العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة والمصدر .

(٥) في الأصل : ويعاقبهم . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٦) في النسختين : جوابه . وعليها في العتيقة تعليق : جزائه . وهي كذلك في ح وفي المصدر .

(٧) زيادة من العتيقة والمصدر .

(٨) ليست في العتيقة والمصدر .

تعالى أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا ، يعني : من (عصمة) (١) دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة ، يعني : من العذاب والنكال .

ثم شرع ابن جرير يوجه هذا القول وينصره ، لأن المكر والخداع والسخرية \_ على وجه اللعب والعبث \_ منتفسي (٢) عن الله عز وجل بالإجماع ، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك (٣) .

قال : وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عباس .

ثنا أبو كريب ، ثنا عثمان ، ثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الله ﴾ يستهزئ بهم قال : يسخر بهم للنقمة منهم (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ قال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة (قالوا) (٥) : ﴿ يمدهم ﴾ : يملئ لهم (٦) . وقال مجاهد : يزيدهم (٧) .

(وقال تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ وقال : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ قال بعضهم : كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة ، هي في الحقيقة نقمة . وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (٨) .

قال ابن جرير : والصواب يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم . كما قال : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [ الأنعام ١١٠ ] (٩) . والطغيان : هو المجاوزة في الشيء . كما قال : ﴿ إننا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ [ الحاقة ١١ ] وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ : في كفرهم يترددون (١٠) .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في العتيقة : منفي . والأفصح أن يقال : منتف . بدون ياء .

(٣) جميع ماتقدم ذكره ابن جرير بمعناه في التفسير ١٠٣/١ - ١٠٤ .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) التفسير ١٠٤/١ وأخرجه أيضا ابن أبي حاتم ١٤٢ وإسناده فيه ضعف وانقطاع .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) أخرجه ابن جرير ١٠٤/١ وإسناده حسن .

(٨) أخرجه ابن جرير ١٠٤/١ وابن أبي حاتم ١٤٥ ، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ . وعزاه السيوطي للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ( انظر الدر ٣١/١ ) .

(٩) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١٠) التفسير بنحوه ١٠٥/١ .

(١١) أخرجه ابن جرير ١٠٥/١ وابن أبي حاتم مفرقا ١٤٨ ، وفيه ضعف وانقطاع .

وكذا فسره السدي بسنده عن الصحابة (١) .

وبه (٢) يقول أبو العالية (٣) ، وقتادة (٤) ، والربيع بن أنس (٥) ، ومجاهد (٦) ، وأبو مالك (٧) ، وعبد الرحمن بن زيد (٨) : في كفرهم وضاللتهم .

قال ابن جرير : والعمه : الضلال ، يقال : عمه فلان يعمه عمها وعموها : إذا ضل .

قال : وقوله : « في طغيانهم يعمهون » في ضلالهم (٩) وكفرهم ، الذي قد غمهم دنسه ، وعلاهم رجسه ، يترددون حيارى ، ضلالا ، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا ، لأن الله تعالى قد طبع على قلوبهم ، وختم عليها ، وأعمى أبصارهم عن الهدى ، وأغشاها فلا يبصرون رشدا ، ولا يهتدون سبيلا (١٠) .  
(وقال بعضهم : العمى في العين ، والعمه في القلب ، وقد يستعمل العمى في القلب أيضا ، قال الله تعالى : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ويقولون : عمه الرجل يعمه عموها فهو عمه وعامه ، وجمعه عمه . وذهبت إبله العمى : إذا لم يدر أين ذهبت (١١) (١٢) .

﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾

قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » قال : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى (١٣) .

(١) يعني تفسير قوله في طغيانهم أي في كفرهم وإنما تفسير يعمهون فيه : يتمادون . أخرجه ابن جرير ١٠٥/١ ، ١٠٦ ، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٢) المروي عن المذكورين تفسير في طغيانهم : في ضلالتهم . ويبدو أن الحافظ أبتز الوجهين وأحدا خلافا لابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ١٤٨ وإسناده حسن .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٠٥/١ ، وعلقه ابن أبي حاتم ٥٧/١ وإسناده صحيح .

(٥) أخرجه ابن جرير ١٠٥/١ وعلقه ابن أبي حاتم ٥٧/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٠٦/١ وإسناده صحيح وعلقه ابن أبي حاتم ٥٨/١ وهو في تفسير مجاهد ص ٧٠ وعزاه السيوطي أيضا للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٧) المروي عن أبي مالك في تفسير يعمهون ، وقد علقه ابن أبي حاتم ٥٨/١ ، ورواه السدي عنه عن ابن عباس تاما كما تقدم أخرجه ابن جرير ١٠٦/١ وإسناده حسن .

(٨) أخرجه ابن جرير ١٠٥/١ وإسناده صحيح .

(٩) في العتيقة : ضلالتهم . والمثبت من الأصل والمصدر .

(١٠) انظر التفسير ١٠٥/١ .

(١١) انظر الجامع للقرطبي ١٨٢/١ .

(١٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١٣) أخرجه ابن جرير ١٠٦/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .

وقال ابن إسحاق : عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو (عن) (١) سعيد عن ابن عباس : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » أي : الكفر بالإيمان (٢) .

وقال مجاهد : آمنوا ثم كفروا (٣) .

وقال قتادة : استحبوا الضلالة على الهدى (٤) . وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » [ فصلت ١٧ ] .

وحاصل قول المفسرين فيما تقدم : أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال ، واعتاضوا عن الهدى بالضلالة ، وهو معنى قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » أي : بذلوا الهدى ، ثمنا للضلالة ، وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم رجع عنه إلى الكفر ، كما قال فيهم : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم » [ المنافقون ٣ ] أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى ، كما قد يكون حال فريق (آخر) (٥) منهم ، فإنهم أنواع وأقسام . ولهذا قال تعالى : « فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (أي : ما رجحت صفقتهم في هذه البيعة ، وما كانوا مهتدين) (٦) أي : راشدين في صنعهم ذلك .

قال ابن جرير : ثنا بشر ، ثنا يزيد ، ثنا سعيد ، عن قتادة « فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة (٧) .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء (٨) .

﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾

(١) ليست في العتيقة .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ( انظر السيرة ١٧٣/٢ بدون إسناد ) وابن جرير ١٠٦/١ وابن أبي حاتم ١٥٣ وإسناده حسن .

(٣) أخرجه ابن جرير ١٠٦/١ وابن أبي حاتم ١٥٤ ، وإسناده صحيح وهو في تفسير مجاهد ص ٧٠ وعزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد ( الدر ٢٢/١ ) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٦٢/١ وابن جرير ١٠٦/١ وابن أبي حاتم ١٥٢ وإسناده صحيح وعزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد ( الدر ٣٢/١ ) .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(٧) التفسير ١٠٨/١ ، وإسناده صحيح وانظر ما بعده .

(٨) التفسير ١٥٧ وإسناده صحيح وانظر ما قبله .

(يقال : مَثَلٌ ومِثْلٌ ومِثِيلٌ \_ أيضا \_ والجمع أمثال ، قال الله تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت ٤٣] . (١)

وتقرير هذا المثل : أن الله سبحانه شبههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى ، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى بمن استوقد نارا ، فلما أضاءت ماحوله وانتفع بها ، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله ، وتأنس بها ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، وصار في ظلام شديد ، لا يبصر ولا يهتدي ، وهو مع ذلك أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى ، لو كان ضياءً لما أبصر ، فلماذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ؛ فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى ، واستحبابهم الغي على الرشد . وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع والله أعلم .

(وقد حكى هذا الذي قلناه فخر الدين الرازي في تفسيره عن السدي(٢) ، ثم قال : والتشبيه هاهنا في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بتعاميمهم(٣) ثانيا ، أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرة عظيمة ، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين(٤) .

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا ، لم يؤمنوا في وقت من الأوقات . واحتج بقوله تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ (٥) [البقرة ٨] .

والصواب : أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم ، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه ، وطبع على قلوبهم . ولم يستحضر ابن جرير رحمه الله هذه الآية ههنا وهي قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [المنافقون ٣] فلماذا وجه (ابن جرير(٦) هذا المثل بأنهم استضاءوا بما أظهره من كلمة الإيمان أي في الدنيا ، ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة .

قال : وضح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال : ﴿ رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ [الأحزاب ١٩] أي : كدوران عيني الذي يغشى عليه من الموت .

وقال تعالى : ﴿ ما(٧) خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ (٨) [لقمان ٢٨]

(١) مابين القوسين زيادة من ح .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٧٣/٢ ، والرواية عن السدي أخرجها مسنده ابن أبي حاتم ١٦٢ ، وإسنادها صحيح وسوف يأتي عنه بإسناده عن الصحابة .

(٣) كذا في العتيقة ، وفي ح : بنفاقهم .

(٤) مابين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) انظر التفسير ١١١/١ .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) في العتيقة : وما . وهو خطأ .

(٨) انظر التفسير ١٠٨/١ - ١٠٩ بنحوه .

( وقال تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » [ الجمعة ٥ ] . وقال بعضهم : تقدير الكلام : مثل قصتهم كقصه الذي استوقد نارا . وقال بعضهم : المستوقد واحد لجماعة معه .

وقال آخرون : الذي ههنا بمعنى الذين كما قال الشاعر :

وإن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالدٍ (١) (٢)

قلت : وقد التفت في أثناء المثل من الوحدة إلى الجمع ، في قوله : « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون » وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في النظام .

وقوله : « ذهب الله بنورهم » أي : ذهب عنهم بما ينفعهم ، وهو النور . وأبقى لهم ما يضرهم ، وهو الإحراق والدخان . وتركهم في ظلمات ، وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق ، لا يبصرون ولا يهتدون إلى سبيل خير ، ولا يعرفونها ، وهم مع ذلك صم ، لا يسمعون خيرا ، بكم ، لا يتكلمون بما ينفعهم ، عمي ، في ضلالة وعماية البصيرة ، كما قال تعالى : « فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور » [ الحج ٤٦ ] فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة .

ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه :

قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى : « فلما أضاءت ما حوله » زعم أن ناسا دخلوا في الإسلام مقدم نبي الله ﷺ المدينة ، ثم إنهم نافقوا ، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة ، فأوقد نارا فلما أضاءت له ما حوله ، من قذى أو أذى ، فأبصره حتى عرف ما يتقي منه ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى . فذلك المنافق كان في ظلمة الشرك ، فأسلم ، فعرف الحلال والحرام ، والخير والشر ، فبينما هو كذلك إذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشر (٣) .

(١) البيت في تفسير ابن جرير ١١٠/١ والجمل ٢٣٥/١ ، ومغني اللبيب ٢٥٦/١ غير منسوب ونسبه بعضهم للأخطل ( انظر المفصل في صنعة الإعراب ١٨٤/١ ) ورواه الأشهب بن رميلة بإسناده عن يحيى بن زياد ( انظر سر صناعة الإعراب ٥٣٦/٢ ) ونسبه بعضهم للأشهب وقيل غير ذلك ( انظر تعليق محمود شاكر على الطبري ١ / ٣٢٠ واللسان ) وפלج : واد قريب من البصرة كانت فيه هذه الواقعة التي ذكرها الشاعر هنا . والذي هنا أراد بما الذين وحذفت النون تحفيفا .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) أخرجه ابن جرير ١١٠/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

( وقال العوفي : عن ابن عباس في هذه الآية قال : أما ( ) النور فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به ، وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به . وهم قوم كانوا على هدى ، ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك (٢) (٣) .

وقال مجاهد : « فلما أضاءت ما حوله » أما إضاءة النار فيقباله إلى المؤمنين والهدى (٤) .

وقال عطاء الخراساني في قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » قال : هذا مثل المنافق يبصر أحيانا ، ويعرف أحيانا ، ثم يدركه عمى القلب (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عكرمة (٦) ، والحسن (٧) ، والسدي (٨) ، والربيع بن أنس (٩) نحو قول عطاء الخراساني .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » إلى آخر الآية . قال : هذه صفة المنافقين ، كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم ، فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار ، فتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٠) (١١) .

وأما قول ابن جرير فيشبهه مارواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » قال : هذا مثل ضربة الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ، ويوارثونهم ، ويقاسمونهم الفيء ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز ، كما سلب صاحب النار ضوءه (١٢) .  
(وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية : « مثلهم كمثل الذي (٣) استوقد ناراً » فإنما ضوء النار ما أوقدتها ، فإذا خمدت ذهب نورها ، وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الإخلاص بلا إله إلا الله ، أضاء له ، فإذا شك وقع في الظلمة (٤) .

(١) ليست في الأصل .

(٢) أخرجه ابن جرير ١١٠/١ ، وإسناده مسلسل بالضعفاء .

(٣) ما بين القوسين جاء ها هنا في العتيقة وفي ح . وهو الأنسب . وجاء في الأصل بعد أثر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الآتي .

(٤) أخرجه ابن جرير ١١١/١ وابن أبي حاتم ١٦١ ، وإسناده صحيح وهو في تفسير مجاهد ص ٧٠ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١٦٠ وإسناده جيد .

(٦) علقه ابن أبي حاتم ٦١/١ ، ولم أقف عليه مسندا

(٧) علقه ابن أبي حاتم ٦١/١ ، ولم أقف عليه مسندا .

(٨) علقه ابن أبي حاتم ٦١/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن وقد تقدم بمعناه مطولا .

(٩) علقه ابن أبي حاتم ٦١/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن وقد رواه بمعناه مطولا ابن جرير ١١١/١ .

(١٠) أخرجه ابن جرير ١١١/١ وإسناده صحيح .

(١١) ها هنا جاء في الأصل أثر العوفي عن ابن عباس السابق ذكره .

(١٢) التفسير ١١٠/١ وإسناده حسن وفيه زيادة ، وأخرجه أيضا ابن أبي حاتم ١٥٨ .

(١٣) ما بين القوسين سقط من الأصل .

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم ١٥٩ وإسناده حسن .

وقال الضحاك في قوله : « ذهب الله بنورهم » : فهو إيمانهم الذي تكلموا به (١) .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله » : فهي لا إله إلا الله ؛ أضاءت لهم ، فأكلوا بها وشربوا وأمنا في الدنيا ، ونكحوا النساء ، وحقنوا دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (٢) .

وقال سعيد ، عن قتادة في هذه الآية : المعنى : أن المنافق تكلم بلا إله إلا الله ، فأضاءت له في الدنيا ، فناكح بها المسلمين ، وغازاهم بها ، ووارثهم بها ، وحقن بها دمه وماله ، فلما كان عند الموت سلبها المنافق ؛ لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ، ولا حقيقة في عمله (٣) .

« وتركهم في ظلمات » قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وتركهم في ظلمات » : يقول : في عذاب إذا ماتوا (٤) .

وقال ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد ، عن ابن عباس : « وتركهم في ظلمات » : أي يبصرون الحق ويقولون به ، حتى خرجوا به من ظلمة الكفر (أطفئوه) (٥) بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم الله في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يستقيمون على حق (٦) .

وقال السدي في تفسيره بسنده (٧) : « وتركهم في ظلمات » : فكانت الظلمة نفاقهم (٨) .

وقال الحسن البصري : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » فذلك حين يموت المنافق ، فيظلم عليه عمله عمل السوء ، فلا يجد له عملا من خير عمل به ، يصدق به قول : لا إله إلا الله (٩) .

« صم بكم عمي » : قال السدي بسنده (١٠) « صم بكم » : فهم خرس « عمي » .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « صم بكم عمي » يقول : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه (١١) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٦٥ ، وإسناده حسن وله طريق آخر ، أخرجه ابن جرير ١١١/١ مطولا وفيه ضعف .

(٢) أخرجه ابن جرير ١١١/١ وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٣) أخرجه ابن جرير ١١٠/١ وإسناده صحيح وانظر ما قبله .

(٤) أخرجه ابن جرير ١١٠/١ ضمن الرواية المتقدمة وابن أبي حاتم ١٦٨ وإسناده حسن .

(٥) في النسخين : اطفئوا . والميت من المصدر وابن جرير ، وعند ابن أبي حاتم ( اطفئوا ) وهو تصحيف .

(٦) أخرجه ابن إسحاق ( انظر السيرة ١٧٣/٢ ) بدون إسناد وابن جرير ١١٠/١ ، وابن أبي حاتم ١٦٨ وإسناده حسن .

(٧) أي إلى الصحابة .

(٨) أخرجه ابن جرير ١١٠/١ وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ١٧١ وإسناده جيد فهو نسخة تفسير الحسن التي يرويها سرور بن المغيرة عن عماد بن منصور عنه كما أفاده ابن سعد في ترجمة سرور وقال : وكان معروفا ( الطبقات ٣١٥/٧ ) ، وقال أبو حاتم : شيخ ( الجرح ٣٢٥/٤ ) وذكره ابن حبان في الثقات .

(١٠) أي إلى الصحابة .

(١١) أخرجه ابن جرير ١١٤/١ ، وابن أبي حاتم ١٧٣ وإسناده حسن .

وكذا قال أبو العالية (١)، وقتادة بن دعامة (٢).

﴿ فهم لا يرجعون ﴾ : قال ابن عباس : أي لا يرجعون إلى هدى (٣).

وكذا قال الربيع بن أنس (٤).

وقال السدي بسنده (٥) : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾ : إلى الإسلام (٦).

وقال قتادة : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ أي : لا يتوبون ، ولا هم يذكرون (٧).

﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾

وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿ كصيب ﴾ والصيب المطر ؛ قاله ابن مسعود، وابن عباس ، وناس من الصحابة (٨) ، وأبو العالية (٩) ، ومجاهد (١٠) وسعيد بن جبير (١١) وعطاء (١٢) والحسن البصري (١٣) وقتادة (١٤) وعطية العوفي (١٥) وعطاء الخراساني (١٦) والسدي (١٧) والربيع بن أنس (١٨).

(١) لم أف عليه .

(٢) أخرجه ابن جرير ١١٤/١ ، وابن أبي حاتم ١٧٥ إسناده صحيح .

(٣) أخرجه ابن إسحاق (انظر السيرة ١٧٤/٢ بدون إسناده) وابن جرير ١١٤/١ ، وابن أبي حاتم ١٧٨ وإسناده حسن .

(٤) علقه ابن أبي حاتم ٦٥/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن .

(٥) أي إلى الصحابة .

(٦) أخرجه ابن جرير ١١٤/١ ، وإسناده حسن إلى ابن عباس وابن مسعود .

(٧) أخرجه ابن جرير ١١٤/١ وابن أبي حاتم ١٨٠ وإسناده صحيح . وعزاه السيوطي لعبد بن حميد ( الدر ٣٣/١ ) .

(٨) أخرجه ابن جرير ١١٥/١ عن السدي بإسناده إليهم وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣ .

(٩) علقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة هو حسن .

(١٠) أخرجه ابن جرير ١١٥/١ ، وعلقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ ، وإسناده صحيح وهو في تفسير مجاهد ص ٧٠ .

(١١) علقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ ولم أف عليه سنداً .

(١٢) هو ابن أبي رباح أخرجه ابن جرير ١١٥/١ وإسناده صحيح .

(١٣) علقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ ولم أف عليه مسنداً .

(١٤) أخرجه ابن جرير ١١٥/١ وعلقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ وإسناده صحيح .

(١٥) علقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ وأخرجه ابن جرير ١١٥/١ عنه عن ابن عباس بالإسناد العوفيين المسلسل بالضعفاء .

(١٦) علقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ ولم أف عليه مسنداً .

(١٧) علقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن .

(١٨) أخرجه ابن جرير ١١٥/١ وعلقه ابن أبي حاتم ٦٦/١ وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن .

وقال الضحاك : هو السحاب (١) .

والأشهر هو : المطر نزل ﴿من السماء﴾ ، في حال ﴿ظلمات﴾ وهي : الشكوك والكفر والنفاق .  
﴿ورعد﴾ وهو : ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع ، كما قال  
تعالى : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ [ المنافقون ٤ ] وقال : ﴿ ويلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم  
ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يمحون ﴾ [التوبة ٥٦] .

والبرق : هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان ، من نور الإيمان ولهذا قال:  
﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ أي : لا يجدي عنهم  
حذرهم شيئا لأن الله محيط بهم بقدرته ، وهم تحت مشيئته وإرادته ، كما قال : ﴿ هل أتاك حديث  
الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط ﴾ [ البروج ١٧-٢٠ ] . (٢)  
ثم قال : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ أي : لشدته وقوته في نفسه ، وضعف بصائرهم وعدم ثباتها  
للإيمان (٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ يقول : يكاد يحكم القرآن  
يدل على عورات المنافقين (٤) .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :  
﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ أي : لشدة ضوء الحق ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾  
أي : كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه ، وتارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم  
فوقفوا حائرين (٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٨٢ وفي إسناده جويبر وهو ضعيف جدا .

(٢) لم يفسر الحافظ ابن كثير قوله : يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت . فكتب أحد النساخ حاشية كما في العتيقة  
قال : والصواعق : جمع صاعقة ، وهي نار تنزل من السماء وقت الرعد الشديد ، وحكي الخليل بن أحمد عن بعضهم : ساعقة ، وحكي  
بعضهم صاعق وصعقة وصاعقة ، ونقل عن الحسن البصري أنه : قرأ " من الصواعق حذر الموت " بتقديم القاف وأنشدوا لأبي النجم :  
يكون بالمصقولة القواطع تشقق البرق عن الصواعق

قال النحاس : وهي لغة بني تميم وبعض بني ربيعة ، حرر ذلك القرطبي في التفسير . ١. هـ

وقد ظنها بعض النساخ من كلام ابن كثير فألحقها في النص كما في النسخة ، وألحقها السلامة في طبعته ، وهو خطأ والصواب ما ذكرته  
كما في سائر النسخ ، وقد نبه على ذلك أيضا الحويني .

(٣) يلاحظ أن الحافظ ابن كثير أعرض عن الآثار الواردة في تفسير الرعد والبرق لعدم تعلقها هنا بمعنى الآية والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن جرير ١٢٠/١ مطولا وابن أبي حاتم ٢٠٤ مقتصرا على هذا الجزء وإسناده حسن .

(٥) انظر السيرة ١٠٩/١ بدون إسناد ، وأخرجه من طريقه ابن جرير ١١٩/١ ، وابن أبي حاتم ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ وإسناده

حسن .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «كلما أضاء لهم مشوا فيه» يقول: كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه، وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: «ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به» (الآية) (٢)

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد، عن ابن عباس «كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا» أي: يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم في قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي: متحيرين (٣).

وهكذا قال أبو العالية (٤)، والحسن البصري (٥)، وقتادة (٦)، والربيع بن أنس (٧) (٨)، والسدي بسنده عن الصحابة (٩)، وهو أصح وأظهر، والله أعلم.

### (((( آخر التحقيق مع التخريج ))))

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم؛ فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك، وأقل من ذلك. ومنهم من يطفأ نوره تارة، ويضيء له أخرى، فيمشي (١٠) هلى الصراط تارة، ويقف أخرى. ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخالص من المنافقين الذين قال الله فيهم: «يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» [الحديد ١٣] وقال في حق المؤمنين: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات» الآية وقال: «يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير» [التحريم ٨].

ذكر الحديث الوارد في ذلك:

- (١) ليست في العتيقة.
- (٢) أخرجه ابن جرير ١٢٠/١ مطولا كما تقدم وابن أبي حاتم ٢٠٩ مقتصر على هذا الجزء وإسناده مقتصر على هذا الجزء حسن وعزاه وإسناده حسن وعزاه السيوطي أيضا لابن المنذر ( الدر ٣٢/١).
- (٣) تقدم تخريجه وهذا لفظ رواية ابن أبي حاتم ٢١٠.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١١ وإسناده حسن.
- (٥) علقه ابن أبي حاتم ٧٥/١ ولم أقف عليه مسندا.
- (٦) أخرجه عبد الرزاق ٦٢/١ وابن جرير ١٢٠/١ وإسناده صحيح، وعلقه ابن أبي حاتم ٧٤/١.
- (٧) أخرجه ابن جرير ١٢٠/١، وعلقه ابن أبي حاتم ٧٤/١، وهو موصول بالإسناد المذكور في المقدمة وهو حسن.
- (٨) زيادة من العتيقة.
- (٩) أخرجه ابن جرير ١١٩/١، وانظر مشاعل التنوير ص ١٦٣.
- (١٠) كذا في الأصل وفي العتيقة: ومنهم من يمشي.

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات » الآية [ الحديد ١٢ ] : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن ، أو بين صنعاء ودون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه . رواه ابن جرير .  
ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داؤد القطان ، عن قتادة بنحوه .

وهذا كما قال المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله بن مسعود قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم ، وأدناهم نورا على إبهامه يطفأ مرة ويقدم مرة .

هكذا رواه ابن جرير عن ابن مثنى ، عن ابن إدريس ، عن أبيه عن المنهال .

(و) قال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا علي بن محمد الطنافسي (٢) ، ثنا ابن إدريس سمعت أبي يذكر (٣) عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله : « نورهم يسعى بين أيديهم » [ التحريم ٨ ] قال : على قدر أعمالهم يمرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، وأدناهم نورا من نوره في إبهامه ، يتقدم مرة ويطفأ أخرى .

وقال ابن أبي حاتم (أيضا) (٤) : ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، ثنا أبو يحيى الحماني ، ثنا عتبة بن اليقظان (٥) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نورا يوم القيامة ، فأما المنافق فيطفأ نوره ، فالؤمن مشفق (٦) مما يرى من إطفاء نور المنافقين ، فهم يقولون : « ربنا أتم لنا نورنا » .

وقال الضحاك بن مزاحم : يعطى كل من كان يظهر الإيمان في الدنيا يوم القيامة نورا ، فإذا انتهى إلى الصراط طفق نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا ، فقالوا : « ربنا أتم لنا نورنا » .  
فإذا تقرر هذا صار الناس أقساما : مؤمنون خلص ، وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة ، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ، ومنافقون وهم قسمان خلص ؛ وهم المضروب لهم المثل الناري ، ومنافقون مترددون (٧) ، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان ، وتارة يجبو ، وهم أصحاب المثل (٨) المائي ، وهم أخف حالا من الذين قبلهم .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : الطيالسي . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : بكر . والمثبت من العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) في الأصل : القطان . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : يشفق . والمثبت من العتيقة .

(٧) في العتيقة : يترددون .

(٨) في الأصل : الشك . والمثبت من العتيقة .

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور ، من ضرب مثل المؤمن ، وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور ، بالمصباح في الزجاج التي كأنها كوكب دري ، وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان ، واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط ، كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله .

ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء ، وليسوا على شيء ، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ [النور ٣٩] الآية . ثم ضرب مثل الكفار الجهال (١) الجهل البسيط وهم الذين قال فيهم : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ [النور ٤٠] فقسم الكفار ههنا إلى قسمين : داعية ومقلد كما ذكرهما في أول سورة الحج ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [الحج ٨] . وقال (٢) ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [الحج ٣] وقد قسم تعالى المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الإنسان إلى قسمين : سابقون وهم المقربون ، وأصحاب يمين وهم الأبرار .

فتخلص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار ، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون . وأن المنافقين أيضا صنفان : منافق خالص ، ومنافق فيه شعبة من نفاق . كما جاء في الصحيحين : عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : " ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان " .

استدلوا به على أن الإنسان قد يكون فيه شعبة من إيمان ، وشعبة من نفاق ، إما عملي لهذا الحديث ، أو اعتقادي كما دلت عليه الآية ، كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض العلماء ، كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : ثنا أبو النضر ، ثنا أبو معاوية يعني شيبان ، عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : " القلوب أربعة ؛ قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجة (٣) فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، (وأما القلب المنكوس فقلب المنافق

(١) في الأصل : الجهال الكفار . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : وقال بعده . والمثبت من العتيقة . والآية المذكورة قبل الآية تلك فلا يصح أن يقال : بعده .

(٣) في الأصل : سراج . والمثبت من العتيقة .

الخالص ( ) ، عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه ( ) كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم ، فأبي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه .

وهذا إسناد ( ) جيد حسن .

وقوله : « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير »

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » قال : لما تركوا من الحق بعد معرفته . « إن الله على كل شيء قدير » قال ابن إسحاق : أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير ( ) . وقال ابن جرير : إنما وصف الله نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع ؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير ، ومعنى « قدير » : قادر . كما أن معنى « عليم » : عالم .

( وذهب ابن جرير الطبري ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثليين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون " أو " في قوله : « أو كصيب من السماء » بمعنى الواو كقوله : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » [ الإنسان ٢٤ ] أو تكون للتخيير أي : اضرب لهم مثلا بهذا وإن شئت بهذا ، قاله القرطبي . أو للتساوي مثل : " جالس الحسن أو ابن سيرين " ، على ما وجهه الزمخشري ؛ أن كلا منهما مساو للآخر في إباحة الجلوس إليه ، ويكون معناه على قوله : سواء ضربت لهم مثلا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم .

قلت : وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ، فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة : ومنهم ، ومنهم ، ومنهم ؛ يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثليين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم . كما ضرب المثليين في سورة النور لصنفي الكفار \_ الدعاة والمقلدين \_ في قوله : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » إلى أن قال : « أو كظلمات في بحر لجي » الآية ؛ فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين ، والله أعلم بالصواب ( ) .

(١) ما بين القوسين سقط من النسختين وقد استدركته من ح ، المسند .

(٢) في الأصل : منه . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٣) في الأصل : إحسان . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : قادر . والمثبت من العتيقة .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

شرح تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبده ، بإخراجهم من العدم إلى الوجود ، وإسباغهم عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم الأرض فراشا ، أي : مهذا كالفراش ، مقررة موطأة ، مثبتة بالرواسي الشامحات ، ﴿ والسماء بناء ﴾ وهو السقف . كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ [ الأنبياء ٣٢ ] وأنزل لهم من السماء ماء - والمراد به السحاب هاهنا( ) - في وقته عند احتياجهم إليه فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقا لهم ولأنعامهم ، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ومن أشبه آية بهذه قوله تعالى : ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ [ غافر ٦٤ ] ومضمونه : أنه الخالق الرازق ، مالك الدار وساكنيها ، ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم (عند الله)؟ قال : " أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك " . الحديث .

وكذا حديث معاذ : أتدري ما حق الله على عباده ؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " الحديث . وفي الحديث الآخر : " لا يقولن أحدكم : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل : ما شاء الله ثم شاء فلان " .

وقال حماد بن سلمة : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن ربي بن خراش ، عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها قال : رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود . فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن اليهود . قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . قال : ثم مررت بنفر من النصارى . فقلت : من أنتم ؟ قالوا : نحن النصارى . قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرتها بها من أخبرتها ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : هل أخبرتها بها أحدا ؟ فقلت( ) : نعم . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " أما بعد ، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا

(١) كذا في الأصل . وفي العتيقة : من السماء والمراد به السحاب ماء . وهو أنسب لكن ما أثبتناه موافق لسائر النسخ .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) في العتيقة : قلت .

وكذا أن أمّهاكم عنها ، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله وحده " . هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث حماد بن سلمة به ، وأخرجه ابن ماجه من وجه آخر عن عبد الملك بن عمير به بنحوه .

وقال سفيان بن سعيد الثوري ، عن الأجلح بن عبد الله الكندي ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت . فقال : " أجعلت لله ندا ؟ قل : ما شاء الله وحده " . رواه ابن مردويه ، وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به . وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين أي : وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم .

وبه عن ابن عباس : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ أي : لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه . وهكذا قال قتادة .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ، ثنا أبي : عمرو ، ثنا أبي : الضحاك بن مخلد أبو عاصم ، ثنا شبيب بن بشر ، ثنا عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ قال : الأنداد هو الشرك ، أخفى من ديب النمل على صفًا سوداء في ظلمة الليل . وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلانة ، وحياتي ، ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتني اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلان هذا كله به شرك .

وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : ما شاء الله وشئت . قال : " أجعلتني لله ندا " .

وفي الحديث الآخر : " نعم القوم أنتم ، لولا أنكم تنددون تقولون : ما شاء الله وشاء فلان " .

قال أبو العالية : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ أي : عدلاء شركاء .

وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي ، وأبو مالك ، وإسماعيل بن أبي خالد .

وقال مجاهد : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ قال : تعلمون أنه إله واحد في التوراة والأنجيل .

ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة :

(١) في الأصل : تجعلون . وهو خطأ ظاهر .

قال الإمام أحمد : ثنا عفان ، ثنا أبو خلف موسى بن خلف \_ وكان يعد من البدلاء \_ ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جده ممتور ، عن الحارث الأشعري أن نبي الله ﷺ قال : " إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، وكان ييطئ (١) ، فقال له عيسى عليه السلام : إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فإما أن تبلغهن ، وإما أن أبلغهن ، فقال : يا أخي ؛ إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي . قال : فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد ، فقعده على الشرف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن ، وأمركم أن تعملوا بهن ؛ وأولهن : أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته (٢) إلى غير سيده ، فأياكم يسره أن يكون عبده كذلك ؟ وإن الله خلقكم ورزقكم ، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأمركم بالصلاة ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا . وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك مثل (٣) رجل معه صرة من مسك في عصابة ، كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب (٤) من ريح المسك . وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو ، فشددوا يديه إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال لهم : هل لكم أن أفتدي نفسي (منكم) (٥) ؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه . وأمركم بذكر الله كثيراً ، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره ، فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه ، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله ."

قال : وقال رسول الله ﷺ : " وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهن : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله ؛ فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ، ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جثى جهنم " . قالوا : يا رسول الله وإن صام وصلى ؟ (فقال : " وإن صلى وصام) (٦) وزعم أنه مسلم ، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما (٧) سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله " .

هذا حديث حسن والشاهد منه في هذه الآية قوله : وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .

(١) في ح : وأنه كاد أن ييطئ بها .

(٢) في الأصل : الذي عليه . والمثبت من العتيقة .

(٣) في العتيقة : كمثل .

(٤) في العتيقة : أطيب عند الله .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) ما بين القوسين سقط من النسختين والمثبت من ح والمصدر .

(٧) في العتيقة : على ما .

[وهذه الآية دالة على توحيدته تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى ، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية ، واختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته ، وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه . كما قال بعض الأعراب وقد سئل : ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله ! إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وحكى الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات . وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سأله عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ؛ ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر ، وليس بها أحد يجرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتحترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد . فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل ، فقال : ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ؟ فبهت القوم ، ورجعوا إلى الحق ، وأسلموا على يديه .

وعن الشافعي : أنه سئل عن وجود الصانع فقال : هذا ورق التوت طبيعة واحدة ، تأكله الدود فتخرج منه الإبريسم ، وتأكله النحل فتخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرا وروثا ، وتأكله الطباء فيخرج منها المسك ، وهو شيء واحد .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال : هاهنا حصن حصين ، أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن وصوت مليح \_ يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة . وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك
(عيون من لجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيك)
على قضب الزبرجد شاهدات	بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

وقال آخرون : من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها ، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة ، من السيارة والثوابت ، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم ، في كل يوم وليلة دورة ، ولها في

أنفسها سير يخصصها . ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر وتسكن ساكنيها ، مع اختلاف أشكالها وألوانها ، كما قال تعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [ فاطر ٢٧-٢٨ ] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع من ذرى في الأرض من الحيوانات المتنوعة ، والنبات المختلف الطعوم ، والأرابع ، والأشكال ، والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء ، (استدل) على وجود الصانع ، وقدرته العظيمة ، وحكمته ، ورحمته لخلقه ، ولطفه بهم ، وإحسانه إليهم ، وبره بهم ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدا [ (١) ] .

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾  
ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو فقال مخاطبا للكافرين : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ يعني محمدا ﷺ ﴿ فأتوا بسورة ﴾ من (مثل) (٢) ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله ، فعارضوه بمثل ما جاء به ، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله ، فإنكم لا تستطيعون ذلك . قال ابن عباس : ﴿ شهداءكم ﴾ : أعوانكم .  
وقال السدي ، عن أبي مالك : شركاءكم (٣) . (أي : قوما آخرين يساعدونكم على ذلك أي استعينوا بالهتكم في ذلك يمدونكم وينصرونكم) (٤) .  
وقال مجاهد : ﴿ وادعوا شهداءكم ﴾ قال : ناس يشهدون به ، (يعني حكام الفصحاء) (٥) .

وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن ، فقال في (القصص) : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ [ القصص ٤٩ ] وقال في (٦) سورة سبحان : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [ الإسراء ٨٨ ] ، وقال في سورة هود : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [ هود ١٣ ] وقال في سورة يونس : ﴿ وما كان هذا القرآن أن

(١) ما بين المعكوفين زيادة من نسخة ح . ومن أوله إلى قوله : من المتاجر . مستدرك على هامش العتيقة . وما بين الأقواس في هذه الزيادة

مستدرك من نسخة .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) في الأصل : شركاؤكم . والمثبت من العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسخة ح .

(٥) ما بين القوسين زيادة من ح .

(٦) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا يرب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴿ [ يونس ٣٧-٣٨ ] وكل هذه الآيات مكية .

ثم تحداهم بذلك أيضا في المدينة فقال في هذه الآية : ﴿ وإن كنتم في ريب ﴾ أي : شك ﴿ مما نزلنا على عبدنا ﴾ يعني : محمدا ﷺ . ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ يعني : من مثل القرآن ؛ قاله مجاهد وقتادة ، واختاره ابن جرير (الطبري ، والزمخشري ، وفخر الدين الرازي ، ونقله عن عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن البصري ، وأكثر المحققين ، ورجح ذلك بوجوه ؛ من أحسنها : أنه تحداهم كلهم ، متفرقين ومجتمعين ، سواء في ذلك أميهم وكاتبهم ، وذلك أكمل في التحدي ، وأشمل من أن يتحدى أحادهم (١) الأميين ، ممن لا يكتب ولا يعاني شيئا من العلوم و(٢) بدليل قوله تعالى : ﴿ فأتوا بعشر سور مثله ﴾ وقوله : ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ وقال بعضهم : من مثل محمد ﷺ يعني من رجل أمي مثله ، والصحيح الأول ، لأن التحدي عام لهم كلهم مع أنهم أفصح الأمم ، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ، ومع هذا عجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ ولن (لتأبيد النفي في المستقبل) (٣) ، أي : ولن تفعلوا ذلك أبدا ، وهذه أيضا معجزة أخرى وهو أنه أخبر (خبرا جازما قاطعا مُقدِّما غير خائف ولا مشفق) (٤) أن هذا القرآن لا يعارض بمثله (أبد الأبدين ، ودهر الدهارين) (٥) وكذلك (وقع) (٦) الأمر ، (لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ، ولا يمكن) (٧) وأنى يتأتى ذلك لأحد ، والقرآن كلام الله خالق كل شيء ، وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين (٨) ؟

( ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وخفية ، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [ هود ١ ] فأحكمت ألفاظه ، وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف ، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى ، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء ، وأمر بكل خير ، ونهى عن كل شر كما قال : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾ [ الأنعام ١١٥ ] أي : صدقا في الأخبار وعدلا في

(١) في العتيقة : اجنادهم . وعليها هامش : أعوانهم وأنصارهم . والمثبت من ح .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(٣) في الأصل : لنفي التأييد . والمثبت من العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) في النسختين : أبدا . والمثبت من ح .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) زيادة من العتيقة .

(٨) في العتيقة كلمة بعد ذلك هكذا : رجاجة . وعليها شرح في الهامش فيه : أي مهزول . والرجاج : ... الضعفاء من الناس .

الأحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ، ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء ، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات ، التي لا يحسن شعرهم إلا بها ، كما قيل في الشعر : إن أعذبه أكذبه . وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة ، التي لا تفيد شيئاً إلا قدرة المتكلم المعين على التعيين على ( ) الشيء الخفي أو الدقيق وإبرازه إلى الشيء الواضح ، ثم تجد له فيه بيتاً أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد ، وسائرهما هذر لا طائل تحته . وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك ، تفصيلاً وإجمالاً ، لمن فهم كلام العرب ، وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوبة ، أو وجيزة ، وسواء تكررت أم لا . وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء . وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ؟ وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ، ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال في الترغيب : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » [ السجدة ١٧ ] وقال : « وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون » [ الزخرف ٧١ ] وقال في الترهيب : « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر » [ الإسراء ٦٨ ] « (أمنتم من في السماء) (٢) أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير » [ الملك ١٦-١٧ ] وقال في الزجر : « فكلا أخذنا بذنبه » [ العنكبوت : ٤٠ ] وفي الوعظ : « أفأريت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » [ الشعراء ٢٠٥-٢٠٧ ] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة . وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي ، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن : « يا أيها الذين آمنوا » فارعها سمعك فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه . ولهذا قال تعالى : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » الآية [ الأعراف ١٥٧ ] وإن جاءت الآيات في وصف المعاد ، وما فيه من الأهوال ، وفي وصف الجنة والنار ، وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه ، من النعيم والجحيم ، والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت وحذرت ، وأندرت ودعت إلى فعل الخيرات ، واجتناب المنكرات ، وزهدت في الدنيا ، ورغبت في الأخرى ، وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت إلى صراط الله المستقيم ، وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم) (٣) .

(١) هكذا ولعلها : على التعبير عن

(٢) في النسخة : أفأمنتم . وهو خطأ . والتصويب من القرآن .

(٣) ما بين القوسين زيادة من ح .

ولهذا ثبت في الصحيحين : عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " مامن الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات مأمثله آمن عليه البشر، وإنما الذي كان أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " لفظ مسلم .

وقوله (١) ﷺ : " وإنما كان الذي أوتيت (وحيا) (٢) " أي : الذي اختصت (٣) به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه ، بخلاف غيره من الكتب الإلهية ، فإنها ليست معجزة (عند كثير من العلماء) (٤) والله أعلم .

وله ﷺ (٥) من الآيات الدالة على نبوته ، وصدقه فيما جاء به ، (ما) (٦) لا يدخل تحت حصر ، والله الحمد والمنة .

(وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق تشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة فقال : إن كان هذا القرآن معجزا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ، ولا في قواهم معارضته ، فقد حصل المدعى وهو المطلوب . وإن كان في قواهم معارضته بمثله ، ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له ، كان دليلا على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك . وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قرنا ، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق ، وبهذه الطريقة أجاب فخر الدين في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر ، وإنا أعطيناك الكوثر) (٧) .

وقوله تعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ أما الوقود : بفتح الواو ، فهو ما يلقي في النار لإضرارها كالخطب ونحوه ، كما قال : ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ [ الجن ١٥ ] وقال تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [ الأنبياء ٩٨ ] . والمراد بالحجارة هاهنا : هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة ، وهي أشد الأحجار حرا إذا حميت أجارنا الله منها .

قال عبد الملك بن ميسرة الزراد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ قال : هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق

(١) في العتيقة : قوله .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) كذا ويصح لغة أن يقال : اختصت ، واختصت .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) في العتيقة : عليه السلام .

(٦) زيادة من العتيقة .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين . رواه ابن جرير وهذا لفظه ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في مستدركه ، وقال علي شرط الشيخين .  
 وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ﴿ فاتقوا ﴾ النار التي وقودها الناس والحجارة ﴿ أما الحجارة : فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار .  
 وقال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة .  
 وقال أبو جعفر محمد بن علي : حجارة من كبريت .  
 وقال ابن جريج : حجارة من كبريت أسود في النار . وقال لي عمرو بن دينار : أصلب من هذه الحجارة ، وأعظم .

(وقيل المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ الآية [الأنبياء ٩٨] حكاه القرطبي وفخر الدين ورجحه علي الأول . قال : لأن أخذ النار في حجارة الكبريت ليس بشك(٢) فجعلها هذه الحجارة أولى . وهذا الذي قاله ليس بقوي ، وذلك أن النار إذا أضمرت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها ، وأقوى لسعيرها ، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك ، ثم إن أخذ النار في هذه الحجارة أيضا مشاهد ، وهذا الحصب يكون أحجارا تعمل(٣) فيه بالنار حتى يصير كذلك ، وكذلك سائر الأحجار تفخرها النار وتحرقها ، وإنما سيق هذا في حر هذه النار التي أوعدوا بها وشدة ضرامها وقوة لهبها ، كما قال : ﴿ كلما خبت زدهم سعيرا ﴾ [الإسراء ٩٧] وهكذا رجح القرطبي أن المراد بها الحجارة التي تسعر بها النار لتحمي ، ويشتد لهبها ، قال : ليكون ذلك أشد عذابا لأهلها قال : وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : " كل مؤذ في النار " . قلت : وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف . ثم قال القرطبي : وقد فسر بمعنيين أحدهما : أن كل من يؤذي(٤) الناس عذب في النار(٥) ، والآخر : كل ما يؤذي فهو في النار يتأذى به أهلها ، من السباع والهوام وغير ذلك(٦) .

(١) في النسختين : اتقوا . وكذا في المصادر وقد صوبتها لتوافق لفظ القرآن .

(٢) في ح : بمستنكر .

(٣) في ح : فيعمل .

(٤) في ح : آذى .

(٥) في ح : دخل النار .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

وقوله تعالى : « أعدت للكافرين » الأظهر ( ) أن الضمير في « أعدت » عائد إلى النار التي وقودها الناس والحجارة ، ويحتمل عوده إلى الحجارة ، كما قال ابن مسعود ، ولا منافاة بين القولين في المعنى لأنهما متلازمان .

و« أعدت » أي : أرصدت وحصلت للكافرين بالله ورسوله . كما قال ابن إسحاق ، عن محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « أعدت للكافرين » أي : لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

[وقد استدلل كثير من أئمة السنة بهذه الآية (على) (٢) أن النار موجودة الآن لقوله : « أعدت » أي : أرصدت وهيئت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها :  
" تحاجت الجنة والنار " ومنها :

" استأذنت النار ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضا . فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف " .

وحديث ابن مسعود : سمعنا وجبة فقلنا ما هذه ؟ فقال رسول الله ﷺ : " هذا حجر ألقى به من شفير جهنم منذ سبعين سنة ؛ الآن (٣) وصل إلى قعرها " . وهو عند مسلم . وحديث صلاة الكسوف وليلة الإسراء وغير ذلك من الأحاديث المتواترة المعنى في هذا . وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا ووافقهم القاضي منذر بن سعيد (البلوطي) (٤) قاضي الأندلس (٥) .  
(تنبيه ينبغي الوقوف عليه :

قوله : « فأتوا بسورة من مثله » وفي يونس : « بسورة مثله » [ يونس ٣٨ ] يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة ، لأنها نكرة في سياق الشرط ، فتعم ، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين ، كما هو مقرر في موضعه .

فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها ، وهذا ما أعلم فيه نزاعا بين الناس سلفا وخلفا ، وقد قال الرازي في تفسيره : فإن قيل : قوله : « فأتوا بسورة من مثله » يتناول سورة الكوثر ، وسورة العصر ، وقل يا أيها الكافرون ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله ، أو بما يقرب منه ممكن ، فإن قلت : إن الإتيان بمثل هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة ، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق بالتهمة إلى الدين ، قلنا : فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني ، وقلنا : إن بلغت هذه السورة في

(١) في الأصل : الظاهر . والمثبت من العتيقة .

(٢) زيادة من ح .

(٣) يوجد هنا كلمة : كما . وليست في المصدر .

(٤) زيادة من ح .

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود ، وإن لم يكن كذلك كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزاً ، فعلى التقديرين يحصل المعجز . هذا لفظه بحروفه .  
 والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة ، لا يستطيع البشر معارضتها ، طويلة كانت أو قصيرة .  
 قال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [ سورة العصر ]  
 وقد روي عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وحيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر ﴾ إلى آخرها . ففكر ساعة ثم رفع رأسه ، فقال : فلقد أنزل علي مثلها ! فقال : وما هو ؟ فقال : يا وبر ، يا وبر ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حقر نقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أي أعلم أنك تكذب(١) .

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ .  
 لما ذكر تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله ، من العذاب والنكال ، عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله ، الذين صدقوا بإيمانهم(٢) بأعمالهم الصالحة ، وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصح أقوال العلماء \_ كما سنبسطه في موضعه \_ وهو أن يذكر الإيمان ، ويتبعه بذكر الكفر ، أو عكسه ، أو حال (السعداء ، ثم الأشقياء)(٣) أو عكسه ، وحاصله ذكر الشيء ومقابله . وأما ذكر الشيء ونظيره فذاك التشابه كما سنوضحه إن شاء الله ؛ فلهذا قال تعالى :  
 ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ (فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار)(٤) كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة .  
 ومعنى ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي : من تحت أشجارها وغرفها ، وقد جاء في الحديث : " أن أنهارها تجري في(٥) غير أخدود " ، وجاء في الكوثر : أن حافته(٦) قباب اللؤلؤ المحوف ولا منافاة بينهما .  
 وطينها المسك الأذفر ، وحسبهاؤها اللؤلؤ والجوهر . نسأل الله من فضله إنه هو البر الرحيم .

(١) ما بين القوسين زيادة من ح .

(٢) في الأصل : أيمانهم الصادقة . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : البعداء ثم الأتقياء . والمثبت من العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) في الأصل : من . والمثبت من العتيقة .

(٦) كذا . والأصوب : حافته . وبعض العرب يلزم المثني الألف في حالات إعرابه الثلاث .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على الربيع بن سليمان : ثنا أسد بن موسى ، ثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرة ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو ( ) من تحت جبال المسك " .

وقال (أيضا) (٢) : ثنا أبو سعيد ، ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : قال عبد الله : أنهار الجنة تفجر من جبل مسك .

وقوله : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » قال (٣) السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة « قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » قال : إنهم أتوا بالثمرة في الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا .

وهكذا قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ونصره ابن جرير .

وقال عكرمة : « قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » قال : معناه مثل الذي كان بالأمس . وكذا قال الربيع بن أنس .

وقال مجاهد : يقولون : ما أشبهه به .

قال ابن جرير : وقال آخرون : بل تأويل ذلك : هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا ، لشدة مشابهة بعضه بعضا . لقوله تعالى : « وأتوا به متشابها »

قال سنيد بن داود : ثنا شيخ من أهل المصيصة ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير قال : يؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء فيأكل منها ، ثم يؤتى بأخرى فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل . فتقول الملائكة : كل ، فاللون واحد ، والطعم مختلف .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير قال : عشب الجنة الزعفران ، وكتباؤها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها ، ثم يؤتون بمثلها ، فيقول لهم أهل الجنة : هذا الذي أتيتمونا أنفا به ، فتقول لهم الولدان : كلوا ، فإن اللون واحد والطعم مختلف . وهو قول الله تعالى : « وأتوا به متشابها » .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : « وأتوا به متشابها » قال : يشبه بعضه بعضا ويختلف في الطعم .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد ، والربيع بن أنس ، والسدي نحو ذلك .

(١) في النسختين : آخر . والمثبت تصويب فوقها في العتيقة وكما في المصدر ومصادر التخريج .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) في الأصل : وقال . والمثبت من العتيقة .

وقال ابن جرير بإسناده عن السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، و(عن) (١) أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة في قوله : « وأتوا به متشابها » يعني في اللون والرأي (٢) وليس يشبهه (٣) في الطعم . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال عكرمة : « وأتوا به متشابها » قال : يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب .

وقال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء .

وفي رواية : ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

رواه (٤) ابن جرير من رواية الثوري وابن أبي حاتم من حديث أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : « وأتوا به متشابها » قال : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا ، التفاح بالتفاح ، والرمان بالرمان ، قالوا في الجنة : « هذا الذي رزقنا من قبل » في الدنيا ، « وأتوا به متشابها » يعرفونه وليس هو مثله في الطعم .

وقوله تعالى : « ولهم فيها أزواج مطهرة » قال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : مطهرة من القدر والأذى .

وقال مجاهد : من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد .

وقال قتادة : مطهرة من الأذى والمأثم . وفي رواية عنه : لا حيض ولا كلف .

وروي عن عطاء والحسن والضحاك وأبي صالح وعطية والسدي نحو ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : المطهرة التي لا تحيض . قال : وكذلك خلقت حواء عليها السلام حتى عصت فلما عصت (٥) ، قال الله تعالى : إني خلقتك مطهرة ، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة . وهذا غريب .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه : ثنا إبراهيم بن محمد ، حدثني جعفر بن محمد بن حرب ، وأحمد بن محمد الجواربي (٦) قالوا : ثنا محمد بن عبيد الكندي ، ثنا عبد الرزاق بن عمر البزيعي ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ : في قوله تعالى : « ولهم فيها أزواج مطهرة » قال : من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق . هذا حديث غريب .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) كذا . وفي ح : والرأي .

(٣) في الأصل : شبيه . والمثبت من العتيقة .

(٤) في العتيقة : ورواه .

(٥) تكررت في الأصل : فلما عصت .

(٦) في الأصل : الخوارزمي . والمثبت من العتيقة .

وقد رواه الحاكم في مستدركه ، عن محمد بن يعقوب ، عن الحسن بن علي بن عفان ، عن محمد بن عبيد به . وقال : صحيح على شرط الشيخين . وهذا الذي ادعاه فيه نظر فإن عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي : لا يجوز الإحتجاج به . قلت : والأظهر أن هذا من كلام قتادة ، كما تقدم والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ هذا هو تمام السعادة ، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين ، (آمنين) من الموت والانقطاع ، فلا آخر له ولا انقضاء ، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام ، والله تعالى المسئول أن يحشرنا في زمرةم إنه جواد كريم بر رحيم .

﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾ .

قال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ، يعني قوله : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾ وقوله : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ [البقرة ١٩] الآيات الثلاث ، قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله : ﴿ هم الخاسرون ﴾ .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ، فأنزل الله : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ . وقال سعيد ، عن قتادة : أي إن الله لا يستحيي من الحق ، أن يذكر شيئا ما ، قل أو أكثر . وإن الله (١) حين ذكر في كتابه (الذباب و) (٢) العنكبوت ، قال أهل الضلالة : ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ .

قلت : العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعار أن هذه الآية مكية ، وليس كذلك ، وعبارة رواية سعيد أقرب والله أعلم .

وروى ابن جريج ، عن مجاهد نحو هذا الثاني عن قتادة .

وقال ابن أبي حاتم : روي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالد نحو قول السدي و قتادة .

(١) ليست في العنيقة .

(٢) جاء في الأصل هنا كلمة : ذكر . وهي زائدة .

(٣) زيادة من العنيقة .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس في هذه الآية قال : هذا مثل ضربه الله للدين إذ البعوضة تحيا ما جاعت ، فإذا سمعت ماتت . وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضُرب (لهم)<sup>(١)</sup> هذا المثل في القرآن ؛ إذا امتلأوا من الدنيا رياء ، أخذهم الله تعالى عند ذلك . ثم تلا : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ [ الأنعام ٤٤ ] .

هكذا رواه ابن جرير . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية بنحوه ، فالله أعلم .

فهذا اختلافهم في سبب النزول ، وقد اختار ابن جرير ما حكاه السدي لأنه أمس بالسورة ، وهو مناسب .

ومعنى الآية أنه تعالى أخبر أنه ﴿ لا يستحيي ﴾ أي : لا يستنكف \_ وقيل : لا يخشى \_ ﴿ أن يضرب مثلا ما ﴾ أيّ مثل كان ، بأي شيء كان ، صغيرا أو كبيرا .

و﴿ ما ﴾ ههنا للتقليل ، وتكون ﴿ بعوضة ﴾ منصوبة على البدل ، كما تقول : لأضربن ضربا ما . فيصدق بأدنى شيء ، (أو تكون ﴿ ما ﴾ نكرة موصوفة ببعوضة)<sup>(٢)</sup> .

واختار ابن جرير أن ﴿ ما ﴾ موصولة ، و﴿ بعوضة ﴾ معربة بإعرابها . قال : وذلك سائغ في كلام العرب ، أنهم يعربون صلة ما ومن بإعرابهما ، لأنهما يكونان معرفة تارة ، ونكرة أخرى ، كما قال حسان بن ثابت :

وكفى بنا فضلا على من غيرنا      حب النبي محمد إيانا

قال : ويجوز أن تكون ﴿ بعوضة ﴾ منصوبة بحذف الجار ، وتقدير الكلام : إن الله لا يستحيي أن يضرب (مثلا)<sup>(٣)</sup> ما بين بعوضة إلى ما فوقها .

[وهذا الذي اختاره الكسائي والفراء .

وقرأ الضحاك وإبراهيم بن (أبي)<sup>(٤)</sup> عبلة ورؤية ﴿ بعوضة ﴾ بالرفع ، قال ابن جني : وتكون صلة لما ، وحذف العائد كما في قوله : ﴿ تماما على الذي أحسن ﴾ [ الأنعام ١٥٤ ] أي : على الذي هو أحسن ،

وحكى سيبويه : ما أنا بالذي قائل لك شيئا ، أي : بالذي هو قائل لك شيئا<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ﴿ فما فوقها ﴾ فيه قولان :

(١) في الأصل : الله . والمثبت من العتيقة .

(٢) زيادة من ح . وقد جاءت في العتيقة بعد عدة أسطر كما سيأتي التنبيه عليه ، وهذا هو موضعها الصحيح .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) زيادة من ح .

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

أحدهما : فما دونها في الصغر والحقارة ، كما إذا وصف رجل باللؤم والشح ، فيقول السامع : نعم ، وهو فوق ذلك . يعني فيما وصفت .

(وهذا قول الكسائي ، وأبي عبيدة ، قال الرازي : وأكثر المحققين . وفي الحديث : " لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء " <sup>(١)</sup> .

والثاني : ﴿فما فوقها﴾ : فما هو أكبر منها ، لأنه ليس شيء أحقر ولا أصغر من البعوضة .

وهذا (قول قتادة بن دعامة و) <sup>(٢)</sup> اختيار ابن جرير . [ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت (عنه) <sup>(٣)</sup> بها خطيئة " ] <sup>(٤)</sup> .

فأخبر أنه لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا ، ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة ، (كما لا يستنكف عن خلقها ، كذلك لا يستنكف من ضرب المثل بها) <sup>(٥)</sup> ، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ، في قوله : ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ [الحج ٧٣] وقال : ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت ٤١] ، وقال تعالى : ﴿لم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ [إبراهيم ٢٤-٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء﴾ [الآية [النحل ٧٥] ، ثم قال : ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ [الآية [النحل ٧٦] كما قال : ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم﴾ [الآية [الروم ٢٨] ، وقال : ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون﴾ [الآية [الزمر ٢٩] ، وقد قال تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت ٤٣] وفي القرآن أمثال كثيرة .

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ح .

(٣) زيادة من ح .

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة ، وجاء بعدها : أو تكون ما نكرة موصوفة ببعوضة . وليس هذا موضع هذه الزيادة بل تقدم موضعها .

قال بعض السلف : إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله (تعالى يقول)<sup>(١)</sup> : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ : الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون<sup>(٢)</sup> ، ويعلمون أنه<sup>(٣)</sup> الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها .  
وقال قتادة : ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ أي : يعلمون أنه كلام الرحمن ، وأنه من عند الله .

وروي عن مجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال أبو العالية : ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ يعني هذا المثل . ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ كما قال في سورة المدثر : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [المدثر ٣١] ، وكذلك قال هاهنا : ﴿ يضلل به كثيرا ﴾ (ويهدي به كثيرا)<sup>(٤)</sup> وما يضلل به إلا الفاسقين .

قال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ يضلل به كثيرا ﴾ يعني : المنافقين . ﴿ ويهدي به كثيرا ﴾ يعني : المؤمنين ، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم<sup>(٥)</sup> ، لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا ، من المثل الذي ضربه الله بما ضربه له ، (وإنه لما ضربه له موافق)<sup>(٦)</sup> فذلك إضلال الله إياهم به ﴿ ويهدي به ﴾ يعني بالمثل ﴿ كثيرا ﴾ من أهل الإيمان والتصديق ، فيزيدهم هدى إلى هداهم ، وإيمانا إلى إيمانهم ، لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق ما ضربه الله له مثلا وإقرارهم به ، وذلك هداية من الله لهم به . ﴿ وما يضلل به إلا الفاسقين ﴾ قال : هم المنافقون .

وقال أبو العالية : ﴿ وما يضلل به إلا الفاسقين ﴾ قال : هم أهل النفاق .

وكذا قال الربيع بن أنس .

(١) في العتيقة : قال .

(٢) في الأصل : الأولون . والمثبت من العتيقة .

(٣) في العتيقة : أنها .

(٤) ساقطة من الأصل ، والمثبت من العتيقة موافقا لنص القرآن .

(٥) في الأصل : ضلالهم . والمثبت من العتيقة .

(٦) زيادة من العتيقة .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ يقول : يعرفه الكافرون فيكفرون به .

وقال قتادة : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ فسقوا فأضلهم الله على فسقهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثت عن إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد : ﴿ يضل به كثيرا ﴾ يعني : الخوارج .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد قال : سألت أبي . فقلت : قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ إلى آخر الآية فقال : هم الحرورية .

وهذا الإسناد إن صح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فهو تفسير على المعنى ، لا أن الآية أريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان ، فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية ، وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل ، لأنهم سموا : خوارج ، لخروجهم عن طاعة الإمام ، والقيام بشرائع الإسلام .

والفاسق في اللغة : هو الخارج عن الطاعة أيضا . وتقول (العرب)<sup>(١)</sup> : فسقت الرطبة ؛ إذا خرجت من قشرتها . ولهذا يقال للفأرة : فويسقة ، لخروجها عن جحرها للفساد . وثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم ؛ الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور " .

فالفاسق يشمل الكافر والعاصي ، ولكن فسق الكافر أشد وأفحش . والمراد من الآية الفاسق الكافر والله أعلم ، بدليل أنه وصفهم بقوله : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾ . وهذه الصفات صفات الكفار المبائنة لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة الرعد : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ الآيات إلى أن قال : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ [الرعد ١٦-٢٥] . وقد اختلف أهل التفسير في معنى العهد الذي وصّف هؤلاء الفاسقين بنقضه ، فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من<sup>(٢)</sup> معصيته في كتبه ، وعلى لسان رسله ، ونقضهم ذلك : (هو)<sup>(٣)</sup> تركهم العمل به .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة .

(٣) في النسختين : و . والمثبت من ح .

وقال آخرون : بل هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه (الله)<sup>(١)</sup> عليهم في التوراة ، من العمل بما فيها وأتباع محمد ﷺ إذا بعث ، والتصديق به ، وبما جاء به من عند ربهم . ونقضهم ذلك : هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك ، وكتماهم علم ذلك (من)<sup>(٢)</sup> الناس ، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا .

وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ، و(هو)<sup>(٣)</sup> قول مقاتل بن حيان .

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق ، وعهده إلى جميعهم في توحيدهم : ما<sup>(٤)</sup> وضع إليهم من الأدلة الدالة على ربوبيته . وعهده إليهم في أمره ونهيهِ : ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثله ، الشاهدة لهم على صدقهم . قالوا : ونقضهم ذلك : تركهم الإقرار بما (قد تبينت)<sup>(٥)</sup> لهم صحته بالأدلة ، وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق .

وروي عن مقاتل بن حيان أيضا<sup>(٦)</sup> نحو هذا ، وهو حسن<sup>(٧)</sup> ، (وإليه مال الزمخشري فإنه قال)<sup>(٨)</sup> :

(فإن قلت : فما المراد بعهد الله ؟ قلت : ما ركز في عقولهم من الحججة على التوحيد ، كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله : ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف ١٧٢] أو أخذ الميثاق عليهم في الكتب المنزلة عليهم كقوله : ﴿ وأوفوا بعهدكم ﴾ [البقرة ٤٠] )<sup>(٩)</sup> .

وقال آخرون : العهد الذي ذكره الله تعالى ، هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، الذي وصف في قوله : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ﴾<sup>(١٠)</sup> وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف ١٧٢] الآيتين ، ونقضهم ذلك : تركهم الوفاء به . وهكذا روي عن مقاتل بن حيان أيضا . حكى هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) زيادة ملحقة في العتيقة . وفي ح ١ : عن .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) في الأصل : بما . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : ثبتت . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : وروي أيضا عن مقاتل بن حيان . والمثبت من العتيقة .

(٧) في الأصل : أحسن . والمثبت من العتيقة .

(٨) ما بين القوسين زيادة من ح . وفي العتيقة : قال الزمخشري .

(٩) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(١٠) كذا في النسختين . وهي قراءة سبعية .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم ﴾ الخاسرون ﴿ قال : هي ست خصال من المنافقين ، إذا كانت فيهم الظهره على الناس أظهروا هذه الخصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض . وإذا كانت الظهره عليهم أظهروا الخصال (الثلاث)<sup>(١)</sup> : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا . وكذا قال الربيع بن أنس أيضا .

وقال السدي في تفسيره بإسناده قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ قال : هو ما عهد إليهم في القرآن ، فأقروا به ، ثم كفروا فنقضوه . وقوله : ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ قيل : المراد به صلة الأرحام والقربات كما فسره قتادة ، كقوله تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ [محمد ٢٢] ورجحه ابن جرير .

وقيل : أعم من ذلك ؛ فكل ما أمر الله بوصله وفعله قطعوه وتركوه . وقال مقاتل بن حيان في قوله : ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ قال : في الآخرة . وهذا كما قال تعالى : ﴿ أولئك لهم اللعنة وهم سوء الدار ﴾ [الرد ٢٥] .

وقال الضحاك عن ابن عباس : كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر ، فإنما يعني به الكفر . وما نسبه إلى أهل الإسلام ، فإنما يعني به الذنب .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ الخاسرون : جمع خاسر ، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته ، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله<sup>(٢)</sup> في بيعه ، وكذلك الكافر والمنافق خسر بجرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته . يقال منه : خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا ، كما قال جرير بن عطية :

إن سليطا في الخسار إنه أولاد قوم خلقوا أقنه

﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه تحشرون ﴾

يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته ، وأنه الخالق المتصرف في عباده : كيف تكفرون بالله ؟ أي : كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره ؟ ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾ أي : قد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود ، كما قال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) زيادة ملحقة على نسخة ح .

(٣) في الأصل : المال . والمثبت من العتيقة .

لا يوقنون ﴿ [ الطور ٣٥-٣٦ ] . وقال : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ [ الإنسان ١ ] ، والآيات في هذا كثيرة .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ﴾ [ غافر ١١ ] قال : هي التي في البقرة : ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ .

وقال ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ﴿ كنتم أمواتا فأحياكم ﴾ : أمواتا في أصلاب آبائكم ، لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ، ثم يميتكم مودة الحق ، ثم يحييكم حين يبعثكم . قال : وهي مثل قوله : ﴿ أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ قال : كنتم ترابا قبل أن يخلقكم ، فهذه ميتة ، ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة (أخرى)<sup>(١)</sup> ، فهذه ميتتان وحياتان ، فهو كقوله : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ .

وهكذا روي عن السدي بسنده ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، وعن أبي العالية ، والحسن البصري ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبي صالح ، والضحاك ، وعطاء الخراساني نحو ذلك .

وقال الثوري ، عن السدي ، عن أبي صالح : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ قال : يحييكم في القبر ثم يميتكم .

وقال ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : خلقهم في ظهر آدم فأخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة وذلك كقول الله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ .

وهذا غريب والذي قبله .

والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس ، وأولئك الجماعة من التابعين ، وهو كقوله تعالى : ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [ الجاثية ٢٦ ] .

(وعبر عن الحال قبل الوجود بالموت لجامع ما يشتركان فيه من عدم الإحساس كما قال في الأصنام : ﴿ أموات غير أحياء ﴾ [ النحل ٢١ ] . وقال : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ [ يس ٣٣ ] )<sup>(٢)</sup> .

(١) زيادة من نسخة .

(٢) في الأصل : وعن . والمثبت من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

﴿ هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ .

لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم ، ذكر دليلا آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض فقال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء ﴾ أي : قصد إلى السماء . والاستواء هاهنا مضمن معنى القصد أو الإقبال ؛ لأنه عدي يلى ﴿ فسواهن ﴾ أي : فخلق السماء سبعا . والسماء هاهنا اسم جنس ، فلهذا قال : ﴿ فسواهن ﴾ ، ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ أي : وعلمه محيط بجميع ما خلق . كما قال : ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة . وهو قوله : ﴿ قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ [فصلت ٩-١٢] .

ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتداء بخلق الأرض أولا ، ثم خلق السموات سبعا ، وهذا شأن البناء ؛ أن يبدأ بعمارة أسفله ثم أعاليه بعد ذلك . وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا (إن شاء الله) <sup>(١)</sup> .

فأما قوله تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحائها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ [النازعات ٢٧-٣٢] فقد قيل : إن ﴿ ثم ﴾ هاهنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر ، لا لعطف الفعل على الفعل ، كما قال الشاعر :

قل لمن ساد ثم ساد أبوه      ثم قد ساد قبل <sup>(٢)</sup> ذلك جده

وقيل : إن الدحي كان بعد (خلق) <sup>(٣)</sup> السموات . رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

وقد قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ قال : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا ، فارتفع فوق الماء فسما عليه ، فسماه سماء ، ثم أيسس الماء فجعله أرضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين ، فخلق

(١) زيادة من نسخة .

(٢) في الأصل : بعد . والمثبت من العتيقة .

(٣) زيادة من العتيقة .

الأرض على حوت ، والحوت هو الذي ذكره الله في القرآن : ﴿ ن والقلم ﴾ [القلم ١] والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاءة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت ، فاضطرب ، فتزلزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرت . فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وجعلنا في الأرض رواسي<sup>(١)</sup> أن تميد بهم<sup>(٢)</sup> ﴾ [الأنبياء ٣١] وخلق الجبال فيها ، وأقوات أهلها ، وشجرها ، وما ينبغي لها ، في يومين في الثلاثاء والأربعاء ، وذلك حين يقول : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ﴾ [فصلت ٩-١٠] ، يقول : أنبت شجرها ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ لأهلها في ﴿ أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ [فصلت ١٠] . يقول : من سأل فهكذا الأمر . ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت ١٠] وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ [فصلت ١٢] قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ، وما لا نعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظا ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش ، فذلك حين يقول : ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [الأعراف ٥٤] ويقول : ﴿ كانتا رتقا ففتقناهما ﴾ [الأنبياء ٣٠] .

وقال ابن جرير : حدثني المثني ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾ قال : خلق الله الأرض قبل السماء ، فلما خلق (الأرض ثار)<sup>(٣)</sup> منها دخان ، فذلك حين يقول : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت ١٠] ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ قال : بعضهن فوق بعض ، وسبع أرضين يعني : بعضهن<sup>(٤)</sup> تحت بعض .

(١) في الأصل : وجعل لها رواسي . والمثبت من العتيقة . وهو الموافق للفظ القرآني .

(٢) في النسختين وسائر النسخ : بكم . وهو سهو من الحافظ رحمه الله . وإنما قوله بكم في آية النحل ١٥ ، لقمان ١٠ : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾

(٣) في الأصل : بان . والمثبت من العتيقة .

(٤) ليست في العتيقة .

[ وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء ، كما قال في آية السجدة : ﴿ قل أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ [ فصلت ٩-١٢ ] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء ، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء ، إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض ، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ [ النازعات ٣٠-٣٢ ] قالوا : فذكر خلق السماء قبل الأرض .

وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب : بأن الأرض خلقت قبل السماء ، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء .

وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديما وحديثا ، وقد حررنا ذلك في سورة النازعات ، وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية ، دحى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كان مودعا فيها من المياه ، فنبتت النباتات على اختلاف (أجناسها وصفاتها)<sup>(١)</sup> وألوانها وأشكالها ، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة ، والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية ، الحديث الذي رواه مسلم والنسائي في التفسير أيضا من رواية ابن جريج قال : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل .

(١) في ح : صفاتها وأشكالها .

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم . وقد تكلم عليه علي بن المديني ، والبخاري ، وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كعب الأحمار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ، وقد حرر ذلك البيهقي (رحمه الله)<sup>(١)</sup> .

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾

يخبر تعالى بامتثانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملائكة الأعلى قبل إيجادهم فقال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة ﴾ أي : واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة ، واقتصر على قومك ذلك . وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية (وهو أبو عبيدة)<sup>(٢)</sup> أنه زعم أن "إذ" هاهنا زائدة ، وأن تقدير الكلام : وقال ربك . ورده ابن جرير .

(قال القرطبي : وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج : هذا اجترأ من أبي عبيدة)<sup>(٣)</sup> .

﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ أي : قوما يخلف بعضهم بعضا ، قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [ الأنعام ١٦٥ ] وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [ النمل ٦٢ ] . وقال : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ [ الزخرف ٦٠ ] (وقال)<sup>(٤)</sup> : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ [ مريم ٥٩ ] (وقرئ في الشاذ : إني جاعل في الأرض خليفة . حكاها الزمخشري وغيره . ونقلها القرطبي عن زيد بن علي)<sup>(٥)</sup> .

وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط ، (كما يقوله طائفة من المفسرين ، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل ، وفي ذلك نظر بل الخلاف في ذلك كثير ، حكاها فخر الدين الرازي في تفسيره وغيره ، والظاهر أنه لم يرد آدم عينا)<sup>(٦)</sup> ، إذ لو كان ذلك لما حسن قوله الملائكة: ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك ، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية ، فإن الله أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمأ مسنون ، [ أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين (الناس) ما يقع

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) زيادة من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) زيادة من ح .

(٥) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

بينهم من الظالم ، ويردعهم عن المحارم والمآثم ، قاله القرطبي [١] ، أو أنهم قاسوهم<sup>(٢)</sup> على من سبق ، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك .

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين ، [ وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أي : لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه ، وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقاً . قال قتادة : وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها ، فقالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها (ويسفك الدماء) ﴾ الآية [٣] ، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ، يقولون : يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ؟ فإن كان المراد عبادتك ؛ فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، أي : نصلي لك كما سيأتي ، (أي : ولا)<sup>(٤)</sup> يصدر منا شيء من ذلك ، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟

قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ أي : إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم ، فإني سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد فيهم الصديقون ، والشهداء ، والصالحون ، والعباد ، والزهاد ، والأولياء ، والأبرار ، والمقربون ، والعلماء العاملون ، والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم .

[وقد ثبت في الصحيح : أن الملائكة إذا صعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده يسألهم \_ وهو أعلم \_ كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون . وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ، ويجتمعون في صلاة الصبح ، وصلاة العصر ، فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال كما قال عليه الصلاة والسلام : " يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل " فقولهم : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ، من تفسير قوله لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

وقيل : معنى قوله جواباً لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (أي) : إن لي حكمة مفصلة (في) خلق هؤلاء \_ والحالة ما ذكرت \_ لا تعلمونها .

وقيل : إنه جواب لقولهم ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ فقال : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ أي : من وجود إبليس بينكم ، وليس هو كما وصفتم أنفسكم به .

(١) ما بين المعوفين زيادة من العتيقة ، وما بين القوسين من ح .

(٢) في الأصل : قاسوه . والمثبت من العتيقة .

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة وما بين القوسين من ح .

(٤) في الأصل : أو لا . والمثبت من العتيقة .

وقيل : بل تضمن قولهم ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ طلبا منهم أن يسكنوا الأرض (بدل) بني آدم ، فقال الله تعالى لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ من أن بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم .

ذكرها فخر الدين (الرازي) مع غيرها من الأجوبة والله سبحانه أعلم<sup>(١)</sup> .  
ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه :

قال ابن جرير : حدثني القاسم بن الحسن (قال : ثنا الحسين قال)<sup>(٢)</sup> حدثني الحجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن ، وأبي بكر ، عن الحسن وقتادة قالوا : قال الله للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ قال لهم : إني فاعل .  
وهذا معناه أنه أخبرهم بذلك .

وقال السدي : استشار الملائكة في خلق آدم . رواه ابن أبي حاتم .  
وقال : وروي عن قتادة نحوه .

وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهل ، وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن . والله أعلم .

﴿ في الأرض ﴾ قال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا أبو سلمة<sup>(٣)</sup> ، ثنا حماد ، ثنا عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ قال : " دحيت الأرض من مكة ، وأول من طاف بالبيت الملائكة ، فقال الله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ يعني مكة " .

وهذا مرسل ، وفي سنده ضعف ، وفيه مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة والله أعلم . فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك .

﴿ خليفة ﴾ : قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : أن الله قال للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض ، ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضا .

قال ابن جرير : فكان تأويل الآية على هذا : إني جاعل في الأرض خليفة مني ، يخلفني في الحكم<sup>(٤)</sup> بين خلقي ، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه . وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها ، فمن غير خلفائه .

(١) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة . وما بين القوسين من ح .

(٢) ساقطة . وهي مثبتة من المصدر .

(٣) في الأصل : ابن مسلم . والمثبت من العتيقة .

(٤) يوجد هنا زيادة في ح وغيرها : بالعدل . وليست في النسختين والمصدر .

قال ابن جرير : وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنا .  
قال : والخليفة الفعيلة من قولك ، خلف فلان فلانا في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال  
تعالى : ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ [ يونس ١٤ ] . ومن ذلك  
قبيل للسلطان الأعظم : خليفة لأنه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر ، فكان منه خلفا .  
قال : وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ يقول : ساكنا  
وعامرا ، يسكنها ويعمرها ، خلفا ليس منكم .

(قال ابن جرير)<sup>(١)</sup> : وثنا أبو كريب ، ثنا عثمان<sup>(٢)</sup> بن سعيد ، ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن  
الضحاك ، عن ابن عباس قال : أول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها ، وسفكوا فيها الدماء ،  
وقتل بعضهم بعضا . قال : فبعث الله إليهم إبليس ، فقتلهم إبليس ومن معه ، حتى ألحقهم بجزائر  
البحور ، وأطراف الجبال . ثم خلق آدم فأسكنه إياها فلذلك قال : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ .  
وقال سفيان الثوري : عن عطاء بن السائب ، عن ابن سابط : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا  
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ قال : يعنون (به) بني آدم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال الله للملائكة : إني أريد أن أخلق في الأرض خلقا ، وأجعل  
فيها خليفة \_ وليس لله عز وجل خلق إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق \_ قالوا : ﴿ أتجعل فيها  
من يفسد فيها ﴾ .

وقد تقدم مارواه السدي ، عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة : أن الله أعلم الملائكة بما  
تفعل ذرية آدم فقالت الملائكة ذلك .

وتقدم أنفا مارواه الضحاك ، عن ابن عباس : أن الجن أفسدوا في الأرض قبل بني آدم ، فقالت الملائكة  
ذلك ، فقاوسا هؤلاء بأولئك .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا علي بن محمد الطنافسي ، ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن بكير بن  
الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان (الجن)<sup>(٣)</sup> بنو الجن في الأرض قبل أن يخلق  
آدم بألفي سنة ، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء ، فبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم حتى  
ألحقوهم بجزائر البحور فقال الله للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد  
فيها ويسفك الدماء ﴾ ؟ ﴿ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : عمر . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع (بن أنس)<sup>(١)</sup> ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ إلى قوله : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ قال : خلق الله الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض ، فتقاتلهم (ببغيتهم)<sup>(٢)</sup> ، فكانت الدماء بينهم ، فكان الفساد في الأرض فمن ثم قالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ كما أفسدت الجن ، ﴿ ويسفك الدماء ﴾ كما سفكوا .

قال ابن أبي حاتم : وثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا مبارك بن فضالة ثنا الحسن قال : قال الله للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ قال لهم : إني فاعل . أفاضوا برأيهم \_ فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه ولم يعلموه \_ فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ﴿ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ . قال الحسن : إن الجن كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدماء ، ولكن جعل الله في قلوبهم أن ذلك سيكون فقالوا بالقول الذي علمهم . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ كان (الله)<sup>(٣)</sup> أعلمهم أنه إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فذلك حين قالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا هشام الرازي ، ثنا ابن المبارك ، عن معروف \_ يعني ابن خربوذ \_ المكي ، عن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول : السجل ملك ، وكان هاروت وماروت من أعوانه ، وكان له كل يوم ثلاث لمحات ينظرهن في أم الكتاب ، فنظر نظرة لم تكن له ، فأبصر فيها خلق آدم وما فيه من الأمور ، فأسر ذلك إلى هاروت وماروت \_ وكانا من أعوانه \_ فلما قال تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ قالوا<sup>(٤)</sup> ذلك استطالة على الملائكة . وهذا أثر غريب . وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر، فهو نقله عن أهل الكتاب ، وفيه نكارة توجب رده والله أعلم . ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا اثنين فقط وهو خلاف السياق .

وأغرب منه مارواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال : ثنا أبي ، ثنا هشام بن أبي عبيد الله، ثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال : سمعت أبي يقول : إن الملائكة الذين قالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ كانوا عشرة آلاف فخرجت نار من عند الله فأحرقتهم .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) زيادة من ح .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) في الأصل : قالوا ، والمثبت من العتيقة .

وهذا أيضا إسرائيلي منكر كالذي قبله والله أعلم .

وقال ابن جريج : إنما تكلموا بما أعلمهم أنه كائن من خلق آدم فقالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ .

وقال ابن جرير : وقال بعضهم : إنما قالت الملائكة ما قالت : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك ، بعد ما أخبرها أن ذلك كائن من بني آدم ، فسألته الملائكة فقالت (على)<sup>(١)</sup> التعجب منها : وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم ؟ فأجابهم رهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ يعني أن ذلك كائن منهم ، وإن لم تعلموه أنتم ، ومن (بعض من)<sup>(٢)</sup> ترونه لي طائعا .

قال : وقال بعضهم : ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك ، فكأنهم قالوا : يارب خبرنا . مسألة استخبار منهم ، لا على وجه الإنكار . واختاره ابن جرير .<sup>(٣)</sup>

﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ : قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : التسبيح (التسبيح)<sup>(٤)</sup> ، والتقديس : الصلاة .

(وقال)<sup>(٥)</sup> السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ قال : يقولون : نصلي لك . وقال مجاهد : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ قال : نعظمك ونكبرك . وقال الضحاك : التقديس : التطهير .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ قال : لا نعصي ولا نأتي شيئا تكرهه . وقال ابن جرير : التقديس : هو التعظيم والتطهير ، ومنه قولهم : سبوح قدوس يعني بقولهم : سبوح تنزيه له ، وبقولهم : قدوس : طهارة وتعظيم<sup>(٦)</sup> له . وكذلك قيل للأرض : أرض مقدسة ، يعني بذلك المطهرة . فمعنى قول الملائكة إذا : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ ننزهك ونبريك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ﴿ ونقدس لك ﴾ : ننسبك إلى ما هو من صفاتك ، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : يعصني ممن . والمثبت من العتيقة .

(٣) جاء في ح هنا الآتية بعد قليل : قال سعيد عن قتادة ... إلى قوله : أتينا طائعين . وقد أثبتناها هناك كما في العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) في الأصل : قال . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : وتنزيهه . والمثبت من العتيقة .

(وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ : سئل أي الكلام أفضل ؟ قال : ما اصطفى الله لملائكته سبحانه الله وبحمده .

وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول ﷺ ليلة أسري به سمع تسبيحا في السموات العلا : سبحانه العلي الأعلى سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup> .

﴿ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (قال سعيد عن قتادة : قوله : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ فاستشار الملائكة في خلق آدم فقالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ وقد علمت الملائكة أنه لا شيء أكره إلى الله من سفك الدماء والفساد في الأرض ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾

قال قتادة<sup>(٢)</sup> : فكان في علم الله أنه سيكون من تلك الخليفة أنبياء ورسول ، وقوم صالحون ، وساكنو الجنة .

قال : وذكر لنا عن ابن عباس أنه كان يقول : إن الله لما أخذ في خلق آدم ، قالت الملائكة : ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ، ولا أعلم منا ، فابتلوا بخلق آدم ، وكل خلق مبتلى ، كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة فقال : ﴿ اثبتا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾<sup>(٣)</sup> [فصلت ١١]

وسأني عن ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى : ﴿ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾<sup>(٤)</sup> .

( وقد استدلل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ، ليفصل بين الناس فيما يختلفون فيه ، ويقطع تنازعهم ، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ، ويقيم الحدود ، ويزجر عن تعاطي الفواحش ، إلى غير ذلك من الأمور المهمة ، التي لا تمكن إقامتها إلا بالإمام ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

والإمامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر ، أو بالإيماء إليه كما يقوله آخرون منهم ، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده ، كما فعل الصديق في عمر بن الخطاب ، أو بتركه شورى في جماعة صالحين لذلك ، كما فعله عمر ، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته ، أو بمبايعة واحد منهم له ، فيجب التزامها عند الجمهور ، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع ، والله أعلم . أو يقهر واحد الناس على طاعته فتجب ، لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف ، ونص عليه الشافعي .

(١) مابين القوسين زيادة من العتيقة ملحقه على الهامش .

(٢) جملة قال قتادة ، ليست في العتيقة ولكنها من الأصل . وقد ثبت في الأصل ما بعدها إلى قوله : وساكنو الجنة . أما ما قبل ذلك وما بعده فمن العتيقة كما سيأتي .

(٣) مابين القوسين زيادة من العتيقة . وهي في ح متقدمة عن هذا الموضع وقد نبهت عليه أنفا .

(٤) لم يذكر الحافظ ابن كثير شيئا من ذلك .

وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة ؟ فيه خلاف ؛ منهم من قال : لا يشترط . وقيل : بلى ويكفي شاهدان . وقال الجبائي : يجب أربعة ، وعاقده ، ومعقود له . كما ترك عمر الأمر شورى بين ستة فوقع الأمر على عاقده ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، ومعقود له وهو عثمان ، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين ، وفي هذا نظر . والله أعلم .

ويجب أن يكون ذكرا ، حرا بالغا ، عاقلا مسلما ، عدلا مجتهدا ، بصيرا سليم الأعضاء ، خيرا بالحروب والآراء ، قرشيا على الصحيح . ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطأ خلافا لغلاة الروافض . ولو فسق الإمام هل ينزل أم لا ؟ فيه خلاف ، والصحيح : لا ينزل لقوله عليه والسلام : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " .

وهل له أن يعزل نفسه ؟ فيه خلاف ، وقد عزل الحسن بن علي نفسه ، وسلم الأمر إلى معاوية ، لكن<sup>(١)</sup> كان هذا لعذر وقد مدح على ذلك .

فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر ، فلا يجوز لقوله عليه السلام : " من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنا من كان " . وهذا قول الجمهور ، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد منهم إمام الحرمين .

وقالت الكرامية بجواز نصب اثنين فأكثر ، كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة . قالوا : وإذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر ، جاز ذلك في الإمامة لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف . وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق ، أنه جوز نصب إمامين فأكثر ، إذا تباعدت الأقطار ، واتسعت الأقاليم بينهما . وتردد إمام الحرمين في ذلك .

قلت : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس في العراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب<sup>(٢)</sup> . وليقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له . وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة

(١) في العتيقة : لا ان . والمثبت من ح .

(٢) مابين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) مابين القوسين زيادة من ح .

خلق الخليفة ، حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون . ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .

وقال (١) السدي ، عمن حدثه عن ابن عباس : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ قال : عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا ، والدواب فقيل : هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا الفرس .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ قال : هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجمل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير ، من حديث عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ قال : علمه اسم الصحيفة والقدر ؟ قال : نعم ، حتى الفسوة والفسية !

وقال مجاهد : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ قال : علمه (٢) اسم كل دابة ، وكل طير ، وكل شيء .

وكذلك روي عن سعيد بن جبيرة وقتادة وغيرهم من السلف : أنه علمه أسماء كل شيء .

وقال الربيع في رواية عنه : أسماء الملائكة .

وقال حميد الشامي : أسماء النجوم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم .

واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لأنه قال : ثم عرضهم وهذا عبارة عما يعقل . وهذا الذي رجح به ليس بلازم ؛ فإنه لا ينبغي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ [النور ٤٥] .

(وقد قرأ عبد الله بن مسعود : ثم عرضهن .

وقرأ أبي بن كعب : ثم عرضها . أي : المسميات) (٣) .

والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها : ذواتها وأفعالها ، كما قال ابن عباس : حتى الفسوة والفسية . يعني أسماء الذوات والأفعال ؛ المكبر والمصغر .

ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه :

ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا هشام ، ثنا قتادة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ، وقال لي خليفة: ثنا : يزيد بن زريع ، ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : " يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ؛ فيأتون آدم ، فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يرزقنا من مكاننا هذا .

(١) في العتيقة : قال .

(٢) في الأصل : علم . والمثبت من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه ؛ فيستحيي ، ائتوا نوحا ، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض .  
 فيأتونه فيقول : لست هناكم . ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم ؛ فيستحيي ، فيقول : ائتوا خليل  
 الرحمن . فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ائتوا موسى ؛ عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتونه ، فيقول :  
 لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس ؛ فيستحيي من ربه ، ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله  
 وروحه فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتوني ،  
 فأنتلق حتى أستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم  
 يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمده بتحميد يعلمنيه ،  
 ثم أشفع ، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ، فإذا رأيت ربي مثله ، ثم أشفع ، فيحد لي حدا  
 فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة  
 فأقول : ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ، ووجب عليه الخلود .  
 هكذا ساق البخاري هذا الحديث هاهنا .

وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي ، عن قتادة به .  
 وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه ، من حديث سعيد وهو<sup>(١)</sup> ابن أبي عروبة عن قتادة ووجه إيراده  
 هاهنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام : " فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده  
 وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء " .

فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال : ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ يعني  
 المسميات ، كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة ، فقال :  
 ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ .

وقال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن  
 مسعود ، وعن ناس من الصحابة : وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة .  
 وقال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ ثم عرضهم ﴾ عرض أصحاب الأسماء على الملائكة .  
 وقال ابن جرير : ثنا القاسم ، ثنا الحسين ، حدثني الحجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك بن فضالة ،  
 عن الحسن ، وأبي بكر ، عن الحسن وقتادة قالا : علمه اسم كل شيء ، وجعل يسمي كل شيء باسمه  
 وعرضت عليه أمة أمة .

وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة : في قوله : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أني لم أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه ؛  
 فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ : إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة .

(١) في الأصل : هو . والمثبت من العتيقة .

وقال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ، ويسفكون الدماء .  
 وقال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ، ومعنى ذلك فقال : أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيتها الملائكة القائلون : أتجعل في الأرض من يفسد في الأرض ويسفك الدماء من غيرنا<sup>(١)</sup> ؟ أم<sup>(٢)</sup> منا ؟ فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ إن كنتم صادقين في قيلكم : إني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم ، عصاني ذريته ، وأفسدوا وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطعموني ، واتبعت<sup>(٣)</sup> أمري بالتعظيم لي ، والتقديس ، فإذا<sup>(٤)</sup> كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم ، وأنتم تشاهدوهم<sup>(٥)</sup> ، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أخرى أن تكونوا غير عالمين .

﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى ، أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء ، أو أن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم تعالى ولهذا قالوا ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ أي : العليم بكل شيء ، الحكيم في خلقك وأمرك ، وفي تعليمك من تشاء ، ومنعك من تشاء ، لك الحكمة في ذلك ، والعدل التام .  
 قال ابن أبي حاتم : ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس : سبحان الله ، قال : تنزيه الله نفسه عن السوء . قال : ثم قال عمر لعلي وأصحابه عنده : لا إله إلا الله ، قد عرفناه ، فما سبحان الله ؟ فقال له علي : كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب أن تقال .

قال : وثنا<sup>(٦)</sup> أبي ، ثنا ابن نفيل ، ثنا النضر بن عربي<sup>(٧)</sup> قال : سألت رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله فقال : اسم يعظم الله به ، ويحاشا به من السوء .  
 وقوله تعالى : ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ قال زيد بن أسلم : قال : أنت جبريل ، أنت ميكائيل ، أنت إسرافيل حتى عدد الأسماء كلها ، حتى بلغ الغراب .  
 وقال مجاهد في قول الله : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ قال : اسم الحمامة ، والغراب ، واسم كل شيء .

(١) عليها تعليق في العتيقة : متعلق بتجعل .

(٢) عليها تعليق في العتيقة : تجعل في الأرض خليفة .

(٣) في الأصل : وأنتيم . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : فإذا إذا . والمثبت من العتيقة .

(٥) في العتيقة : تشاهدونه .

(٦) في العتيقة : وثنا .

(٧) في الأصل : عدي . والمثبت من العتيقة .

وروي عن سعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، نحو ذلك .

فلما ظهر فضل آدم عليه (الصلاة و) السلام على الملائكة عليهم السلام في سرده ما<sup>(١)</sup> علمه الله (تعالى)<sup>(٢)</sup> من أسماء الأشياء ، قال الله تعالى للملائكة : ﴿ (ألم أقل لكم)<sup>(٣)</sup> إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ أي : ألم أتقدم إليكم أي أعلم الغيب الظاهر والخفي ؟ كما قال تعالى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ [طه ٧] ، وكما قال تعالى إخبارا عن الهدهد أنه قال لسليمان : ﴿ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون ﴾<sup>(٤)</sup> الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ [النمل ٢٦، ٢٥]

وقيل في معنى قوله تعالى : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ غير ما ذكرناه ، فروى الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ قال : يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية ، يعني : ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة قال : قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ فهذا الذي أبدوا ، ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ يعني : ما أسر إبليس في نفسه من الكبر .

وكذلك قال سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والسدي ، والضحاك ، والثوري . واختار ذلك ابن جرير<sup>(٥)</sup> . وقال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة : هو قولهم : لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ فكان الذي أبدوا قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ وكان الذي كتبت بينهم قولهم : لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

وقال ابن جرير : ثنا يونس ، ثنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، في قصة الملائكة وآدم : فقال الله للملائكة : كما لم تعلموا هذه الأسماء ؛ فليس لكم علم أنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته . ولذلك أخفيت عنكم أي أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني . قال : وسبق

(١) ليست في العتيقة .

(٢) في الأصل : من . والمثبت من العتيقة .

(٣) ليست في العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) كذا بالغيبة في الموضعين . وهي قراءة سبعية .

(٦) في الأصل : واختاره مالك وابن جرير . والمثبت من العتيقة .

من الله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود ١١٩] قال : ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه ، قال : فلما<sup>(١)</sup> رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقرؤا له بالفضل .

وقال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عباس وهو أن معنى قوله : ﴿وأعلم ما تبون﴾ : وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض \_ ما تظهرون بألسنتكم ﴿وما كنتم تكتمون﴾<sup>(٢)</sup> تخفونه في أنفسكم ، فلا يخفى علي شيء . سواء عندي سرائركم وعلايتكم . والذي أظهوره بألسنتهم قولهم : ﴿أجعل فيها من يفسد فيها﴾ والذي كانوا يكتُمونه ما كان عليه منطويا إبليس ، من الخلاف على الله في أمره ، والتكبر عن طاعته .

قال : وصح ذلك كما تقول العرب : قَتَلَ الجَيْشُ وهَزَمُوا ، وإنما قَتَلَ الواحدُ أو البعض ، وهَزَمَ الواحدُ أو البعض ، فيخرج الخبر عن المهزوم منه أو المقتول ، مخرج الخبر عن جميعهم . كما قال تعالى : ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ ذكر أن الذي نادى إنما كان واحدا من بني تميم . قال : وكذلك قوله : ﴿وأعلم ما تبون وما كنتم تكتمون﴾ .

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾

وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته ، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم . وقد دل على ذلك أيضا أحاديث<sup>(٣)</sup> كثيرة ، منها : حديث الشفاعة المتقدم ، وحديث موسى عليه السلام : رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة . فلما اجتمع به قال : أنت آدم الذي (خلقك الله)<sup>(٤)</sup> بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته . قال : وذكر الحديث كما سيأتي .

وقال ابن جرير : ثنا أبو كريب ، ثنا عثمان بن سعيد ، ثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن ، خلقوا من نار السموم ، من بين الملائكة . وكان اسمه الحارث ، وكان خازنا من خزان الجنة ، قال : وخلققت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي . قال : وخلققت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار (وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا أهببت)<sup>(٥)</sup> قال : وخلق الإنسان من طين . فأول من سكن

(١) في الأصل : ولما . والمثبت من العتيقة .

(٢) ليست في العتيقة .

(٣) في العتيقة : أحاديث أيضا .

(٤) في الأصل : خلقه . والمثبت من العتيقة .

(٥) زيادة من العتيقة .

الأرض الجن ، فأفسدوا فيها وسفكوا (الدماء)<sup>(١)</sup> ، وقتل بعضهم بعضا . قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة \_ وهم هذا الحي الذين يقال لهم<sup>(٢)</sup> : الجن \_ فقتلهم إبليس ومن معه ، حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه ، فقال : قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد . قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم يطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه ، فقال الله تعالى للملائكة الذين معه : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ فقالت الملائكة مجيبين له : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء ، وإنما بعثنا عليهم لذلك ؟ فقال : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ يقول : إني قد اطلعت على قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره ، قال : ثم أمر بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم ﴿ من طين لازب ﴾ \_ واللازب : اللزج الطيب \_ ﴿ من حميا مسنون ﴾ \_ منتن \_ وإنما كان حمياً مسنوناً بعد التراب ، فخلق منه آدم بيده قال : فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى . وكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوت . قال : فهو قول الله تعالى : ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ [ الرحمن ١٤ ] يقول : كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت . قال : ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره ، ويدخل من دبره ، ويخرج من فيه . ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشيء ما خلقت ، ولئن سلطتُ عليك لأهلكنك ، ولئن سلطتُ علي لأعصينك . قال : فلما نفخ الله فيه من روحه ، أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً ، فلما انتهت النفخة إلى سرتة ، نظر إلى جسده ، فأعجبه ما رأى من جسده ، فذهب لينهض فلم يقدر . فهو قول الله تعالى ﴿ وكان<sup>(٣)</sup> الإنسان عجولاً ﴾ [ الإسراء ١١ ] قال : ضجرٌ ، لا صبر له على سراء ولا ضراء . قال : فلما تمت النفخة في جسده ، عطس ؛ فقال : الحمد لله رب العالمين \_ بإلهام الله \_ فقال الله له : يرحمك الله يا آدم . قال : ثم قال الله تعالى للملائكة \_ الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات \_ : اسجدوا لآدم ، فسجدوا كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى واستكبر \_ لما كان حدث نفسه من الكبر والاعتزاز \_ فقال : لا أسجد له ، وأنا خير منه ، وأكبر سناً ، وأقوى خلقاً ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين . يقول : إن النار أقوى من الطين . قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله \_ آيسه من الخير كله \_ وجعله شيطاناً رجيماً ، عقوبة لمعصيته ، ثم علم آدم الأسماء كلها \_ وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ، وأشبه ذلك من الأمم وغيرها . ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة \_ يعني الملائكة الذين كانوا مع إبليس الذين خلقوا من نار السموم \_ وقال لهم : ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء ﴾ يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ : إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة ؟

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : هن . وهو خطأ فاحش . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : وخلق . وهو خطأ والمثبت من العتيقة وهو الموافق للنص القرآني .

قال: فلما علمت الملائكة موجدة الله عليهم ، فيما تكلموا به من علم الغيب ، الذي لا يعلمه غيره ، الذي ليس لهم به علم ؛ ﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره ، تبنا إليك ﴿ لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ تبريا منهم من علم الغيب ، ﴿ إلا ما علمتنا ﴾ كما علمت آدم فقال : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ يقول : أخبرهم ( ﴿ فلما أنبأهم ﴾ يقول أخبرهم )<sup>(١)</sup> ﴿ بأسمائهم قال : ألم أقل لكم ﴾ أيها الملائكة خاصة ﴿ إني أعلم غيب السموات والأرض ﴾ ولا يعلم غيري ﴿ وأعلم ما تبدون ﴾ يقول : ما تظهرون ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية ، يعني ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز .

هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر ، يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور .

وقال السدي في تفسيره : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : لما فرغ الله من خلق ما أحب ، استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم : الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازنا فوق في صدره وقال : ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي على الملائكة ، فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ فقالوا<sup>(٢)</sup> : ربنا وما يكون ذلك<sup>(٣)</sup> الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض ، ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضا . قالوا : ربنا ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ يعني : من شأن إبليس . فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقص<sup>(٤)</sup> مني ، أو تشيني . فرجع ، ولم يأخذ ، وقال : رب ! إنها<sup>(٥)</sup> عادت بك فأعدتها ، فبعث ميكائيل<sup>(٦)</sup> فعادت منه ، فأعادها ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعادت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلط ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به ، فبُلَّ التراب حتى عاد طينا لازبا \_ واللازب هو الذي يلترق بعضه ببعض \_ ثم قال للملائكة : ﴿ إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [ ص ٧١، ٧٢ ] فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له : تتكبر عما عملت

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : قالوا . والمثبت من العتيقة .

(٣) في العتيقة : ذاك .

(٤) في الأصل : تقبض . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : مني . والمثبت من العتيقة .

(٦) في العتيقة : ميكائيل .

بيدي، ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشرا؟ فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة، فذلك<sup>(١)</sup> حين يقول ﴿من صلصال كالفخار﴾ [الرحمن ١٤] ويقول: لأمر ما خلقت! ودخل من فيه فخرج من دبره، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد وهذا أجوف. لئن سلطت عليه لأهلكنه. فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح، فدخل الروح في رأسه، عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله. فقال: الحمد لله. فقال له الله: رحمك ربك. فلما دخلت الروح في عينيه، نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح في جوفه، اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء ٣٧] ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ [الحجر ٣١، ٣٠] ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾، قال الله له: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدي، قال: أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر<sup>(٢)</sup> خلقته من طين. قال الله له: ﴿أخرج منها فما يكون لك﴾ يعني ما ينبغي لك ﴿أن تتكبر فيها فأخرج إنك من الصاغرين﴾، والصغار هو: الذل. قال: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ ثم عرض الخلق على الملائكة ﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا له: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ قال الله: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ قال: قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ فهذا الذي أبدوا ﴿وأعلم ما تكتمون﴾ يعني: ما أسر إبليس في نفسه من الكبر.

فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج<sup>(٣)</sup> ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم.

والحاكم يروي في مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء، ويقول: هو على شرط البخاري.

والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، دخل إبليس في خطابهم، لأنه وإن لم يكن من عنصرهم، إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر. وسنبسط المسألة إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف ٥٠].

(١) في الأصل: لذلك. والمثبت من العتيقة.

(٢) في الأصل: لمن. والمثبت من العتيقة.

(٣) في الأصل: مدرجا. والمثبت من العتيقة.

ولهذا قال محمد بن إسحاق : عن خلاد ، عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل<sup>(١)</sup> أن يركب المعصية من الملائكة ، اسمه عزازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهادا ، وأكثرهم علما ، فذلك<sup>(٢)</sup> دعاه إلى الكبر ، وكان من<sup>(٣)</sup> حي يسمون جنا .

وفي رواية : عن خلاد ، عن عطاء ، عن طاوس ، أو مجاهد ، عن ابن عباس أو غيره بنحوه .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عباد يعني : ابن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل ، وكان من أشرف الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة ، ثم (أبلس)<sup>(٤)</sup> بعد .

وقال سنيد : عن حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة ، وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض . وهكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس سواء .

وقال صالح مولى التوأمة : عن ابن عباس : إن من الملائكة قبيلة يقال لهم : الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فمسخه الله شيطانا رجيمًا . رواه ابن جرير .

وقال قتادة : عن سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

وقال ابن جرير ، ثنا محمد بن بشار ، ثنا عدي بن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس . وهذا إسناد صحيح عن الحسن .

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء .

وقال شهر بن حوشب : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة ، فذهب به إلى السماء . رواه ابن جرير .

وقال سنيد بن داود : ثنا هشيم ، أنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن نمير ، وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد بن مسعود قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس ، وكان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها ، فلما أمروا بالسجود لآدم ، سجدوا<sup>(٥)</sup> فأبى إبليس . فلذلك قال تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في العتيقة : فلذلك .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) في الأصل : إن إبليس . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : فسجدوا . والمثبت من العتيقة .

وقال ابن جرير : ثنا محمد بن سنان القزاز ، ثنا أبو عاصم ، عن شريك ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق خلقا فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا : لا نفعل ، فبعث الله عليهم نارا تحرقتهم . ثم خلق خلقا آخر ، فقال : إني خالق بشرا من طين ، اسجدوا لآدم . قال : فأبوا ، فبعث الله عليهم نارا ، فأحرقتهم . ثم خلق هؤلاء ، فقال : اسجدوا لآدم . قالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ، فإن فيه رجلا مبهما ، ومثله لا يحتج به . والله أعلم<sup>(١)</sup> .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا أبو أسامة ، ثنا صالح بن حيان ، ثنا عبد الله بن بريدة : قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ من الذين أبوا فأحرقتهم النار .

وقال أبو جعفر : عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ يعني : من العاصين .

وقال السدي ﴿ وكان من الكافرين ﴾ : الذين لم يخلقهم الله (يومئذ)<sup>(٢)</sup> ، يكونون بعد .

وقال محمد بن كعب القرظي : ابتداء الله خلق إبليس على الكفر والضلالة ، وعمل بعمل الملائكة ، فصيره إلى ما أبدا عليه خلقه من الكفر ، قال الله تعالى : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ فكانت الطاعة لله ، والسجدة (لآدم) ، أكرم الله (تعالى) آدم أن أسجد له ملائكته<sup>(٣)</sup> .

(فقال بعض الناس : كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام ، كما قال تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال : يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ﴾ [يوسف ١٠٠] .

وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ، ولكنه نسخ في ملتنا ، قال معاذ : قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلماهم ، فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : " لا ، لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظيم حقه عليها " . ورجحه الرازي .

وقال بعضهم : بل كانت السجدة لله وآدم قبله فيها كما قال : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ [الإسراء ٧٨] وفي هذا التنظير نظر . والأظهر أن القول الأول أولى ، والسجدة لآدم إكراما وإعظاما واحتراما وسلاما ، وهي طاعة لله عز وجل لأنها امتثال لأمره تعالى ، وقد قواه فخر الدين الرازي في تفسيره

(١) هنا في الأصل يوجد أثر قتادة الآتي بعد قليل . وقد أثبتناه هناك موافقة للعتيقة وهو الأنسب .

(٢) في الأصل : ابن . والمثبت من العتيقة .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) هذا موضع الأثر في العتيقة ، وموضعه في الأصل قد تقدم وأشرنا إليه هناك . وما بين الأقواس من العتيقة . وللأثر تكلمة في الأصل ، جاءت في العتيقة بعد ما يأتي في مسألة السجود ، وهو مكائحا المناسب وسوف نثبتها هناك أيضا .

وضعف ماعده من القولين الآخرين ، وهما : كونه جعل قبلة ، إذ لا يظهر فيه شرف . والآخر : أن المراد بالسجود الخضوع ، لا الإنحناء ووضع الجبهة على الأرض ، وهو ضعيف كما قال<sup>(١)</sup> .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام على ما أعطاه الله من الكرامة . وقال : أنا ناري وهذا طيني . وكان بدء الذنوب الكبير ، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم عليه السلام<sup>(٢)</sup> .

(قلت : وقد ثبت في الصحيح : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر " . وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ، ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحظيرة القدس .

قال بعض المفسرين<sup>(٣)</sup> : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ أي : وصار من الكافرين بسبب امتناعه ، كما قال : ﴿ فكان من المغرقين ﴾ [ هود ٤٣ ] وقال : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ .

وقال الشاعر :

بتيهَاءِ قَفْرِ ، وَالْمَطْيِيُّ كَأَمَّا  
قَطَا الْحَزْنَ قَد كَانَتْ فَرَاخًا يُبْوِضُهَا

أي : قد صارت .

وقال ابن فورك : تقديره : وكان في علم الله من الكافرين ، ورجحه القرطبي .

وذكر هاهنا مسألة<sup>(٤)</sup> فقال : قال علماؤنا رحمهم الله : من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات ، وخوارق للعادات ، فليس ذلك دالا على ولايته ، خلافا لبعض الصوفية والرافضة . هذا لفظه .

ثم استدل على ما قال : بأننا لا نقطع بهذا الذي جرى الخارق على يديه ، أنه يوافي الله بالإيمان ، ولا هو يقطع لنفسه بذلك .

يعني : والولي هو (الذي)<sup>(٥)</sup> يُقَطَّعُ له بذلك في نفس الأمر .

قلت : وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يدي غير الولي ، بل قد يكون على يدي الفاجر والكافر أيضا ؛ بما ثبت عن ابن صياد أنه قال : هو الدخ . حين خبأ له رسول الله ﷺ :

﴿ فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين ﴾ [ الدخان ١٠ ] ، وبما كان يصدر عنه (من)<sup>(٦)</sup> أنه كان يمأل الطريق إذا غضب ، حتى ضربه عبد الله بن عمر . وبما ثبتت به الأحاديث عن الدجال ، بما يكون على

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) هذا موضع بقية أثر قتادة في العتيقة وقد تقدم الإشارة إلى ذلك .

(٣) في ح : المعربين . والمثبت من العتيقة .

(٤) المناسبة لذكر هذه المسألة حال إبليس الأولى من القرب ثم ما آل إليه من اللعنة والإبعاد .

(٥) زيادة من ح .

(٦) زيادة من ح .

يديه من الخوارق الكثيرة<sup>(١)</sup> ، من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب ، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه ، إلى غير ذلك من الأمور المهولة .  
وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصديقي قلت للشافعي : كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء<sup>(٢)</sup> ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . فقال الشافعي : قصر الليث رحمه الله ! بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة<sup>(٣)</sup> .

(وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء : هل المأمور بالسجود لآدم خاص بملائكة الأرض أو عام في ملائكة السموات والأرض ؟ وقد رجح كلا من الفريقين طائفة ، وظاهر الآية الكريمة العموم : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ﴾ [ الحجر ٣١، ٣٠ ، ص ٧٤، ٧٣ ] ، فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم والله أعلم<sup>(٤)</sup> .

﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ .

يقول الله تعالى إخبارا عما أكرم به آدم ، بعد أن أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس : إنه أباحه الجنة ، يسكن منها حيث يشاء ، ويأكل منها ما شاء رغدا ، أي : هنيئا واسعا طيبا .  
وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث محمد بن عيسى الدامغاني ، ثنا سلمة بن الفضل ، عن ميكائيل ، عن ليث ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله أريت آدم ! أنبيا كان ؟ قال : " نعم نبيا رسولا ، كلمه الله قبلا<sup>(٥)</sup> " (يعني عيانا)<sup>(٦)</sup> . فقال : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ .

(١) في ح : الكبيرة .

(٢) في ح زيادة : ويطير في الهواء . والصواب عدمها ليستقيم الكلام .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من ح .

(٥) عليها تعليق في العتيقة : يعني سمع كلامه بلا واسطة .

(٦) زيادة من ح .

وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أهي في السماء أم في الأرض ؟ فالأكثر على الأول ، (وحكى القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض)<sup>(١)</sup> ، وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى .

وسياق الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم إلى الجنة . وقد صرح بذلك محمد بن إسحاق حيث قال : لما فرغ الله من معاناة إبليس ، أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها . فقال : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ إلى قوله ﴿ إنك أنت العليم الحكيم ﴾ قال : ثم ألقيت السنة على آدم \_ فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة ، وغيرهم من أهل العلم عن ابن عباس وغيره \_ ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانه لحما \_ وادم نائم لم يهب من نومه \_ حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة ليسكن إليها . فلما كشف عنه السنة وهب من نومه ، رآها إلى جنبه فقال \_ فيما يزعمون \_ والله أعلم \_ : لحمي ، ودمي ، وزوجتي<sup>(٢)</sup> ، فسكن<sup>(٣)</sup> إليها . فلما زوجه الله ، وجعل له سكنا من نفسه ، قال له قبلا : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ .

ويقال : إن خلق حواء كان بعد دخوله الجنة . كما قال السدي في خبر<sup>(٤)</sup> ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : أخرج إبليس من الجنة ، وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشا ، ليس له زوج يسكن إليه ، فنام نومة فاستيقظ ، وعند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلي . قالت له الملائكة \_ ينظرون ما بلغ من علمه \_ : ما اسمها<sup>(٥)</sup> يا آدم ؟ قال : حواء . قال : ولم حواء ؟ قال : إنها خلقت من شيء حي . قال الله : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾ .

وأما قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ فهو اختبار<sup>(٦)</sup> من الله تعالى ، وامتحان لآدم . وقد اختلف في هذه الشجرة ماهي ؟

فقال السدي عن حدثه ، عن ابن عباس : الشجرة التي نهي عنها آدم عليه السلام : هي الكرم . وكذا قال سعيد بن جبير ، والسدي ، والشعبي ، وجعدة بن هبيرة ، ومحمد بن قيس .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : وروحي . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : يسكن . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : تفسيره . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : ما اسمه . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : إخبار . والمثبت من العتيقة .

وقال السدي أيضا في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ : هي الكرم . وتزعم يهود أنها الحنطة .

وقال ابن جرير وابن أبي حاتم : ثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي ، ثنا (أبو) يحيى الحماني ، ثنا النضر أبو عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الشجرة التي نهي عنها آدم هي السنبل . وقال عبد الرزاق : ثنا ابن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : هي السنبل .

وقال محمد بن إسحاق ، عن رجل من أهل العلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هي البر . وقال ابن جرير : حدثني المثني بن إبراهيم ، ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا القاسم ، حدثني رجل من بني تميم أن ابن عباس كتب إلى أبي الجلد<sup>(١)</sup> يسأله<sup>(٢)</sup> عن الشجرة التي أكل منها آدم ، والشجرة التي تاب عندها آدم . فكتب إليه أبو الجلد : سألتني عن الشجرة التي نهي عنها آدم ، وهي السنبل . وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم ، وهي الزيتون .

وكذلك فسره الحسن البصري ، ووهب بن منبه ، وعطية العوفي ، وأبو مالك ، ومحارب<sup>(٣)</sup> بن دثار ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وقال محمد بن إسحاق : عن بعض أهل اليمن ، عن وهب بن منبه أنه كان يقول : هي البر ، ولكن الحبة منها في الجنة ، ككلى البقر ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل .

وقال سفيان الثوري : عن حصين ، عن أبي مالك ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ قال : النخلة .

وقال ابن جريج : عن مجاهد ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ قال : تينة .

وبه قال قتادة وابن جريج .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية : كانت الشجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث .

وقال عبد الرزاق : ثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهرب قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن أكل الشجرة ، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة التي نهي الله عنها آدم وزوجته .

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : مجلد . والمثبت من العتيقة . وكذا في الموضع التالي .

(٣) في الأصل : فسأله .

(٤) في الأصل : والحارث . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : من . والمثبت من العتيقة .

فهذه أقوال ستة في تعيين هذه الشجرة .

قال الإمام العلامة أبو جعفر بن جرير رحمه الله : والصواب في ذلك أن يقال : إن الله عز وجل ثناؤه نهي آدم وزوجته ، عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فأكلا منها ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة . وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها . وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به . والله أعلم .

(وكذلك رجح الإجماع فخر الدين الرازي في تفسيره وغيره وهو الصواب)<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله : ﴿ عَنْهَا ﴾ عائدا إلى الجنة ، فيكون معنى الكلام ، كما قال عاصم بن بهدلة \_ وهو ابن أبي النجود \_ : ﴿ فَأَزَلَهُمَا ﴾ أي : فنحاهما . ويصح أن يكون عائدا على أقرب المذكورين ، وهو الشجرة ، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة : ﴿ فَأَزَلَهُمَا ﴾ أي : من قبل<sup>(٢)</sup> الزلل ، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ أي : بسببها<sup>(٣)</sup> . كما قال : ﴿ يُوَفِّكُ عَنْهُ مِنَ الْوَعْدِ ﴾ [ الذاريات ٩ ] أي : يصرف بسببه من هو مأفوك . ولهذا قال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أي : من اللباس ، والمنزل الرحب ، والرزق الهنيء ، والراحة .

﴿ وَقَلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ ﴾ (أي)<sup>(٤)</sup> : قرار ، وأرزاق ، وآجال ﴿ إِلَى حِينٍ ﴾ أي : إلى وقت مؤقت ومقدار معين ، ثم تقوم القيامة . وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده ، وأبي العالية ، ووهب بن منبه ، وغيرهم هاهنا ، أخبارا إسرائيلية عن قصة الحية<sup>(٥)</sup> وإبليس ، وكيف جرى من دخول إبليس (إلى)<sup>(٦)</sup> الجنة ، ووسوسته ، وسنبسط ذلك إن شاء الله في سورة الأعراف ، فهناك القصة أبسط منها هاهنا ، والله الموفق .

وقد قال ابن أبي حاتم هاهنا : ثنا علي بن الحسن بن إشكاب ، ثنا علي بن عاصم ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله خلق آدم رجلا طويلا ، كثير شعر الرأس ، كأنه نخلة سحوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول ما بدا منه

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : قبيل . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : نسيها . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل هنا زيادة : إلى حين .

(٥) زيادة من العتيقة .

(٦) في الأصل : الجنة . والمثبت من العتيقة .

(٧) زيادة من العتيقة .

عورته ، فلما نظر إلى عورته ، جعل يشتد في الجنة ، فأخذت شعره شجرة ، فنازعها ، فناداه الرحمن : يا آدم مني تفر ؟ فلما سمع كلام الرحمن قال يارب : لا ، ولكن استحياء .

قال : وحدثني جعفر بن أحمد بن الحكم القومسي<sup>(١)</sup> سنة أربع وخمسين ومائتين ، ثنا سليمان بن منصور بن عمار ، ثنا علي بن عاصم ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : " لما ذاق آدم من الشجرة ، مر هاربا ، فتعلقت شجرة بشعره ، فنودي : يا آدم أفرارا مني ؟ قال : بل حياء منك . قال : يا آدم اخرج من جوارى ، فبعزتي لا يساكنني فيها من عصائي ، ولو خلقت مثلك ملء الأرض خلقا ، ثم عصوني ، لأسكنتهم دار العاصين .

هذا حديث غريب ، وفيه انقطاع ، بل إعضال ، بين قتادة وأبي بن كعب ﷺ .

وقال الحاكم : ثنا أبو بكر بن بالويه ، عن محمد بن أحمد بن النضر ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن عمار بن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما أسكن<sup>(٢)</sup> آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . (وقال عبد بن حميد في تفسيره : ثنا روح ، عن هشام ، عن الحسن قال : لبث آدم في الجنة ساعة من نهار ، تلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا)<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس : فأخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فأخرج آدم معه غصنا من شجر الجنة ، على رأسه تاج من شجر الجنة ، وهو الإكليل من ورق الجنة . وقال السدي : قال الله : ﴿ اهبطوا منها جميعا ﴾ فهبطوا ، فنزل آدم بالهند ، (وأُنزل معه بالحجر الأسود ، وبقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند)<sup>(٤)</sup> ، فنبتت شجرة الطيب . فإنما أصل ما يجاء به من الهند من الطيب ، من قبضة الورق التي هبط بها آدم ، وإنما قبضها آدم حين أخرج من الجنة ، أسفا على الجنة حين أخرج منها .

وقال عمران بن عيينة : عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم (من الجنة)<sup>(٥)</sup> بدحناء أرض بالهند<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبو زرعة ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها : دحناء<sup>(٧)</sup> ، بين مكة والطائف .

(١) في الأصل : القونسي . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : سكن . والمثبت من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٥) ليست بالعتيقة .

(٦) في الأصل : الهند . والمثبت من العتيقة .

(٧) في الأصل : دحنا . والمثبت من العتيقة .

وعن الحسن البصري قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدست ميسان من البصرة على أميال ، وأهبطت الحية بأصبهان . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا محمد بن عمار بن الحارث ، ثنا محمد بن سعيد بن سابق ، ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن (الزبير)<sup>(١)</sup> بن عدي ، عن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفاء ، وحواء بالمروءة . وقال رجاء بن سلمة : أهبط آدم عليه السلام يدها على ركبتيه ، مطأطئا رأسه . وأهبط إبليس مشتبكا بين أصابعه ، رافعا رأسه إلى السماء .

وقال عبد الرزاق : قال معمر : أخبرني عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى قال : إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض ، علمه صنعة كل شيء ، وزوده من ثمار الجنة ، فتماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير .

وقال الزهري : عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها . رواه مسلم والنسائي .

(قال فخر الدين : اعلم أن في هذه الآية تهديدا عظيما عن كل المعاصي من وجوه : الأول : إن من تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة ، كان على وجل شديد من المعاصي . قال الشاعر :

يا ناظرا يرنو بعيني راقد<sup>(٢)</sup> ومشاهدا للأمر غير مشاهد  
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان ونزل فوز<sup>(٣)</sup> العابد  
أنسيت ربك حين أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد

قال ابن القاسم : ولكننا سبي العدو ، فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم . قال الرازي عن فتح الموصلي أنه قال : كنا قوما من أهل الجنة ، فسبانا إبليس إلى الدنيا ، فليس لنا إلا الهم والحزن ، حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها .

فإن قيل : فإذا كانت جنة آدم التي أسكنها في السماء كما يقوله الجمهور من العلماء ، فكيف تمكن إبليس من دخول الجنة ، وقد طرد من هنالك طردا قديرا ، والقدري لا يخالف ولا يمانع ؟ فالجواب : إن هذا بعينه استدلل به من يقول : إن الجنة التي كان فيها آدم في الأرض ، لا في السماء ، كما قد بسطنا هذا في أول كتابنا البداية والنهاية ، وأجاب الجمهور بأجوبة ، أحدها : أنه منع من دخول الجنة مكرما ،

(١) زيادة من العتيقة .

(٢) في العتيقة : واحد . والمثبت من ح .

(٣) في ح : ونول نور .

فأما على وجه السرقة والإهانة، فلا يمتنع ، ولهذا قال بعضهم كما جاء في التوراة : إنه دخل في فم الحية إلى الجنة . وقد قال بعضهم : يحتمل أنه وسوس إليهما ، وهو خارج باب الجنة . وقال بعضهم : يحتمل أنه وسوس لهما في الأرض ، وهما في السماء . ذكرها الزمخشري وغيره . وقد أورد القرطبي هاهنا أحاديث في الحيات وقتلهن ، وبيان حكم ذلك ، فأجاد وأفاد<sup>(١)</sup> .

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾

قيل : إن هذه الكلمات<sup>(٢)</sup> مفسرة بقوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [ الأعراف ٢٣ ] .

روي هذا عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن رجل من بني تميم قال : أتيت ابن عباس فسألته ، قلت : ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه ؟ قال : عُلم شأن الحج .

وقال سفيان الثوري : عن (عبد)<sup>(٣)</sup> العزيز بن رفيع ، أخبرني من سمع عبيد بن عمير ، وفي رواية (قال)<sup>(٤)</sup> : أخبرني مجاهد ، عن عبيد بن عمير أنه قال : قال آدم : يارب خطيئتي التي أخطأت ! شيء كتبت على قبل أن تخلقني ؟ أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال : بل كتبت عليك قبل أن أخلقك . قال : فكما كتبت علي فاغفره لي ! قال : فذلك قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ .

وقال السدي : عمن حدثه ، عن ابن عباس ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ قال : قال آدم عليه السلام : يارب ! ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى . ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى . وعطست فقلت : يرحمك الله ، وسبقت رحمك غضبك ؟ قيل : بلى . وكتبت علي أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى . قال : أفرأيت إن تبث ! هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم .

وكذا رواه العوفي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن معبد ، عن ابن عباس بنحوه .

(١) في العتيقة : وأبان . والمثبت من ح .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) في الأصل : الآيات . والمثبت من العتيقة .

(٤) سقط من الأصل . والمثبت من العتيقة .

(٥) زيادة من العتيقة .

ورواه الحاكم في مستدرکه من حدیث سعید بن جبیر، عن ابن عباس ، وقال : صحیح الإسناد ولم یخرجاه .

وهكذا فسرہ السدی وعطیة العوفی .

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثا شبيها بهذا فقال : ثنا علي بن الحسين بن إشكاب ، ثنا علي بن عاصم ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : قال آدم عليه السلام : أرأيت يارب إن تبت ورجعت ! أعائدي إلى الجنة ؟ قال : نعم . فذلك قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفيه انقطاع .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ قال : إن آدم لما أصاب الخطيئة . قال : يارب ! أرأيت إن تبت وأصلحت ؟ قال الله : إذا أرجعتك إلى الجنة . فهي من الكلمات ، ومن الكلمات أيضا : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ قال : الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك ومحمدك ، رب إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك خير الغافرين . اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك ومحمدك ، رب إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ، إنك خير الراحمين . اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك ومحمدك ، رب إني ظلمت نفسي ، فتب علي ، إنك أنت التواب الرحيم .

وقوله تعالى : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ أي : إنه يتوب على من تاب إليه وأتاب . كقوله : ﴿ ألم يعلموا<sup>(١)</sup> أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ [التوبة ١٠٤] وقوله : ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم استغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا ﴾ [النساء ١١٠] وقوله : ﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ [الفرقان ٧١] ، وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب ، ويتوب على من يتوب ، وهذا من لطفه بخلقه ، ورحمته بعبده ، لا إله إلا هو التواب الرحيم .

(وذكرنا في المسند الكبير من طريق سليمان بن سليم عن ابن بريدة \_ وهو سليمان \_ عن أبيه عن النبي ﷺ قال : لما أهبط الله آدم إلى الأرض ، طاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي ، فاقبل معذرتي . وتعلم حاجتي ، فأعطني سؤلي . وتعلم ما عندي ، فاغفر ذنوبي . أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا ، حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي . قال : فأوحى الله إليه : إنك قد دعوتني بدعاء استجيب لك فيه ، ولمن يدعوني به ، وفرجت همومه

(١) في الأصل : تعلموا . وهو خطأ . والمثبت من العتيقة وهو الموافق لنص القرآن .

وغمومه ، ونزعت فقره من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وأتته الدنيا وهي كارهة ، وإن لم يردھا . رواه الطبراني في معجمه الكبير<sup>(١)</sup> .

﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .  
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

يقول تعالى مخبرا عما أُنذر به آدم وزوجته وإبليس حين<sup>(٢)</sup> أهبطهم من الجنة \_ والمراد الذرية \_ : أنه سينزل الكتب ، ويبعث الأنبياء والرسول .  
كما قال أبو العالية : الهدى : الأنبياء والرسول والبيان .  
وقال مقاتل بن حيان : الهدى : محمد ﷺ .  
وقال الحسن : الهدى : القرآن .  
وهذان القولان صحيحان ، وقول أبي العالية ؛ أعم .

﴿ فمن تبع هداي ﴾ أي : من أقبل على ما أنزلت به الكتب ، وأرسلت به الرسل ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي : فيما يستقبلون من أمر الآخرة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا ، كما قال في سورة طه : ﴿ قال اهبطا منها جميعا (بعضكم لبعض عدو)<sup>(٣)</sup> فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ [ طه ١٢٣ ] قال ابن عباس : فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [ طه ١٢٤ ] كما قال هاهنا : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ أي : مخلدون فيها ، لا محيد لهم عنها ولا محيص .

وقد أورد ابن جرير رحمه الله ، هاهنا حديثا ساقه من طريقين ، عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة ، عن أبي سعيد \_ واسمه سعد بن مالك بن سنان \_ الحدري قال : قال رسول الله ﷺ : " أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، لكن أقواما<sup>(٤)</sup> أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم ، فأماتتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما ، أذن في الشفاعة " .  
وقد رواه مسلم من حديث شعبة عن أبي مسلمة<sup>(٥)</sup> به .

(١) زيادة من نسخة المصنف ، والمكية .

(٢) في الأصل : حتى . والمثبت من العتيقة .

(٣) ساقطة من الأصل . والمثبت من العتيقة وهو الموافق للنص القرآني .

(٤) في الأصل : أقوام . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : سلمة . والمثبت من العتيقة وهو الموافق للموضع السابق .

(وذكر هذا الإهباط الثاني ، لما تعلق به بعده من المعنى المغاير للأول . وزعم بعضهم أنه تأكيد وتكرير ، كما يقول : قم ، قم . وقال آخرون : بل<sup>(١)</sup> الإهباط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا ، والثاني من سماء الدنيا إلى الأرض . والصحيح الأول ، والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ﴾  
يقول تعالى آمرا بني إسرائيل بالدخول في الإسلام ، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، ومهيجا لهم بذكر أبيهم إسرائيل ، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ، وتقديره : يا بني العبد الصالح المطيع لله ، كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق ، كما تقول : يا ابن الكريم ، افعل كذا . يا ابن الشجاع ، بارز الأبطال . يا ابن العالم اطلب العلم ، ونحو ذلك .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ﴾ [الإسراء ٣] فإسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي : ثنا عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب قال : حدثني عبد الله بن عباس قال : حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقال لهم : " هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب " . قالوا : اللهم نعم . فقال النبي ﷺ : " اللهم اشهد " .  
وقال الأعمش : عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير<sup>(٣)</sup> مولى ابن عباس ، عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك : عبد الله .

وقوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ قال مجاهد : نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سمي وفيما سوى ذلك : فاجر لهم الحجر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأنجاهم من عبودية<sup>(٤)</sup> آل فرعون . وقال أبو العالية : نعمته : أن جعل منهم الأنبياء والرسل ، أو نزل عليهم الكتب .  
قلت : وهذا كقول موسى عليه السلام لهم : ﴿ يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ﴾ [المائدة ٢٠] يعني : في زمانهم .  
وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ أي : بلائي عندكم ، وعند آبائكم ؛ لما كان نجاهم به من فرعون وقومه ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ قال : بعهدي الذي أخذت من أعناقكم للنبي محمد ﷺ

(١) زيادة من ح .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) في الأصل : عمه . والمثبت من العتيقة .

(٤) في العتيقة : عبودة .

إذا جاءكم ، أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه ، بوضع ما كان عليكم من الإصر والأغلال ، التي كانت في أعناقكم ، بذنوبكم التي كانت من أحداثكم .

[وقال الحسن البصري : هو قوله : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) <sup>(١)</sup> ﴾ [المائدة ١٢] الآية .

وقال آخرون : هو الذي أخذه الله عليهم في التوراة ؛ أنه سيبعث من بني إسماعيل نبيا عظيما ، يطيعه جميع الشعوب ، والمراد به محمد ﷺ ، فمن اتبعه غفر الله له ذنبه ، وأدخله الجنة ، وجعل له أجران <sup>(٢)</sup> . وقد أورد فخر الدين الرازي ها هنا بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم (الصلاة و) <sup>(٣)</sup> السلام بمحمد ﷺ <sup>(٤)</sup> .

وقال أبو العالية : ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ قال : عهده إلى عباده ؛ دينه الإسلام ، أن يتبعوه .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ أوف بعهدكم ﴾ قال : أرضى عنكم ، وأدخلكم الجنة .

وكذا قال السدي ، والضحاك ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس .

وقوله : ﴿ وإياي فارهبون ﴾ أي : فاخشون . قاله أبو العالية ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وقتادة .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ وإياي فارهبون ﴾ أي : (أن) <sup>(٥)</sup> أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم ، من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره .

وهذا انتقال من الترغيب إلى التهيب ، فدعاهم إليه بالرغبة والرغبة ، لعلهم يرجعون إلى الحق واتباع الرسول ، والاتعاظ بالقرآن وزواجه ، وامتنال أوامره ، وتصديق أخباره ، والله الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم ، ولهذا قال : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ﴾ .

(مصدقا : منصوب على الحال من ما ، أي : بالذي أنزلت مصدقا . أو من الضمير المحذوف من قوله :

بما أنزلته مصدقا . ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل وهو قوله بما أنزلت <sup>(٦)</sup> مصدقا <sup>(٧)</sup> ) يعني به

القرآن ، الذي أنزله على محمد ﷺ ، النبي الأمي العربي ، بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، مشتملا على

الحق من الله تعالى ، مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل .

(١) زيادة من ح .

(٢) هكذا ، وهي على لغة من يلزم المثني الألف وهي لغة مشهورة .

(٣) زيادة من ح .

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

(٥) زيادة من ح . وهي ملحقة على هامش العتيقة .

(٦) عليها تعليق في العتيقة : أي إنزالا مصدقا .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

قال أبو العالية رحمه الله في قوله : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ﴾ يقول : ( يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول : <sup>(١)</sup> ) لأنهم يجدون محمدا ﷺ مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل . وروي عن مجاهد ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، نحو ذلك .

وقوله : ﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ (قال بعض المفسرين : أول فريق كافر به ، ونحو ذلك) <sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس : ﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم .

وقال أبو العالية : يقول : ولا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ (يعني من جنسكم أهل الكتاب ، بعد سماعكم بمبعثه) <sup>(٣)</sup> .

وكذا قال الحسن ، والسدي ، والربيع بن أنس .

واختار ابن جرير أن الضمير في قوله : ﴿ به ﴾ عائد على القرآن ، الذي تقدم ذكره في قوله : ﴿ بما أنزلت ﴾ .

وكلا القولين صحيح ؛ لأنهما متلازمان ، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ ، ومن كفر بمحمد ﷺ ، فقد كفر بالقرآن .

وأما قوله : ﴿ أول كافر به ﴾ فيعني به أول من كفر به من بني إسرائيل ؛ لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير . وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة ، فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن ، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم .

وقوله : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ يقول : لا تعترضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي ، بالدنيا وشهواتها ، فإنها قليلة فانية .

كما قال عبد الله بن المبارك : أنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن هارون بن يزيد قال : سئل الحسن \_ يعني البصري \_ عن قوله تعالى : ﴿ ثمنا قليلا ﴾ قال : الثمن القليل : الدنيا بحذافيرها .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ : وإن آياته : كتابه الذي أنزله إليه ، وإن الثمن القليل : الدنيا وشهواتها .

وقال السدي : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ يقول : لا تأخذوا (طمعا) <sup>(٤)</sup> قليلا ، وتكتموا اسم الله ، فذلك <sup>(٥)</sup> الطمع هو الثمن .

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) زيادة من العتيقة . وفي ح : بعض المعربين .

(٣) زيادة من العتيقة ، وفيها : بعد سماعهم . والمثبت من ح .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) في الأصل : لذلك . والمثبت من العتيقة .

وقال أبو جعفر : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ يقول : لا تأخذوا عليه أجرا . قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : يا ابن آدم علم مجانا ، كما علمت مجانا .

( وقيل : معناه لا تعناضوا عن البيان والإيضاح ، ونشر العلم النافع في الناس ، بالكتمان واللبس ، لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة ، الزائلة عن قريب .

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا ، لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة "

وأما تعليم العلم بأجرة ، فإن كان قد تعين عليه ، فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة ، ويجوز أن يتناول من بيت المال مايقوم به حاله وغياله . فإن لم يحصل له منه شيء ، وقطعه التعليم عن التكسب ، فهو كما لم يتعين عليه .

وإذا لم يتعين عليه ، فلا يجوز أن يأخذ عليه أجرة عند مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء ، كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد في قصة اللديغ : " إن أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله " وقوله في قصة المخطوبة : " زوجتكها بما معك من القرآن " .

فأما حديث عبادة بن الصامت ، أنه علم رجلا من أهل الصفة شيئا من القرآن فأهدى له قوسا ، فسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : " إن أحببت أن تطوق بقوس من نار فاقبله " فتركه . رواه أبو داود ، وروي مثله عن أبي بن كعب مرفوعا .

فإن صح إسناده فهو محمول عند كثير من العلماء \_ منهم : أبو عمر بن عبد البر \_ على أنه كان علمه لله ، فلم يجز له أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس . فأما إذا كان من أول الأمر على التعليم بالأجرة ، فإنه يصح ، كما في حديث اللديغ وحديث سهل في المخطوبة ، والله أعلم<sup>(١)</sup> .

﴿ وإياي فاتقون ﴾ قال ابن أبي حاتم : ثنا أبو عمر الدوري ، ثنا أبو إسماعيل المؤدب ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية ، عن طلق بن حبيب ، قال : التقوى : أن تعمل بطاعة الله ، رجاء رحمة الله . والتقوى : أن تترك معصية الله ، مخافة عذاب الله ، على نور من الله .

ومعنى قوله : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ أنه تعالى يتوعددهم فيما يعتمدونه<sup>(٢)</sup> من كتمان الحق وإظهار خلافه ، ومخالفتهم الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه .

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وفيها : وحديث "سعد" في المخطوبة . والمثبت من ح .

(٢) في العتيقة : يعتمدونه .

﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . ﴾

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴿

يقول تعالى ناهيا لليهود عما كانوا يعتمدونه ، من تلبسوا بالباطل ، وتمويهه به ، وكتماهم الحق وإظهارهم الباطل : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ فنهاهم عن الشيئين معا ، وأمرهم بإظهار الحق والتصريح به ؛ ولهذا قال الضحاك : عن ابن عباس ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ : تخلطوا الحق بالباطل ، والصدق بالكذب .

وقال أبو العالية : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ يقول : ولا تخلطوا الحق بالباطل ، وأدوا النصيحة لعباد الله من أمر محمد ﷺ .

وروي عن سعيد بن جبير والربيع بن أنس نحوه .

وقال قتادة : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ قال : لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام . إن دين الله الإسلام ، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله .

وروي عن الحسن البصري نحو ذلك .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ أي : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي ، وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم .

وروي عن أبي العالية نحو ذلك .

وقال مجاهد ، والسدي ، وقاتدة ، ، والربيع بن أنس ﴿ وتكتموا الحق ﴾ يعني : محمدا ﷺ .

(قلت : ﴿ وتكتموا ﴾ يحتمل أن يكون مجزوما ، ويجوز أن يكون منصوبا ، أي : لا تجمعوا بين هذا وهذا كما يقال : لا تأكل السمك وتشرب اللبن . قال الزمخشري : وفي مصحف ابن مسعود : " وتكتمون الحق " أي : في حال كتمانكم الحق . ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ حال أيضا ، ومعناه : وأنتم تعلمون الحق ، ويجوز أن يكون المعنى : وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس ، من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار ؛ أن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق ، ليروج عليهم . والبيان والإيضاح ، عكسه الكتمان وخلط الحق بالباطل) .

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ قال مقاتل : قوله تعالى لأهل الكتاب : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ : أمرهم أن يصلوا مع النبي ﷺ ( ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ : أمرهم أن يؤتوا الزكاة ، أي : يدفعونها إلى النبي ﷺ )<sup>(١)</sup> ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ : أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد ﷺ ، يقول : كونوا منهم ومعهم .

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل . والمثبت من العتيقة .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص .  
 وقال وكيع : عن أبي جناب<sup>(١)</sup> ، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ قال : ما يوجب  
 الزكاة ؟ قال : مائتان فصاعدا .  
 وقال مبارك بن فضالة : عن الحسن ، في قوله تعالى : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ قال : فريضة واجبة ، لا تنفع  
 الأعمال إلا به وبالصلاة .  
 وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبو زرعة ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير عن أبي حيان التيمي ، عن  
 الحارث العكلي في قوله : ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ قال : صدقة الفطر .  
 (وقوله : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي : وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم ، ومن أخص ذلك وأجله  
 الصلاة .  
 وقد استدلل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة ، ولبسط ذلك كتاب الأحكام الكبير إن  
 شاء الله ، وقد تكلم القرطبي على مسائل الجماعة والإمامة فأجاد<sup>(٢)</sup> .

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾

يقول تعالى : كيف يليق بكم \_ يا معشر أهل الكتاب \_ وأنتم تأمرون الناس بالبر \_ وهو جماع الخير \_  
 أن تنسوا أنفسكم ، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه  
 على من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ؟ فتنبها من رقدتكم ، وتبصروا من  
 عمايتكم ( ) .<sup>٣</sup>

وهذا كما قال عبد الرزاق : عن معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾  
 قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ، وبتقواه ، وبالبر ، ويخالفون ، فغيرهم الله عز وجل .  
 وكذلك قال السدي .

وقال ابن جريج : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ : أهل الكتاب والمنافقون ؛ كانوا يأمرون الناس بالصوم  
 والصلاة ، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس ، فغيرهم الله بذلك ، ( فمن أمر بخير ) ( ) فليكن أشد  
 الناس فيه مسارعة .

وقال محمد بن إسحاق : عن محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد ، عن ابن عباس : ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾  
 أي : تتركون أنفسكم ﴿ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ أي : تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من

(١) في الأصل : خباب . والمثبت من العتيقة .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) في العتيقة : فتنبها ، تبصروا .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل . والمثبت من العتيقة والمصدر .

النبوة والعهد من التوراة ، وتتركون أنفسكم أي : وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي ، وتتقضون ميثاقي ، وتجدون ( ) ما تعلمون من كتابي .

وقال الضحاك : عن ابن عباس في هذه الآية يقول : أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة ، وتنسوا أنفسكم ؟ .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني علي بن الحسن ، ثنا مسلم الجرمي ، ثنا مخلد بن الحسين ، عن أيوب السخيتاني ، عن أبي قلابة في قول الله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ قال : قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يمقت الناس في ذات الله ، ثم يرجع إلى نفسه ، فيكون لها أشد مقتا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية : هؤلاء اليهود ، إذا جاء الرجل يسألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء ، أمره بالحق ، فقال الله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم ، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه . وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، بل على تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف معروف ، وهو واجب على العالم ، ولكن الأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ، ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنحكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [ هود ٨٨ ] فكل من الأمر بالمعروف وفعله ، واجب ، لا يسقط أحدهما بترك الآخر ، على أصح قولي العلماء من السلف والخلف . وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي ، لا ينهى غيره عنها . وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ، فإنه لا حجة لهم فيها . والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف ، وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر ، وإن ارتكبه .

( قال مالك : عن ربيعة ، سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ، ولا نهي عن منكر . قال مالك : وصدق ! من ذا الذي ليس فيه شيء ؟ .

قلت ( ) : لكنه والحالة هذه ، مذموم على تركه ( ) الطاعة ، أو فعل ( ) المعصية لعُلمه بها ، ومخالفته على بصيرة ، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ، ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك .

( ) في الأصل : تحجون . والمثبت من العتيقة والمصدر .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

( ) في العتيقة : تركه .

( ) في العتيقة : وفعله .

كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : ثنا أحمد بن المعلى الدمشقي ، والحسن بن علي المعمري قالا : ثنا هشام بن عمار ، ثنا علي بن سليمان الكلبي ، ثنا الأعمش ، عن أبي تميم الهجيمي ، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ، ولا يعمل به ، كمثل السراج ؛ يضيء للناس ويحرق نفسه . هذا حديث غريب من هذا الوجه .

حديث آخر : قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : ثنا وكيع ، ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد هو ابن جدعان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسري بي على قوم شفاههم تقرض بمقاريض من نار ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء (أمتك) ( ) من أهل الدنيا ، ممن كانوا يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم ( ) ، وهم يتلوّن الكتاب أفلا يعقلون ؟ ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره ، عن الحسن بن موسى ، عن حماد بن سلمة به . ورواه ابن مردويه في تفسيره ، من حديث يونس بن محمد المؤدب ، والحجاج بن منهال ، كلاهما عن حماد بن سلمة به .

وكذا رواه يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة .

ثم قال ابن مردويه : ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببليخ ، ثنا مكّي بن إبراهيم ، ثنا عمر بن قيس ، عن علي بن زيد ، عن ثمامة ، عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه أيضا ، من حديث هشام الدستوائي ، عن المغيرة \_ يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار \_ (عن مالك بن دينار) ( ) ، عن ثمامة ، عن أنس بن مالك قال : لما عرج برسول الله ﷺ ، مر بقوم تقرض شفاههم ، فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم أفلا يعقلون ؟ .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : ثنا يعلى بن عبيد ، ثنا الأعمش ، عن أبي وائل قال : قيل لأسماء \_ وأنا رديفه \_ : ألا تكلم عثمان ؟ فقال : إنكم ترون أبي لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ إني لأكلمه ( ) فيما بيني وبينه ، ما دون أن أفتح أمرا ، لا ( ) أحب أن أكون أول من افتتحه . والله لا أقول لرجل : إنك خير الناس \_ وإن كان علي أميرا \_ بعد أن سمعت رسول الله ﷺ . قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال :

( ) زيادة من ح . والمصدر .

(٢) في الأصل : أنفسكم . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٤) في الأصل : لا أكلمه . وهو خطأ . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٥) في الأصل : إلا . وهو خطأ . والمثبت من العتيقة والمصدر .

سمعته يقول : يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى بالنار ، فتندلق ( ) به أقتابه ، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون : يا فلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت أمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن المنكر وآتية .  
ورواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن (مهران) ( ) الأعمش به نحوه .  
[وقال أحمد( )] : حدثنا سيار ( ) بن حاتم ؛ ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله يعافي الأमीين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء " .  
وقد ورد في بعض الآثار أنه يغفر للجاهل سبعين مرة ، حتى يغفر للعالم مرة واحدة ، ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وقال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر ٩] .  
وروى ابن عساکر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبي ﷺ قال : إن أناسا من أهل الجنة ، يطلعون على أناس من أهل النار ، فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ! فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل .

ورواه من حديث الطبراني عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي ، عن زهير بن عباد الرواسي ، عن أبي بكر الداهري ( ) عبد الله بن حكيم ( ) ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن الوليد بن عقبة ، فذكره ( ) ( ) .<sup>٧</sup>

وقال الضحاک : عن ابن عباس أنه جاءه رجل ، فقال : يا ابن عباس ! إني أريد أن أمر بالمعروف ، وأنها عن المنكر . قال : أو بلغت ذلك ؟ قال : أرجو . قال : إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل . قال : وما هن ؟ قال : قوله عز وجل : ﴿ تأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ أحكمت هذه ؟ قال : لا . قال : فالحرف الثاني قوله تعالى : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف ٢، ٣] أحكمت هذه ؟ قال : لا . قال : فالحرف الثالث قال : قول العبد الصالح شعيب عليه السلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [هود ٨٨] أحكمت هذه الآية ؟ قال : لا . قال : فابدأ بنفسك .  
رواه ابن مردويه في تفسيره .

(١) في الأصل : فيتدلّق . والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٢) في الأصل : (يزيد أن) ، والمثبت من العتيقة والمصدر .

(٣) زيادة من ح .

(٤) في العتيقة : بشار . والمثبت من ح . والمصدر .

(٥) في العتيقة ، ح : الزاهري .

(٦) في العتيقة : حلیم . والمثبت من ح ، والمصدر .

(٧) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

وقال الطبراني : ثنا عبدان بن أحمد ، ثنا زيد بن الحريش ، ثنا عبد الله بن خراش ، عن العوام بن حوشب ، عن المسيب بن رافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " من دعا الناس إلى قول أو عمل ، ولم يعمل هو به ، لم يزل في ظل سخط الله ، حتى يكف ، أو يعمل ما قال أو دعا إليه . (إسناده فيه ضعف .

وقال إبراهيم النخعي : إني لأكره القصص لثلاث آيات : قوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [ الصف ٢ ، ٣ ] ، وقوله إخبارا عن شعيب : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [ هود ٨٨ ] .  
وما أحسن مقال سلم بن عمرو :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزيهده صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد

إن رفض الناس فما باله يستمنح الناس ويسترفد

الرزق مقسوم على من ترى يسعى له الأبيض والأسود

وقال بعضهم : جلس أبو عثمان الحيري الزاهد يوما على مجلس التذكير فأطال السكوت ، ثم أنشأ يقول :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يداوي والطيب مريض

قال : فضج الناس بالبكاء .

وقال أبو العتاهية الشاعر :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى وريح الخطايا من ثيابك تستطع

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فابدأ بنفسك فاتمها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويهتدى ( ) بالقول منك وينفع التعليم

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد بن زيد البصري العابد الواعظ قال : دعوت الله أن يريني رفيقي في الجنة ، فقبل لي في المنام : هي امرأة في الكوفة يقال لها : ميمونة السوداء . فقصدت الكوفة لأراها . فقبل لي : هي ترعى غنما بواد هناك ، فجئت إليها فإذا هي قائمة تصلي ، والغنم ترعى حولها ، وبينهن الذئب لا ينفرن منهن ، ولا تسطوا الذئب عليهن . فلما سلمت قالت : يا ابن زيد ، ليس

( ) في ح : ويقتدى .

الموعد هاهنا إنما الموعد ثم . فسألتها عن شأن الذئاب والغنم . فقالت : إني أصلحت ما بيني وبين سيدي ، فأصلح ما بين الذئاب والغنم . فقلت لها : عظيمي . فقالت : يا عجباً من واعظ يوعظ ! ثم قالت : يا ابن زيد ، إنك لو وضعت موازين القسط على جوارحك ، لخبرتكم بمكتوم مكنون ما فيها ! يا ابن زيد ، إنه بلغني : مامن عبد أعطي من الدنيا شيئاً ، فابتغى إليه ثانياً ، إلا سلبه الله حب الخلوة ، وبدله بعد القرب البعد ، وبعد الأُنس الوحشة ، ثم أنشأت تقول :

يا واعظاً قام لاحتساب يزجر قوماً عن الذنوب

تنهى وأنت السقيم حقاً هذا من المنكر العجيب

تنهى عن الغي والتمادى وأنت في النهي كالمريب

لو كنت أصلحت قبل هذا عيبك أو تبت من قريب

كنت كما قلت ( ) يا حبيبي <sup>١</sup> موضع صدق من القلوب ( ) <sup>٢</sup>

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾

راجعون ﴿

يقول تعالى أمراً عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة ، بالاستعانة بالصبر والصلاة ، كما قال مقاتل ابن حيان في تفسير هذه الآية : استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة . فأما الصبر : فقليل إنه الصيام . نص عليه مجاهد .

( قال القرطبي وغيره : ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر ، كما نطق به الحديث ) ( ) . <sup>٣</sup>

وقال سفيان الثوري : عن أبي إسحاق ، عن جري بن كليب ، عن رجل من بني سليم ، عن النبي ﷺ قال : الصوم نصف الصبر .

وقيل : المراد بالصبر : الكف عن المعاصي . ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها ؛ فعل الصلاة .

قال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا عبيد الله بن حمزة بن إسماعيل ، ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي سنان ، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : الصبر صبران : صبر عند المصيبة حسن ، وأحسن منه الصبر عن محارم الله .

( قال ) ( ) : وروي عن الحسن البصري نحو قول عمر .

( ) هكذا في العتيقة وفي نسخة : كان لما قلت .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

وقال ابن المبارك : عن ابن لهيعة ، عن مالك بن دينار ، عن سعيد بن جبير قال : الصبر : اعتراف العبد لله بما أصاب فيه ( ) ، واحتسابه عند الله ، ورجاء ثوابه . وقد يجزع الرجل ، وهو يتجلد ( ) لا يُرى<sup>٢</sup> منه إلا الصبر .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ قال : على مرضاة الله ، واعلموا أنها من طاعة الله .

وأما قوله : ﴿ والصلاة ﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر . كما قال تعالى ﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ الآية [العنكبوت ٤٥] .

وقال الإمام أحمد : ثنا خلف بن الوليد ، ثنا يحيى بن زكريا (بن) ( ) أبي زائدة ، عن عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلي قال : قال عبد العزيز أخو حذيفة : قال حذيفة \_ يعني ابن اليمان \_ : كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى .

ورواه أبو داود (عن محمد بن عيسى ، عن يحيى بن زكريا ، عن عكرمة بن عمار كما سيأتي .

ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة . ويقال : أخي حذيفة مرسلًا عن النبي ﷺ .

وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة : ثنا سهل بن عثمان بن مسعود العسكري ، ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قال : قال عكرمة بن عمار : قال محمد بن عبد الله الدؤلي : قال عبد العزيز : قال حذيفة : رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب ، وهو مشتمل في شملة يصلي ، وكان إذا حزبه أمر صلى .

وحدثنا عبيد الله بن معاذ ، ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع حارثة بن مضرب سمع عليًا يقول : لقد رأيتنا ليلة بدر ، وما فينا إلا نائم غير رسول الله ﷺ ، يصلي ويدعو حتى أصبح ( ) .<sup>٤</sup>

وقد رواه ابن جرير من حديث ابن جريج ، عن عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبيد بن أبي قدامة ، عن عبد العزيز بن اليمان ، عن حذيفة قال : كان رسول الله ﷺ : إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

قال ابن جرير : وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه مر بأبي هريرة ، وهو منبطح على بطنه ، فقال له : اشكُتْ ( ) دزد ( ) ومعناه : أوجعك بطنك \_ قال : نعم ( ) . قال : فَم فصل ، فإن الصلاة شفاء .

( ) في العتيقة : منه .

( ) في العتيقة : متجلد .

( ) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : اشكيت . والمثبت من العتيقة والمصدر . وكلمة اشكبت دزد فارسية معناها أوجعك بطنك كما يأتي .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

قال ابن جرير : وقد حدثنا محمد بن العلاء ، ويعقوب بن إبراهيم قالوا : ثنا ابن علية ، ثنا عيينة ( ) بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، أن ابن عباس نعي إليه أخوه قثم \_ وهو في سفر \_ فاسترجع ، ثم تنحى عن الطريق ، فأناخ ، فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشي إلى راحلته ، وهو يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة على الخاشعين ﴾ .

وقال سنيد : عن حجاج ، عن ابن جريج ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ قال : إنهما معونتان على رحمة الله .

والضمير في قوله : ﴿ وإنها ﴾ عائد إلى الصلاة ، نص عليه مجاهد . واختاره ابن جرير .  
ويحتمل أن يكون عائدا على ما دل عليه الكلام ، وهو الوصية بذلك كقوله تعالى في قصة قارون ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ [ القصص ٨٠ ] . وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [ فصلت ٣٥ ، ٣٤ ] أي : وما يلقى هذه الوصية ﴿ إلا الذين صبروا وما يلقاها ﴾ أي : يؤتاها ويلهما ﴿ إلا ذو حظ عظيم ﴾ .  
وعلى كل تقدير فقوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرة ﴾ أي : مشقة ثقيلة ﴿ إلا على الخاشعين ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني : المصدقين بما أنزل الله .

وقال مجاهد : المؤمنین حقا .

وقال أبو العالية : ﴿ إلا على الخاشعين ﴾ : الخائفين .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿ إلا على الخاشعين ﴾ يعني به : المتواضعين .

وقال الضحاك : ﴿ وإنها لكبيرة ﴾ قال : إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته ، الخائفين سطوته ، المصدقين بوعده ووعيده .

وهذا يشبه ما جاء في الحديث : " لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه " . وقال ابن جرير معنى الآية : ﴿ واستعينوا ﴾ أيها الأبحار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله ، وإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر ، المقربة من رضا الله ، العظيمة إقامتها إلا على المتواضعين ، المستكينين لطاعته ، المتدللين من مخافته .

هكذا قال ، والظاهر أن الآية ، وإن كانت خطابا في سياق إنذار بني إسرائيل ، فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص ، وإنما هي عامة لهم ولغيرهم . والله أعلم .

وقوله : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله أي : وإن الصلاة أو الوصية ، لثقيلة ﴿ إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ أي : ( يعلمون أنهم

( ) في الأصل : ابن عيينة . والمثبت من العتيقة والمصدر .

محشورون) ( ) إليه يوم القيامة ، معروضون عليه ﴿ وأنهم إليه راجعون ﴾ أي : أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها بما يشاء بعدله . فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء ، سئل عليهم فعل الطاعات ، وترك المنكرات . فأما قوله : ﴿ يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ فقال ابن جرير رحمه الله : العرب قد تسمى اليقين ظنا ، والشك ظنا ، نظير تسميتهم الظلمة سدفة ، والضياء سدفة ، والمغيث صارخا ، والمستغيث صارخا ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده ، كما قال دريد بن الصمة :

فقلت لهم : ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسود

يعني بذلك : تيقنوا بألفي مدجج تأتيكم ( ) .<sup>٢</sup>

وقال عمير بن طارق :

فإن تعيروا ( ) قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظن غيبا مرجما

يعني : وأجعل مني اليقين غيبا مرجما .

قال : والشواهد من أشعار العرب وكلامها ، على أن الظن في معنى اليقين ، أكثر من أن تحصى ، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ﴾ [الكهف ٥٣] .

ثم قال : ثنا محمد بن بشار ، ثنا أبو عاصم ، ثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد : كل ظن في القرآن يقين أي : ظننت ، وظنوا .

وحدثني المثنى ، ثنا إسحاق ، ثنا أبو داود الحفري ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كل ظن في القرآن فهو علم . وهذا سند صحيح .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ قال : الظن هاهنا يقين .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وقتادة نحو قول أبي العالية .

وقال سنيد : عن حجاج ، عن ابن جريج : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ كقوله : ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ [الحاقة ٢٠] . يقول : علمت .

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

قلت : وفي الصحيح : " أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى . فيقول الله تعالى : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول الله : اليوم أنساك كما نسيتني .

(١) في الأصل : محشورون . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : يأتيتكم . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : وإن تعيروا . والمثبت من العتيقة .

وسياتي مبسوطا عند قوله : ﴿ نسوا الله فسيهم ﴾ [ التوبة ٦٧ ] ( والله أعلم ) .<sup>١</sup>

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾

يذكرهم تعالى بسالف ( ) نعمه على آباؤهم وأسلافهم ، وما كان فضلهم به من إرسال الرسل منهم ، وإنزال الكتب عليهم ، على سائر الأمم من أهل زمانهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [الدخان ٣٢] . وقال تعالى : ﴿ وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ﴾ [ المائدة ٢٠ ] وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ قال : بما أعطوا من الملك والرسل والكتب ، على عالم من كان في ذلك الزمان ؛ فإن لكل زمان علما .

وروي عن مجاهد ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك .  
ويجب الحمل على هذا ؛ لأن هذه الأمة أفضل منهم ، لقوله تعالى خطابا لهذه الأمة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ﴾ [ آل عمران ١١٠ ] .

وفي المسانيد والسنن ، عن معاوية بن حيدة القشيري قال : قال رسول الله ﷺ : " أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله " .

والأحاديث في هذا كثيرة تذكر عند قوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .  
(وقيل : المراد : تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس ، ولا يلزم تفضيلهم مطلقا . حكاه فخر الدين الرازي ، وفيه نظر .

وقيل : إنهم فضلوا على سائر الأمم لاشتغال أمتهم على الأنبياء منهم . حكاه القرطبي في تفسيره ، وفيه نظر ، لأن العالمين عام ، يشمل من قبلهم ومن بعدهم من الأنبياء ، إبراهيم الخليل قبلهم ، وهو أفضل من سائر أنبيائهم ، ومحمد بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة صلوات الله وسلامه عليه) ( ) .<sup>٣</sup>

( ) زيادة من العتيقة .

(٢) في الأصل : سالف . والمثبت من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾

لما ذكرهم تعالى بنعمه أولا ، عطف على ذلك التحذير من حلول نقمه بهم يوم القيامة ، فقال : ﴿واتقوا يوما﴾ يعني : يوم القيامة . ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾ أي : لا يغني أحد عن أحد كما قال : ﴿ولا تنزر وزارة ووزر أخرى﴾ [ الأنعام ١٦٤ ] ، وقال : ﴿ لكل امرئ منه يومئذ شأن يغنيه﴾ [ عبس ٣٧ ] ، وقال : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ [ لقمان ٣٣ ] فهذا ( ) أبلغ المقامات : أن كلا من الوالد وولده ، لا يغني أحدهما عن الآخر شيئا .

وقوله : ﴿ولا تقبل ( ) منها شفاعاة﴾ يعني : عن الكافرين كما قال : ﴿فما تنفعهم شفاعاة الشافعين﴾ [ المدثر ٤٨ ] وكما قال عن أهل النار : ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [ الشعراء ١٠١، ١٠٠ ]

وقوله : ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي : لا يقبل منها فداء ، كما قال : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افندى به﴾ [ آل عمران ٩١ ] ، وقال : ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ [ المائدة ٣٦ ] ، وقال تعالى : ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ [ الأنعام ٧٠ ] ، وقال : ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا﴾ [ الحديد ١٥ ] الآية . فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ، ويتابعوه على ما بعثه به ، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه ، فإنهم لا ينفعهم قرابة قريب ، ولا شفاعاة ذي جاه ، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً كما قال تعالى : ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ [ البقرة ٢٥٤ ] ، وقال : ﴿لا يبيع فيه ولا خلال﴾ [ إبراهيم ٣١ ] .

(قال سنيد : حدثني حجاج ، حدثني ابن جريج قال : قال مجاهد : قال ابن عباس : ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ قال : بذل . والبذل : الفدية .

وقال السدي : أما عدل ؛ فيعدلها من العدل يقول : لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدي به ما تقبل منها .

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ( ) . ٣

( ) في الأصل : فهذه . والمثبت من العتيقة .

(٢) هكذا بالتأنيث وهي قراءة سبعة . قرأ بها ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري ، وقرأ البقية : يقبل بالياء التحتية .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

وقال أبو جعفر الرازي : عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ ولا يؤخذ ﴾ ( منها عدلا ) يعني : فداء .

قال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي مالك ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والربيع بن أنس نحو ذلك .

وقال عبد الرزاق : أنا الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب في حديث طويل قال : والصرف والعدل : التطوع والفريضة .

وكذا قال الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن أبي العاتكة ، عن عمير بن هانئ .

وهذا القول غريب هاهنا ، والقول الأول أظهر في تفسير هذه الآية .

وقد ورد حديث يقويه ، وهو ما قال ابن جرير : حدثني نجيح بن إبراهيم ، ثنا علي بن حكيم ، ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن رجل من بني أمية من أهل الشام \_ أحسن عليه الثناء \_ قال : قيل : يا رسول الله ! ما العدل ؟ قال : العدل الفدية .

وقوله تعالى : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أي : ولا أحد يغضب لهم ، فينصرهم ويتقدمهم من عذاب الله . كما تقدم من أنه لا يعطف عليهم ذو قرابة ، ولا ذو جاه ، ولا يقبل منهم فداء ، هذا كله من جانب التلطف ، ولا لهم ناصر من أنفسهم ولا من غيرهم ، كما قال : ﴿ فما له من قوة ولا ناصر ﴾ [ الطارق ١٠ ] أي : أنه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فدية ، ولا شفاعة ، ولا ينقذ أحدا من عذابه منقذ ، ولا يجيره منه أحد كما قال : ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه ﴾ [ المؤمنون ٨٨ ] وقال : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ [ الفجر ٢٦، ٢٥ ] ، وقال : ﴿ مالكم لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [ الصافات ٢٦، ٢٥ ] وقال : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم ﴾ الآية [ الأحقاف ٢٨ ] .

وقال الضحاك : عن ابن عباس في قوله : ﴿ ما لكم لا تنصرون ﴾ مالكم اليوم لا تمنعون منا ؟ هيهات ليس ذلك لكم اليوم .

قال ابن جرير : وتأويل قوله : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ يعني : أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر ، كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية ، بطلت هنالك المحاباة ، واضمحلت الرشى والشفاعات ، وارتفع من القوم التعاون والتناصر ، وصار الحكم إلى العدل الجبار ، الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء ، فيجزى بالسيئة مثلها ، وبالחסنة أضعافها ، وذلك نظير قوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [ الصافات ٢٦، ٢٤ ] .

( ) في العتيقة : ولا يقبل . وهذا في الآية الأخرى الآتية برقم .

﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾

يقول تعالى : اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم ﴿ إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ أي : خلصتكم منهم ، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام ( ) ، وقد كانوا يسومونكم أي : يوردونكم ويذيقونكم (ويولونكم) ( ) سوء العذاب .

وذلك أن فرعون \_ لعنه الله \_ كان قد رأى رؤيا هالته ؛ رأى نارا خرجت من بيت المقدس ، فدخلت دور القبط ببلاد مصر ، إلا بيوت ( ) بني إسرائيل ، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل .

ويقال : (بل) ( ) تحدث سماًه عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة ، وهكذا جاء في (حديث الفتون) ( ) كما سيأتي في موضعه إن شاء الله ، فعند ذلك أمر فرعون \_ لعنه الله \_ بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل ، وأن يترك البنات ، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأراذلها .

وها هنا فسر العذاب بذبج الأبناء ، وفي سورة إبراهيم عطف عليه كما قال : ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ [ إبراهيم ٦ ] وسيأتي تفسير ذلك في أول سورة القصص إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة والمعونة والتأييد .

[ومعنى : ﴿ يسومونكم ﴾ يولونكم . قاله أبو عبيدة . ( كما تقدم كما يقال : سامه خطة خسف ، إذا أولاه إياها ، قال عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الخسف فينا

وقيل : معناه : يديمون عذابكم كما يقال : سائمة الغنم ( ) (من إدامتها الرعي . نقله القرطبي) ( ) . وإنما قال ها هنا : ﴿ يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ليكون ذلك تفسيراً للنعمة عليهم في قوله : ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾ ثم فسره بهذا لقوله هنا ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ وأما في سورة إبراهيم فلما قال : ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ أي : بأياديهِ ونعمه عليهم ، فتناسب أن يقول : هناك

( ) في الأصل : عليه الصلاة والسلام . والمثبت من العتيقة .

( ) ليست في العتيقة .

( ) في العتيقة : دور .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : الحديث المصون . والمثبت من العتيقة .

( ) ما بين القوسين زيادة من ح .

( ) زيادة من النسخة .

﴿يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ فعطف عليه الذبح ليدل على تعدد

النعم والأيادي (على بني إسرائيل) ( ) [ ( ) ] . ( ) . ١ ٢

وفرعون علم على كل من ملك مصر كافرا (من العماليق وغيرهم) ( ) ، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرا ، وكذلك كسرى لكل من ملك الفرس ، وتبع لمن ملك اليمن كافرا ، (والنجاشي لمن ملك الحبشة ، وبطليموس لمن ملك الهند) ( ) . ٤

ويقال : كان اسم فرعون الذي كان في زمان موسى عليه السلام : الوليد بن مصعب (بن الريان) ( ) ، وقيل : مصعب بن الريان ، وأيا ما كان فعله لعنة الله . (وكان من سلالة عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، وكنيته أبو مرة ، وأصله فارسي من اصطخر) ( ) . ٦

وقوله تعالى : ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ قال ابن جرير : وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون ﴿ بلاء ﴾ لكم ﴿ من ربكم عظيم ﴾ أي : نعمة عظيمة عليكم في ذلك .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس قوله : ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ قال : نعمة .

وقال مجاهد ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ قال : نعمة من ربكم عظيمة .

وكذا قال أبو العالية ، وأبو مالك ، والسدي وغيرهم .

وأصل البلاء : الاختبار ، وقد يكون بالخير والشر كما قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [ الأنبياء ٣٥ ] وقال : ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات ﴾ [ الأعراف ١٦٨ ] .

قال ابن جرير : وأكثر ما يقال في الشر : بلوته أبلوه بلاء ، وفي الخير : أبله إبلاء وبلاء . وقال زهير بن أبي سلمى :

جزى الله بالإحسان مفعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

قال : فجمع بين اللغتين ؛ لأنه أراد : فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده .

(وقيل : المراد بقوله : ﴿ وفي ذلكم بلاء ﴾ إشارة إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء .

( ) زيادة من النسخة .

(٢) ما بين المعكوفين زيادة في العتيقة .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

(٥) زيادة من النسخة ح .

(٦) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

قال القرطبي : وهذا قول جمهور الناس \_ ولفظه بعدما حكى القول الأول ثم قال \_ : وقال الجمهور : الإشارة إلى الذبح ونحوه ، والبلاء هاهنا في الشر ، والمعنى : وفي الذبح مكروه وامتحان ( ) .<sup>١</sup>  
 وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمَ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ معناه : وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون ، وخرجتم مع موسى عليه السلام ، خرج فرعون في طلبكم ، ففرقنا بكم البحر . كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلاً كما سيأتي في موضعه ومن أبسطها ما في سورة الشعراء .  
 ﴿ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ( ) ﴾ أي : خلصناكم منهم ، وحجزنا بينكم وبينهم ، وأغرقناهم وأنتم تنظرون ، ليكون ذلك أشفى لصدوركم ، وأبلغ في إهانة عدوكم .

قال عبد الرزاق : أنا معمر ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمَ الْبَحْرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَنْظُرُونَ ﴾ قال : لما خرج موسى ببني إسرائيل ، بلغ ذلك فرعون فقال : لا تتبعوهم حتى تصيح الديكة . قال : فوالله ما صاح (ليلتئذ) ( ) ديك حتى أصبحوا ، فدعا بشاة فذبحت ، ثم قال : لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط ، فلم يفرغ من كبدها ، حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط . فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه \_ يقال له : يوشع بن نون \_ : أين أمرك ربك ؟ قال : أمامك \_ يشير إلى البحر \_ فأقحم ( ) يوشع<sup>٤</sup> فرسه في البحر حتى بلغ الغمر ، فذهب به الغمر ، ثم رجع فقال : أين أمر ربك يا موسى ؟ فوالله ما كذبت وما كُذبت . فعل ذلك ثلاث مرات . ثم أوحى الله إلى موسى ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ فضربه ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [ الشعراء ٦٣ ] يقول : مثل الجبل . ثم سار موسى ومن معه ، واتبعهم فرعون في طريقهم ، حتى إذا تناموا فيه أطبقه الله عليهم . فلذلك قال : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .  
 وكذلك قال غير واحد من السلف كما سيأتي بيانه في موضعه .

وقد ورد أن هذا اليوم كان يوم عاشوراء ، كما قال الإمام أحمد : ثنا عفان ، ثنا عبد الوارث ، ثنا أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا اليوم الذي تصومون ؟ قالوا : هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله عز وجل فيه بني إسرائيل من غرقهم ، فصامه موسى عليه السلام . فقال رسول الله ﷺ : أنا أحق بموسى منكم ، فصامه رسول الله ﷺ ، وأمر بصومه .

(١) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) في العتيقة : فنجيناكم .

(٣) زيادة من العتيقة .

(٤) في الأصل : فاقتم . والمثبت من العتيقة .

وروى هذا الحديث البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق عن أيوب السخيتاني به نحو ما تقدم .  
وقال أبو يعلى الموصلي : ثنا أبو الربيع ، ثنا سلام \_ يعني : ابن سليم \_ عن زيد العمي ، عن يزيد  
الرقاشي ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : فلق الله البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء .  
وهذا ضعيف من هذا الوجه ، فإن زيد العمي فيه ضعف ، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه .

﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك  
لعلكم تشكرون . وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم ، لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه ،  
عند انقضاء أمد المواعدة \_ وكانت أربعين يوما \_ وهي مذكورة في الأعراف في قوله تعالى : ﴿ وواعدنا  
موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر ﴾ قيل : إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة ، وكان ذلك  
بعد خلاصهم من قوم فرعون وإنجائهم من البحر .

وقوله : ﴿ وإذا آتينا موسى الكتاب ﴾ يعني : التوراة ﴿ والفرقان ﴾ وهو : ما يفرق بين الحق والباطل ،  
والهدى والضلال ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ .

وكان ذلك أيضا بعد خروجهم من البحر كما دل عليه سياق الكلام في سورة الأعراف ولقوله تعالى :  
﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾  
[ القصص ٤٣ ] .

(وقيل : الواو زائدة ، والمعنى : ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان . وهذا غريب .

وقيل : عطفه عليه ، وإن كان المعنى واحدا ، كما في قول الشاعر :

وقدمت الأديم لراهشييه      فألفى قولها كذبا ومينا

وقال الآخر :

ألا حبذا هند وأرض بما هند      وهند أتى من دونها النأي والبعد

فالكذب هو : المين ، والنأي هو : البعد .

وقال عنتره :

حييت من طلل تقادم عهده      أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فعطف الإقفار على الإقواء وهو هو ( ) .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾

هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل .

قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ فقال : ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع ، حين قال الله : ﴿ ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ﴾ [ الأعراف ١٤٩ ] . قال : فذلك حين يقول موسى : ﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ .

وقال أبو العالية ، وسعيد بن جبير ، والربيع بن أنس : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ أي : إلى خالقكم . قلت : وفي قوله هاهنا : ﴿ إلى بارئكم ﴾ تنبيه على عظم جرمهم : أي : فتوبوا إلى الذي خلقكم ، وقد عبدتم معه غيره .

وروى النسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث يزيد بن هارون ، عن الأصبع بن زيد الوراق ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : فقال الله تعالى : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من ولد ووالد ( ) ، فيقتله بالسيف ، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن ، فتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم ، فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به ، فغفر الله تعالى للقاتل والمقتول .

وهذا قطعة من حديث الفتون ، وسيأتي في تفسير سورة طه بكمالها إن شاء الله .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، ثنا إبراهيم بن بشار ، ثنا سفيان بن عيينة قال : قال أبو سعيد ( ) : عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه توبوا إلى بارئكم ﴿ فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ قال : أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم ( ) ، ( قال ) ( ١ ) : واحتج الذين عبدوا العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعكفوا عن العجل ، فأخذوا الخناجر بأيديهم ، وأصابتهم ظلمة شديدة ، فجعل يقتل بعضهم بعضا ، فأنجلت الظلمة عنهم ، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل ، كل من قتل منهم كانت له توبة ، وكل من بقي كانت له توبة .

(١) في العتيقة : أو والد .

(٢) في العتيقة : سعد .

(٣) في الأصل : أنفسكم . والمثبت من العتيقة .

(٤) زيادة من العتيقة .

وقال ابن جريج : أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا يقولان : في قوله ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ قالوا : قام بعضهم إلى بعض بالخناجر ، فقتل بعضهم بعضا ، لا يخنو رجل على قريب ولا بعيد ، حتى ألوى موسى بثوبه ، فطرحوا ما بأيديهم ، فكشف عن سبعين ألف قتيل . وإن الله أوحى إلى موسى أن حسي ، فقد اكتفيت . فذلك حين ألوى موسى بثوبه .

(وروي عن علي رضي الله عنه نحو ذلك) ( ) .<sup>١</sup>

وقال قتادة : أمر القوم بشديد من الأمر ، فقاموا يتناحرون ( ) بالشفار ، أيقتل بعضهم بعضا ، حتى بلغ الله فيهم نعمته ، فسقطت الشفار من أيديهم ، فأمسك عنهم القتل ، فجعله لحيهم توبة ، وللمقتول شهادة .

وقال الحسن البصري : أصابتهم ظلمة حنسد ، فقتل بعضهم بعضا ، ثم انكشف عنهم ، فجعل توبتهم في ذلك .

وقال السدي : في قوله : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ قال : فاجتلد الذين عبدوه ، والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل ، حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قتل بينهم سبعون ألفا ، وحتى دعا موسى وهارون : ربنا أهلكت بني إسرائيل ! ربنا البقية البقية ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم . فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ، ومن بقي مكفرا عنه ؛ فذلك قوله : ﴿ فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

وقال الزهري : لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها ، برزوا ومعهم موسى ، فاضطربوا بالسيوف ، وتطاعنوا بالخناجر ، وموسى رافع يديه ، حتى إذا أفنوا بعضهم فقالوا : ياني الله ! ادع الله لنا . وأخذوا بعضديه يسندون يديه ، فلم يزل أمرهم على ذلك ، حتى إذا قبل الله توبتهم ، قبض أيديهم بعضهم عن بعض ، فألقوا السلاح . وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم ، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى : ما يحزنك ؟ أما من قتل منكم فحي عندي يرزقون ، وأما من بقي فقد قبلت توبته . فسر بذلك موسى وبنو إسرائيل . رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه .

وقال ابن إسحاق : لما رجع موسى إلى قومه وأحرق العجل ، وذراه في اليم ، خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ، ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل . قال : لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم ! قال : فبلغني أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله . فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده فجلسوا بالأفنية ، وأصلت عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم ، وعفا عنهم ، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) في العتيقة : يتناحرون .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لما رجع موسى إلى قومه ، وكانوا سبعون رجلا قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه . فقال لهم موسى : انطلقوا إلى موعد ربكم . فقالوا : يا موسى ما من توبة . قال : بلى ، اقتلوا أنفسكم ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ الآية ، فاخترطوا السيوف ، والجرزة ، والخناجر ، والسكاكين . قال : وبعث عليهم ضباة . قال : فجعلوا يتلامسون بالأيدي ، ويقتل بعضهم بعضا . قال : ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله ، ولا يدري . قال : ويتنادون فيها : رحم الله عبدا صبر حتى يبلغ الله رضاه . قال : فقتلهم شهداء ، وتيب على أحيائهم ثم قرأ ﴿ فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

﴿ وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعدكم موتكم لعلكم تشكرون ﴾

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق ، إذ سألتهم رؤيتي جهرة عيانا مما لا يستطيع لكم ولا لأمثالكم . كما قال ابن جريج : قال ابن عباس في هذه الآية : ﴿ وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ قال : علانية .

وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق ، عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى : ﴿ لن يؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ أي : علانية . أي : حتى نرى الله . وقال قتادة ، والربيع بن أنس : ﴿ حتى نرى الله جهرة ﴾ أي : عيانا .

وقال أبو جعفر : عن الربيع بن أنس : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه . ( قال ) ( ) : فسمعوا كلاما ، فقالوا : ﴿ لن يؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ قال : فسمعوا صوتا فصعقوا ، يقول : ماتوا .

وقال مروان بن الحكم فيما خطب به على منبر مكة : ﴿ الصاعقة ﴾ صيحة من السماء .

وقال السدي في قوله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ (الصاعقة) ( ) : نار .<sup>٢</sup>

وقال عروة بن رويم في قوله : ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ قال : صعق بعضهم ، وبعض ينظرون ، ثم بعث هؤلاء ، وصعق هؤلاء .

وقال السدي : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ، ويقول : رب ! ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ ﴿ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ [ الأعراف ١٥٥ ] . فأوحى الله إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل . ثم

( ) زيادة من العتيقة .

( ٢ ) زيادة من العتيقة .

إن الله أحياهم ، فقاموا وعاشوا ، رجل رجل ، ينظر بعضهم إلى بعض ، كيف يحيون . قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ .

وقال الربيع بن أنس : كان موتهم عقوبة لهم ، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم . وكذا قال قتادة .

وقال ابن جرير : ثنا محمد بن حميد ، ثنا سلمة ( ) بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، وقال لأخيه وللسامري ما قال ، وحرق العجل وذراه في اليم ، اختار موسى منهم سبعين رجلا ؛ الخير فالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله ، وتوبوا إلى الله مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون \_ فيما ذكر لي \_ حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء ( ) الله \_ قالوا : يا موسى اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه الغمام ، حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام ، وقعوا سجودا ، فسمعوه ، وهو يكلم موسى ، ويأمره وينهاه ؛ افعل ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره ، انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم ، فقالوا لموسى : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ فأخذتهم الرجفة \_ وهي الصاعقة \_ فماتوا جميعا ، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ، ويقول : ﴿ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ﴾ [ الأعراف ١٥٥ ] قد سفهوا ، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا ؟ أي : إن هذا لهم هلاك ؛ اخترت منهم سبعين رجلا ، الخير فالخير ، أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد ؟ فما الذي يصدقوني به ، ويؤمنوني عليه بعد هذا ؟ ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ [ الأعراف ١٥٦ ] فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب إليه ، حتى رد إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ؛ إلا أن يقتلوا أنفسهم ( ) .

٣

هذا سياق محمد بن إسحاق .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير : لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل ، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به ، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موسى ، فاختر موسى قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ... وساق البقية .

( ) في الأصل : مسلمة . والمثبت من العتيقة .

( ٢ ) في الأصل : اللقاء . والمثبت من العتيقة .

( ٣ ) في الأصل : لا إله إلا أن تقتلوا أنفسكم . والمثبت من العتيقة .

(وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ والمراد : السبعون المختارون منهم . ولم يحك كثير من المفسرين سواه ، وقد أغرب فخر الدين الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين ، أنهم بعد إحيائهم قالوا : يا موسى إنك لا تطلب من الله شيئاً إلا أعطاك ، فادعه أن ( ) يجعلنا أنبياء ، فدعى بذلك فأجاب الله دعوته . وهذا غريب جداً ! إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ويوشع ( ) بن نون ، وقد غلط أهل الكتاب أيضاً في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله عز وجل ، فإن موسى الكلبي قد سأل ذلك فمنع منه ، فكيف يناله هؤلاء السبعون ؟ ) ( ) .<sup>٣</sup>

(القول الثاني في الآية) ( ) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية : قال لهم موسى \_ لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة ، فوجدهم يعبدون العجل ، فأمرهم بقتل أنفسهم ، ففعلوا فتاب الله عليهم \_ فقال : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمركم الذي أمركم به ، ونهيكم الذي نهاكم عنه . فقالوا : ومن يأخذ بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرة ، حتى يطلع الله علينا ، ويقول : هذا كتابي فخذوه . فماله لا يكلمنا كما يكلمك ( ) أنت يا موسى ؟ وقرأ قول الله : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة بعد التوبة ، فصعقتهم فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله من بعد موتهم . وقرأ قول الله : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ وقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . فقال : أي شيء أصابكم ؟ فقالوا : أصابنا أنا متنا ثم حينئذ . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا . فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم .

( وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعدما أحيوا .

وقد حكى الماوردي في ذلك قولين : أحدهما : أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرة ، حتى صاروا مضطرين إلى التصديق . والثاني : أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف . قال القرطبي : وهذا هو الصحيح ، لأن معاينتهم للأمر القطعية لا تمنع تكليفهم ، لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أمورا عظاما من خوارق العادات ، وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح ، والله أعلم ( ) .<sup>٦</sup>

( ) ليست في العتيقة وهي في ح .

( ) في ح : ثم يوشع .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

( ) زيادة من ح .

( ) في الأصل : كلمك . والمثبت من العتيقة .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾

لما ذكر تعالى مادفعه ( ) عنهم من النقم ، شرع يذكرهم أيضا بما أسبغ عليهم من النعم ، فقال : ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ وهو جمع غمامة ، سمي بذلك لأنه يغم السماء . أي : يواربها ويسترها . وهو السحاب الأبيض ، ظللوا به في التيه ليقبهم حر الشمس . كما رواه النسائي وغيره عن ابن عباس في حديث الفتون ، قال : ثم ظلل عليهم في التيه بالغمام .

وقال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عمر ، والربيع بن أنس ، وأبي مجلز ، والضحاك ، والسدي نحوه قول ابن عباس .

وقال الحسن وقتادة : ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ كان هذا في البرية ، ظلل عليهم الغمام من الشمس . وقال ابن جريج : قال آخرون : وهو غمام أبرد من هذا وأطيب .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ قال : ليس بالسحاب ، هو ( ) الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن إلا لهم . وهكذا رواه ابن جرير ، عن المثني بن إبراهيم ، عن أبي حذيفة .

وكذا رواه الثوري وغيره ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

وكانه يريد \_ والله أعلم \_ أنه ليس من زي هذا السحاب ، بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرا ، كما قال سنيد في تفسيره : عن حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ قال : غمام أبرد من هذا ، وأطيب ، وهو ( ) الذي يأتي الله فيه في قوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس : وكان معهم في التيه .

وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا عليكم المن ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في المن ما هو ؟ فقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : كان المن ينزل عليهم على الأشجار ، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا . وقال مجاهد : المن : صمغة .

وقال عكرمة : المن : شيء أنزله الله عليهم مثل الطل ، شبه ( ) الرُّب الغليظ .

( ) في الأصل : دفعه . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : هم . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : وهذا . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : يشبه . والمثبت من العتيقة .

وقال السدي : قالوا : يا موسى ، كيف لنا بما هاهنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن ، فكان يسقط على الشجرة الزنبيل .

وقال قتادة : كان المن ينزل في محلتهم سقوط الثلج ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك ، فإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق ، حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعه أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ، ويوم سابعه ؛ لأنه كان يوم عيد ، لا يشخص فيه لأمر معيشته ، ولا يطلبه لشيء ، وهذا كله في البرية .

وقال الربيع بن أنس : المن : شراب كان ينزل عليهم مثل العسل ، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه .

وقال وهب بن منبه \_ وسئل عن المن \_ فقال : خبز رفاق مثل الذرة ، أو مثل النقي .

وقال أبو جعفر بن جرير : ثنا أحمد بن إسحاق ، ثنا أبو أحمد ، ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر \_ وهو ( ) الشعبي \_ قال : عسلكم هذا ، جزء من سبعين جزءا من المن .

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنه العسل .

ووقع في شعر أمية بن أبي الصلت حيث قال :

لابذي مزرع ولا مثمورا

فراى الله أنهم بمضيع

وترى مزهم خلايا وخورا

فسناها عليهم غاديات

وحليبا ذا بهجة مرمورا

عسلا ناطفا وماء فراتا

فالناتف : هو السائل ، والحليب المرمور : هو ( ) الصافي منه .

والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن ، فمنهم من فسره بالطعام ، ومنهم من فسره بالشراب .

والظاهر \_ والله أعلم \_ أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك ، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد ، فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاما وحلاوة ، وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا ، وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر ، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده .

والدليل على ذلك قول البخاري :

ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، عن عمرو بن حريث ، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين " .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك \_ وهو ابن عمير \_ به .

وأخرجه الجماعة في كتبهم \_ إلا أبا داود \_ من طرق ، عن عبد الملك \_ وهو ابن عمير \_ به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

( ) في الأصل : وهو هو .

( ٢ ) ليست في العتيقة .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي من رواية الحكم ، عن الحسن العرني ، عن عمرو بن حريث به .  
وقال الترمذي : ثنا أبو عبيدة بن أبي السفر ، ومحمود بن غيلان قالا : ثنا سعيد بن عامر ، عن محمد  
بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " العجوة من الجنة ، وفيها شفاء  
من السم ، والكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين " .

تفرد بإخراجه الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن عمرو ،  
وإلا من حديث سعيد بن عامر عنه . وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وجابر .

كذا قال ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريق آخر عن أبي هريرة فقال : ثنا أحمد  
ابن الحسن بن أحمد البصري ، ثنا أسلم بن سهل ، ثنا القاسم بن عيسى ، ثنا طلحة بن عبد الرحمن ،  
عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " الكمأة من المن وماؤها  
شفاء للعين " .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وطلحة بن عبد الرحمن هذا سلمى واسطي يكنى بأبي محمد وقيل :  
أبو سليمان المؤدب ، قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي : روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها .

ثم قال ( الترمذي ) ( ) : ثنا محمد بن بشار ، ثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن شهر بن  
حوشب ، عن أبي هريرة أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ : قالوا : الكمأة جذري الأرض . فقال نبي الله  
ﷺ : " الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم " .

وهذا الحديث قد رواه النسائي ، عن محمد بن بشار به ، وعنه عن غندر ، عن شعبة ، عن أبي بشر  
جعفر بن إياس ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة به . وعن محمد بن بشار ، عن عبد الأعلى ،  
عن خالد الحذاء ، عن شهر بن حوشب بقصة الكمأة فقط .

ورواه النسائي أيضا ، وابن ماجه من حديث محمد بن بشار ، عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد  
الصمد ، عن مطر الوراق ، عن شهر ، بقصة العجوة عند النسائي ، وبالقصتين عند ابن ماجه .

وهذه الطريق منقطعة بين شهر بن حوشب وأبي هريرة ، فإنه لم يسمعه منه بدليل مارواه النسائي في  
الوليمة من سننه ، عن علي بن الحسين الدرهمي ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن  
قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ :  
وهم يذكرون الكمأة ، وبعضهم يقول : جذري الأرض . فقال : " الكمأة من المن ، وماؤها شفاء  
للعين .

وروي عن شهر ، عن أبي سعيد وجابر كما قال الإمام أحمد : ثنا أسباط بن محمد ، ثنا الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن شهر بن حوشب ، عن جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري قالا : قال رسول الله ﷺ : " الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم " . وقال النسائي في الوليمة أيضا : ثنا محمد بن بشار ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر جعفر بن إياس ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي سعيد ، وجابر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين .

ثم رواه أيضا وابن ماجه من طرق عن الأعمش ، عن أبي بشر ، عن شهر بن حوشب ، عنهما به . وقد رواه \_ أعني النسائي (من حديث جرير) ( ) وابن ماجه ، من حديث سعيد بن مسلمة كلاهما ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد \_ زاد النسائي : وجابر \_ عن النبي ﷺ قال : الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين .

ورواه ابن مردويه عن أحمد بن عثمان ، عن عباس الدوري ، عن لاحق بن صواب ، عن عمار بن زريق ، عن الأعمش ، كابن ماجه .

وقال ابن مردويه أيضا : ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا عباس الدوري ، ثنا الحسن بن الربيع ، ثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ( ) ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي سعيد الخدري قال : خرج علينا رسول الله ﷺ : وفي يده كموات ، فقال : " الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين " .

وأخرجه النسائي عن عمرو بن منصور ، عن الحسن بن الربيع به ، ثم رواه أيضا (ابن مردويه) ( ) عن عبد الله بن إسحاق ، عن الحسن بن سلام ، عن عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن الأعمش به . وكذا رواه النسائي عن أحمد بن عثمان بن حكيم ، عن عبيد الله بن موسى .

وقد روي من حديث أنس بن مالك ﷺ كما قال ابن مردويه : ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، ثنا حمدون بن أحمد ، ثنا حوثة بن أشرس ، ثنا حماد ، عن شعيب بن الجحباب ، عن أنس أن أصحاب رسول الله ﷺ تدارعوا في الشجرة التي ﴿اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ ، فقال : بعضهم نحسبه ( ) الكمأة ، فقال رسول الله ﷺ : " الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السم " .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : عمر . والمثبت من العتيقة .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : شجرة . والمثبت من العتيقة .

وهذا الحديث محفوظ أصله من رواية حماد بن سلمة . وقد روى الترمذي والنسائي من طريقه شيئا من هذا ، والله أعلم .

وروي عن شهر ، عن ابن عباس . كما رواه النسائي أيضا في الوليمة ، عن أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد ، عن عبد الله بن عون الخزاز ( ) ، عن أبي عبيدة الحداد ، عن عبد الجليل بن عطية ، عن شهر ، عن عبد الله بن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين .

فقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشب ويحتمل عندي أنه حفظه ، ورواه من هذه الطرق كلها ، وقد سمعه من بعض الصحابة ، وبلغه عن بعضهم ؛ فإن الأسانيد إليه جيدة ، وهو لا يتعمد الكذب .

وأصل الحديث محفوظ عن رسول الله ﷺ كما تقدم من رواية سعيد بن زيد .

وأما السلوى ؛ فقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : السلوى : طائر شبيه بالسماوي ، كانوا يأكلون منه .

وقال السدي في خبره ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة : السلوى : طائر يشبه السماوي .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا قرة بن خالد ، عن جهضم ، عن ابن عباس قال : السلوى : هو السماوي .

وكذا قال مجاهد ، والشعبي ، والضحاك ، والحسن ، وعكرمة ، والربيع بن أنس رحمهم الله .

وعن عكرمة : أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة ، أكبر من العصفور أو نحو ذلك .

وقال قتادة : السلوى من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب . وكان الرجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك ، فإذا تعدى فسد ولم يبق عنده ، حتى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه ؛ لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه ( ) لشيء ولا يطلبه .

وقال وهب بن منبه : السلوى : طير سمين مثل الحمامة ، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت .

وفي رواية عن وهب قال : سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام اللحم ، فقال الله : لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض ، فأرسل عليهم ريحا فأذرت عند مساكنهم السلوى \_ وهو السماوي \_ مثل ميل في ميل ، قيد رمح في ( ) السماء ، فخبؤوا للغد ( ) ، فنتن اللحم ، وخنز الخبز .

وقال السدي : لما دخل بنو إسرائيل التيه . قالوا لموسى عليه السلام : كيف لنا بما هاهنا ؟ أين الطعام ؟

فأنزل الله عليهم المن ، فكان يسقط على الشجر الزنجبيل ، والسلوى : وهو طائر يشبه السماوي أكبر

( ) في الأصل : الجزار . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : منه . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : إلى . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : للعيد . والمثبت من العتيقة .

منه ، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سمينا ذبحه ، وإلا أرسله فإذا سمن أتاه . فقالوا : هذا الطعام ! فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فشرب كل سبط من عين فقالوا : هذا الشراب ! فأين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام . فقالوا : هذا الظل ! فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى : ﴿ وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ﴾ وقوله : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ .

وروي عن وهب بن منبه ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، نحو ما قاله السدي .  
وقال سنيد : عن حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : خلق لهم في التيه ثياب لا تخرق ولا تدرن . قال ابن جريج : وكان الرجل إذا أخذ من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد ، إلا أنهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا .

[قال ابن عطية : السلوى : طير بإجماع المفسرين ، وقد غلط الهذلي في قوله : إنه العسل ، وأنشد في ذلك مستشهدا :

وقاسمها بالله جهدا رأيتها ( )<sup>١</sup> ألد من السلوى إذا ما أشورها

قال : فظن أن السلوى عسلا .

قال القرطبي : دعوى الإجماع لا تصح ؛ لأن المورخ أحد علماء اللغة والتفسير . قال : إنه العسل . واستدل بيت الهذلي هذا وذكر أنه كذلك في لغة كنانة ؛ لأنه يسلي به ، ومنه عين سلوان . وقال الجوهري : السلوى : العسل . واستشهد بيت الهذلي أيضا ، والسلوانة \_ بالضم \_ خرزة ، كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا ، قال الشاعر :

شربت على سلوانة ماء مزنة فلا \_ وجديد العيش \_ يامِّي ما أسلو

واسم ذلك الماء : السلوان . وقال بعضهم : السلوان : دواء يشفي الحزين فيسلو ، والأطباء يسمونه : المفرح .

قالوا : والسلوى جمع بلفظ الواحد أيضا ، كما يقال : سماني للمفرد والجمع ، (ووبلى كذلك) ( ) ،<sup>٢</sup> وقال الخليل : واحده سلواة ، وأنشد :

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض السلواة من بلل القطر

( ) في ح : لأنتم .

( ٢ ) زيادة من ح .

وقال (الكسائي) ( ) : السلوى واحد ، وجمعه سلاوى ، نقله كله القرطبي [ ( ) ] .<sup>٢</sup>

وقوله تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ : أمر بإباحة وإرشاد وامتنان . وقوله : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أي : أمرناهم بالأكل مما رزقناهم ، وأن يعبدوا كما قال : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ﴾ [ سبأ : ١٥ ] فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم ، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات ، والمعجزات القاطعات ، وخوارق العادات . ومن هاهنا تتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ( ) ورضي عنهم ، على سائر أصحاب الأنبياء ، في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم ، كما كانوا معه في أسفاره وغزواته ، منها عام تبوك في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد ، لم يسألوا خرق عادة ، ولا إيجاد أمر ، مع أن ذلك كان سهلا على الرسول ﷺ ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم ، فجمعوا ما معهم فجاء قدر مبارك الشاة ، فدعا (الله) ( ) فيه ، وأمرهم فملؤوا كل وعاء معهم ، وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى ، فجاءتهم سحابة فأمطرتهم ، فشربوا وسقوا الإبل ، وملؤوا أسقيتهم ، ثم نظروا ، فإذا هي لم تجاوز العسكر . فهذا هو الأكمل في الاتباع ؛ المشي مع قدر الله تعالى ، مع متابعة الرسول ﷺ .

﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾

يقول تعالى لائما لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم ( ) الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عليه السلام فأمروا بدخول الأرض المقدسة ، التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل ، وقتال من فيها من العماليق الكفرة ، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا ، فرماهم الله تعالى في التيه عقوبة لهم ، كما ذكره تعالى في سورة المائدة ؛ ولهذا ( ) كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس ، كما نص على ذلك السدي ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، ( وأبو مسلم الأصفهاني وغير واحد ،

( ) زيادة من ح .

( ) ما بين المعكوفين زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : صلوات الله وسلامه عليه .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : ودخول . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : وهذا . والمثبت من العتيقة .

وقال تعالى : حاكيا عن موسى : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾  
الآيات [المائدة: ٢١ - ٢٤] ( ) .<sup>١</sup>

وقال آخرون : هي أريحاء . (ويحكى عن ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد) ( ) ، وهذا بعيد ؛ لأنها ليست على طريقهم . وهم قاصدون بيت المقدس ، لا أريحاء ! (وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر ، حكاها الرازي في تفسيره . والصحيح الأول ؛ أنها بيت المقدس ) ( ) (وكان هذا) ( ) لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام ، وفتحها الله عليهم عشية جمعة ، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح \_ (وأما أريحاء فقرية ليست مقصودة لبني إسرائيل) ( ) \_ ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب \_ باب البلد \_ ﴿سجدا﴾ أي : شكرا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر ، ورد بلدهم إليهم ، وإنقاذهم من التيه والضلال .

قال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله : ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ : أي ركعا .  
وقال ابن جرير: ثنا محمد بن بشار ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ قال : ركعا ، من باب صغير .

ورواه الحاكم من حديث سفيان به .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان ، وهو الثوري به . وزاد : فدخلوا من قبل أستاذهم ( ) .<sup>٦</sup>  
(وقال الحسن البصري : أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم . واستبعده الرازي ، وحكى عن بعضهم أن المراد هاهنا بالسجود : الخضوع ، لتعذر حمله على حقيقته) ( ) .<sup>٧</sup>  
وقال خصيف : قال عكرمة : قال ابن عباس : كان الباب قُبِلَ القبلة .

وقال (ابن عباس ، و) ( ) مجاهد ، والسدي ، (وقتادة) ( ) ، والضحاك : هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس . (وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القرية) ( ) .

( ) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) في الأصل : ولهذا . والمثبت من العتيقة .

(٥) ما بين القوسين ليس في العتيقة .

(٦) في الأصل : أستاذهم . والمثبت من العتيقة .

(٧) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٨) ما بين القوسين زيادة من ح . وفي العتيقة : وقال عباس ومجاهد .

(٩) زيادة من العتيقة .

٠ ( ) زيادة من ح . وهي في العتيقة بعد قوله : وضاعفنا لكم الحسنات \_ الآتي عند قوله : ﴿وسنزيد المحسنين﴾ . والمكان الأليق بها هنا .  
إلا أن اللفظ في ح : القبلة \_ لا القرية \_ والمثبت من العتيقة والمصدر وهو المعقول معنى .

وقال خصيف : قال عكرمة : قال ابن عباس : فدخلوا على شق .

وقال السدي : عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن عبد الله بن مسعود : وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا ، فدخلوا مقنعي رؤوسهم \_ أي : رافعي رؤوسهم \_ خلاف ما أمروا .

وقوله : ﴿ وقولوا حطة ﴾ (قال الثوري : عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ( ) قال : مغفرة ، استغفروا .

وروي عن عطاء ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس نحوه .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ وقولوا حطة ﴾ قال : قولوا : هذا الأمر حق ، كما قيل لكم .

وقال عكرمة : قولوا لا إله إلا الله .

وقال الأوزاعي : كتب ابن عباس إلى رجل \_ قد سماه يسأله \_ عن قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ، فكتب إليه : أن أقروا بالذنب .

وقال الحسن وقتادة : أي احطط عنا خطايانا .

﴿ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾ : هذا جواب الأمر ، أي : إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيات ، وضاعفنا لكم الحسنات ( ) .<sup>٢</sup>

وحاصل الأمر : أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول ، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها ، والشكر على النعمة عندها .

والمبادرة إلى ذلك من ( ) المحبوب لله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ [سورة النصر] فسرره بعض الصحابة بكثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسره ابن عباس بأنه نعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها ، وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه ، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك ، ونعي إليه روحه الكريمة أيضا .

ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدا عند النصر . كما روي أنه كان يوم الفتح \_ فتح مكة \_ داخلا إليها من الثنية العليا ، وإنه لخاضع لربه حتى أن عثونه ليمس مورك رحله تشكرا لله ( ) على ذلك . ثم لما دخل البلد اغتسل وصلى ثماني ركعات \_ وذلك ضحى \_ فقال بعضهم : هي صلاة الضحى . وقال آخرون ( ) : بل هي صلاة الفتح ؛ فاستحبوا للإمام والأمير إذا فتح بلدا أن

( ) سقط من الأصل ، وهو مثبت في العتيقة .

(٢) هنا الزيادة المشار إليها آنفا قبل قوله : وقال خصيف ... الخ .

(٣) في الأصل : عن . والمثبت من العتيقة .

(٤) في الأصل : يشكر الله . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : بعضهم . والمثبت من العتيقة .

يصلّي فيه ثماني ركعات عند أول دخوله ، كما فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما دخل إيوان كسرى صلى فيه ثماني ركعات .

(والصحيح) ( ) أنه يفصل بين كل ركعتين بتسليم . وقيل : يصلّيها كلها بتسليم واحد . والله أعلم .  
وقوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾ قال البخاري : ثنا محمد ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل ( ) لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم ( ) . فبدلوا ، وقالوا ﴿ حطة ﴾ : حبة في شعرة .

ورواه النسائي عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن مهدي به موقوفا .  
وعن محمد بن عبيد بن محمد ، عن ابن المبارك ببعضه مسندا في قوله : ﴿ حطة ﴾ قال : بدلوا ، فقالوا : حبة .

وقال عبد الرزاق : أنا معمر ، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ فبدلوا ، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، فقالوا : حبة في شعرة .

وهذا حديث صحيح ، رواه البخاري عن إسحاق بن نصر ، ومسلم عن محمد بن رافع ، والترمذي عن عبد بن حميد كلهم عن عبد الرزاق به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال محمد بن إسحاق : كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان ( ) ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة ، وعمن لا أتهم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجدا ، يزحفون على أستاههم ( ) ، وهم يقولون : حنطة في شعيرة " .

وقال أبو داود : ثنا أحمد بن صالح ، وحدثنا سليمان بن داود ، أبنا عبد الله بن وهب ، ثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة تغفر ( ) لكم خطاياكم ﴾ .

ثم قال أبو داود : ثنا جعفر بن مسافر ، ثنا ابن أبي فديك ، عن هشام بن سعد مثله . هكذا رواه منفردا به في كتاب الحروف مختصرا .

( ) زيادة من العتيقة .

( ٢ ) في الأصل : قل . والمثبت من العتيقة والمصدر .

( ٣ ) في الأصل : أستاهم . والمثبت من العتيقة والمصدر .

( ٤ ) في الأصل : كيسا . سقطت النون .

( ٥ ) في الأصل : أستاهم . والمثبت من العتيقة .

( ٦ ) هكذا بالتأنيث وضم أوله وفتح الفاء بالبناء للمفعول وهي قراءة سبعة قرأ بها نافع وابن عامر ، وقرأ الباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء على البناء للفاعل (انظر الإتحاف ص ١٣٧)

وقال ابن مردويه : ثنا عبد الله بن جعفر ، ثنا إبراهيم بن فهد ، ثنا أحمد بن محمد بن المنذر القزاز ( ) ،  
ثنا محمد بن إسماعيل بن (أبي) ( ) فديك ، لحن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن  
يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : سرنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان من آخر الليل اجتزنا ( ) في  
ثنية ( ) يقال لها : ذات الحنظل . فقال رسول الله ﷺ : ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي  
قال الله ليني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ .

وقال سفيان الثوري : عن أبي إسحاق ، عن البراء : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ [ البقرة ١٤٢ ]  
قال اليهود : قيل لهم : ادخلوا الباب سجدا ، قال : ركعا ، وقولوا : حطة : مغفرة ؛ فدخلوا على  
أستاهم ( ) ، وجعلوا يقولون : حنطة حمراء فيها شعيرة . فذلك قوله تعالى ( ) : ﴿ فبدل الذين ظلموا  
قولا غير الذي قيل لهم ﴾ .

وقال الثوري : عن السدي ، عن أبي سعد ( ) الأزدي ، لحن أبي الكنود ، عن ابن مسعود ﴿ وقولوا  
حنة ﴾ فقالوا : حنطة ، حبة حمراء فيها شعيرة . فأنزل الله : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل  
لهم ﴾ .

وقال أسباط : عن السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : " هُطِّي سَمْعًا أَزِيَّة  
مَزْبًا " ( ) . فهي بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة ( ) فيها شعرة سوداء فذلك قوله : ﴿ فبدل الذين  
ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾ .

وقال الثوري : عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا الباب  
سجدا ﴾ : ركعا من باب صغير ، يدخلون من قبل أستاهم ( ) ، وقالوا : حنطة ؛ فهو قوله : ﴿ فبدل  
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ﴾ .

وهكذا روي عن عطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، ويحيى  
ابن رافع .

( ) في الأصل : الفرار . والمثبت من العتيقة .

( ) زيادة من العتيقة .

( ) في الأصل : احرنا . والمثبت من العتيقة . وفي ح : أخذنا .

( ) في الأصل : سرية . وفي العتيقة : شربة . وعليها تصحيح : ثنية ، كالمثبت من ح .

( ) في الأصل : أستاهم . والمثبت من العتيقة .

( ) في العتيقة : قول الله .

( ) في الأصل : سعيد . والمثبت من العتيقة .

( ) في العتيقة : هطي . عليها تعليق : حطي . ومضبوطة الحاء بالكسر . وفيها أيضا : سمقًا . وفي الأصل : أزية . بالياء التحتية .  
والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : مستوية . والمثبت من العتيقة .

( ) في الأصل : أستاهم . والمثبت من العتيقة .

وحاصل ما ذكره المفسرون ، وما دل عليه السياق من الحديث : أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل ؛ فأمروا أن يدخلوا سجدا ، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم ( ) ، رافعي<sup>١</sup> رؤوسهم . وأمروا أن يقولوا : حطة \_ أي : احطط عنا ذنوبنا . فاستهزأوا فقالوا : حنطة في شعرة . وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم ، وهو خروجهم عن طاعته ، ولهذا قال : ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .

وقال الضحاك : عن ابن عباس : كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني به : العذاب .

وهكذا روي عن مجاهد ، وأبي مالك ، والسدي ، والحسن ، وقتادة : أنه العذاب .

وقال أبو العالية : الرجز : الغضب .

وقال الشعبي : الرجز : إما الطاعون ، وإما البرد .

وقال سعيد بن جبير : هو الطاعون .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبو سعيد الأشج ، ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد \_ يعني ابن أبي وقاص \_ عن سعد بن مالك ، وأسامة بن زيد ، وخزيمة بن ثابت رضي الله عنهم قالوا : قال رسول الله ﷺ : الطاعون : رجز ، عذاب عذب به من كان قبلكم . وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري به .

وأصل الحديث في الصحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابت : " إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ... " الحديث .

قال ابن جرير : أخبرني يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري : أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله ﷺ قال : " إن هذا الوجد أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم " .

وهذا الحديث أصله مخرج في الصحيحين من حديث الزهري ، ومن حديث مالك ، عن محمد بن المنكدر وسالم (بن) ( ) أبي النضر<sup>٢</sup> ، عن عامر بن سعد بنحوه .

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ

أَناسٍ مَشْرَبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقاني لكم وتيسيري لكم الماء ، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم ، وتفجير الماء منه من ثنتي عشرة عينا ، لكل سبط

(١) في الأصل هنا وفيما قبله : أستاهم . والمثبت من العتيقة .

(٢) زيادة من العتيقة .

من أسباطكم عين قد عرفوها ، فكلوا من المن والسلوى ، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعثه لكم بلا سعي منكم ولا كد ، وابدوا الذي سخر لكم ذلك .

﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ : ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها .

وقد بسطه<sup>(١)</sup> المفسرون في كلامهم كما قال ابن عباس : وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع ، وأمر موسى عليه السلام فضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا<sup>(٢)</sup> عشرة عينا ، في كل ناحية منه ثلاث عيون . وأعلم كل سبط عينهم ، يشربون منها ، لا يرحلون من مبقلة<sup>(٣)</sup> إلا وجدوا ذلك منهم<sup>(٤)</sup> بالمكان الذي كان منهم<sup>(٥)</sup> بالمنزل الأول .

وهذا قطعة من الحديث الذي رواه النسائي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم وهو حديث الفتون الطويل . وقال عطية العوفي : وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور ، يحمل على ثور ، فإذا نزلوا منزلا وضعوه ، فضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا<sup>(٦)</sup> عشرة عينا ، فإذا ساروا حملوه على ثور فاستمسك الماء . وقال عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه : كان لبني إسرائيل حجر ، فكان<sup>(٧)</sup> يضعه هارون ، ويضربه موسى بالعصا .

وقال قتادة : كان حجرا طوريا من الطور ، يحملونه معهم ، حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه . (وقال الزمخشري : وقيل : كان من رخام ، وكان ذراعا في ذراع . وقيل : مثل رأس الإنسان . وقيل : كان من أس الجنة ، طوله عشرة أذرع على طول موسى ، وله شعبتان يتقدان في الظلمة ، وكان يحمل على حمار . قال : وقيل : أهبطه آدم من الجنة ، فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب ، فدفعه إليه مع العصا . وقيل : هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ، فقال له جبريل : ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة ، ولك فيه معجزة . فحمله في مخلاته .

قال الزمخشري : ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد . أي : اضرب الشيء الذي يقال له : الحجر . وعن الحسن : لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه . قال : وهذا أظهر في المعجزة ، وأبين في القدرة . فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ، ثم يضربه فييبس ، فقالوا : إن فقد موسى هذا الحجر عطشنا ، فأوحى الله إليه أن يكلم الحجارة فتنفجر ، ولا يمسه بالعصا لعلهم يقرون<sup>(٨)</sup> .

(١) في الأصل : بسط . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : اثنتى . والمثبت من العتيقة .

(٣) في العتيقة : منقلة .

(٤) كذا في النسختين . وفي العتيقة هامش : معهم . وكذا في الموضع التالي .

(٥) انظر ماسبق .

(٦) في الأصل : اثنتى . والمثبت من العتيقة .

(٧) في الأصل : كان . والمثبت من العتيقة .

(٨) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

وقال يحيى بن النضر : قلت لجويبر : كيف علم كل أناس مشربهم ؟ قال : كان موسى يضع الحجر ، ويقوم من كل سبط رجل ، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا<sup>(١)</sup> عشرة عينا ، فينتضح من كل عين على رجل ، فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين .

وقال الضحاك : قال ابن عباس : لما كان بنو إسرائيل في التيه ، شق لهم من الحجر أنهارا .

وقال سفیان الثوري : عن أبي سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ذلك في التيه ، ضرب لهم موسى الحجر ، فصار فيه اثنتا<sup>(٢)</sup> عشرة عينا من ماء ، لكل سبط منهم عين يشربون منها . وقال مجاهد نحو قول ابن عباس .

وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الأعراف ، ولكن تلك مكية فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب ، لأن الله تعالى يقص ذلك على رسوله ﷺ عما فعل بهم ، وأما في هذه السورة وهي : البقرة فإنها مدنية ، فلهذا كان الخطاب متوجها إليهم . وأخير هناك بقوله : ﴿فانبجست منه اثنتا<sup>(٣)</sup> عشرة عينا﴾ وهو أول الانفجار . وأخير هاهنا بما آل إليه الأمر آخرا ، وهو الانفجار . فناسب ذكر الانفجار هاهنا ، وذاك هناك . والله أعلم .

(وبين السياقين تباين من عشرة أوجه ؛ لفظية ومعنوية . قد سأل عنها الرازي في تفسيره وأجاب عنها بما عنده ، والأمر في ذلك قريب . والله أعلم )<sup>(٤)</sup> .

﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتنائها وفومها وعدسها وبصلها

قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم﴾

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى ؛ طعاما طيبا ، نافعا هنيئا سهلا ، ، واذكروا دبركم وضجركم مما رزقناكم ، وسؤالكم<sup>(٥)</sup> موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنية من البقول ونحوها مما سألتم .

(١) في الأصل : اثنتى . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : اثنتى . والمثبت من العتيقة .

(٣) في الأصل : اثنتى . والمثبت من العتيقة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من العتيقة . وجملة : والله أعلم . من ح .

(٥) في الأصل : وسألتم . والمثبت من العتيقة .

وقال الحسن البصري رحمه الله : فبطروا<sup>(١)</sup> ذلك ولم يصبروا عليه ، وذكروا عيشهم<sup>(٢)</sup> الذي كانوا فيه ، وكانوا قوما أهل أعداس وبصل وبقول وفوم . فقالوا : ﴿ يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ (وإنما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلوى ؛ لأنه لا يتبدل ، ولا يتغير كل يوم ، فهو كأكل واحد)<sup>(٣)</sup> .  
فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة . وأما الفوم ؛ فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود : وثومها \_ بالثاء .

وكذلك فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم عنه بالثوم .

وكذا الربيع بن أنس وسعيد بن جبير .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا عمرو بن رافع ، ثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاق البصري ، عن يونس ، عن الحسن في قوله : ﴿ وفومها ﴾ قال : قال ابن عباس : الثوم .

قالوا : وفي اللغة القديمة فوموا لنا بمعنى<sup>(٤)</sup> اختبزوا .

قال ابن جرير : فإن كان ذلك صحيحا ، فإنه من الحروف المبدلة كقولهم : وقعوا في عاثور شر وعافور شر ، وأثافي وأثائي ، ومغافير ومغاثير ، وما أشبه ذلك ، مما تقلب الفاء ثاء ، والثناء فاء لتقارب مخرجيهما . والله أعلم .

وقال آخرون : الفوم : الحنطة : وهو البر الذي يعمل منه الخبز .

قال ابن أبي حاتم : ثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أبنا ابن وهب ، حدثني نافع بن أبي نعيم أن ابن عباس سئل عن قول الله : ﴿ وفومها ﴾ ما فومها ؟ قال : الحنطة . قال ابن عباس : أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا      ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال ابن جرير : ثنا علي بن الحسن<sup>(٥)</sup> ، ثنا مسلم الجرمي ، ثنا عيسى بن يونس ، عن رشدين بن كريب<sup>(٦)</sup> ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ وفومها ﴾ قال : الفوم : الحنطة \_ بلسان بني هاشم .

وكذا قال علي بن أبي طلحة ، والضحاك ، وعكرمة ، عن ابن عباس أن الفوم : الحنطة .

(١) في الأصل : تبطروا . والمثبت من العتيقة .

(٢) في الأصل : عنهم . والمثبت من العتيقة .

(٣) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .

(٤) في الأصل : أي . والمثبت من العتيقة .

(٥) في الأصل : الحسين . والمثبت من العتيقة .

(٦) في الأصل : زييد بن كعريب . والمثبت من العتيقة والمصدر .

وقال سفيان الثوري : عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وعطاء ﴿وفومها﴾ قالوا : وخبزها .  
وقال هشيم : عن يونس ، عن الحسن ، وحصين ، عن أبي مالك ﴿وفومها﴾ قال : الحنطة .  
وهو قول عكرمة ، والسدي ، والحسن البصري ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم  
والله<sup>(١)</sup> أعلم .  
(وقال الجوهري : ﴿الفوم﴾ : الحنطة . وقال ابن دريد : الفوم : السنبل . وحكى القرطبي عن عطاء  
وقتادة أن الفوم : كل حب يختبز . قال : وقال بعضهم : هو الحمص لغة شامية . ومنه يقال لبائعه :  
"فامي" \_ مغير عن "فومي"<sup>(٢)</sup> .  
وقال البخاري : وقال بعضهم : الحبوب التي تؤكل كلها فوم .

## نهاية التحقيق

(١) في العتيقة : فالله .

(٢) ما بين القوسين زيادة من العتيقة .